﴿ الجزء الرابع ﴾

من

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تصنيف شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية

طبع بمعرفة حضرتي الشيخ فرج الله زكي الكردى
والشيخ مصطفى القباني الدمشقي

سنة ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م

مطبعة النيل بمصر

سلطان ذلك النبي الى انقضاء الدنيا فهذا تعبير رؤياك ايها الملك قالت فهذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم لا بعث المسيح فهو الذى بعث بشريعة قوية دون جميع ملوك الارض وامها حتى امتلات الارض منه ومن امته في مشارق الارض ومغاربها وسلطانهم دائم لا يقدر أحد ان يزيله كما زال ملك اليهود وزال ملك النصارى عن خيار الارض واوسطها

(فصل)قالوا وقال دانيال النبي أيضاً سألت الله وتضرعت اليه ان ان يبين لى ما يكون من بني اسرائيل وهل يتوب عليهم ويرد اليهم ملكهم ويبعث فيهم الانبياء او يجعل ذلك في غيرهم فظهر لي الملك فى صورة شاب حسن الوجه فقال السلام عليك يادانيال ان الله يقول ان بني اسرائيل اغضبونى وتمردوا على وعبدوا من دوني آلهة اخرى وصاروا من بعد العلم الى الجهل ومن بعد الصدق الى الكذب فسلطت عليهم بخت نصر فقتل رجالهم وسبي ذراريهم وهدم مسجدهم وحرق كتبهم وكذلك فعل من بعده بهم وانا غير راض عنهم ولا مقيلهم عثرات فلا يزالون في سخطى حتي ابعث مسيحى ابن العذراء البتول واختم ذلك عليهم باللعن والسخط فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة حتي ابعث نبي بني اسماعيل الذى بشرت به هاجر وارسلت اليها ملاكي وبشرها وأوحي الى ذلك النبي واعلمه الاسماء وازينه بالتقوى واجعل البر شعاره والتقوى ضميره والصدق قوله والوفاء طبيعته والقصد سيرته والرشد سنته اخصه بكتاب مصدق كما بين يديه من الكتب وناسخ لبعض ما فيها اسرى به الي وارقيه من سماء الى سماء حتي يعلو فادنيه واسلم عليه واوحى اليه ثم ارده الى عبادى بالسرور

(فصل) وقال دانيال عليه السلام وذكر محمداً صلى الله عليه وسلم باسمه فقال ستنزع في قسيك اغراقا وترتوي السهام بأمرك يامحمد ارتواء فهذا تصريح بغير تعريض وتصحيح ليس فيه تمريض فان نازع في ذلك منازع فليوجدلنا آخر اسمه محمد له سهام نزع وامر مطاع لايدفع

وقال دانيال النبي ايضاً حين ساله بخت نصر عن تأويل رؤيا رآها ثم نسيها ، رأيت أيها الملك صنما عظيما قائماً بين يديك راسه من ذهب وساعداه من الفضة وبطنه وفخذاه من النحاس وساقاه من الحديد ورجلاه من الخزف ورأيت حجراً لم تقطعه يد انسان قد جاء وصك ذلك الصنم فتفتت وتلاشى وعاد رفاتا ثم نسفته الرياح فذهب وتحول ذلك الحجر فصار جبلا عظيما حتى ملاء الارض كلها فهذا مارايت أيها الملك؛ فقال بخت نصر صدقت فما تأويلها ؟ قال دانيال انت الراس الذي رأيته من الذهب ويقوم بعدك ولداك الذان رايت من الفضة وهما دونك ويقوم بعدهما مملكة أخرى هي دونها وهي التي تشبه النحاس والمملكة الرابعة تكون قوية مثل الحديد الذي يدق كل شئ فاما الرجلان التي رأيت من خزف فمملكة ضعيفة وكلمتها سخيفه وأما الحجر الذي رأيت قد صك ذلك الصنم العظيم ففتته فهو نبي يقيمه الله اله السماء والارض من قبيلة بشريعة قوية فيدق جميع ملوك الارض وأممها حتى تمتلي منه الارض ومن أمته ويدوم

ابن حفص وكان من خيار الناس قال كان عند ابي وجدي ورقة يتوارثونها قبل الاسلام فيها اسم الله وقوله الحق وقول الظالمين تبار هذا الذكر لامة تأتي في آخر الزمان يتزرون على اوساطهم ويرصدون اطرافهم ويخوضون البحور الى اعدائهم فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا بالطوفان وفي ثمود ما هلكوا بالصيحة

(فصل) قالوا قال اشعياء وذكر قصة العرب فقال ويدوسون الاسم دياس البيادر وينزل البلاء بمشركي العرب وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة وقسي موترة من شدة الملحمة وهذا اخبار عما طراء بعبدة الاوثان من رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم يوم بدر ويوم حنين وفي غيرهما من الوقائع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي (فصل) في كلمة الانجيل وتفسيرها قالوا وقال يوحنا الانجيلي قال يسوع المسيح في الفصل الخامس عشر من انجيله ان الفارقليط روح الحق الذي يرسله ابي هو يعلمكم كل شيء وقال يوحنا التلميذ ايضاً عن المسيح انه قال لتلاميذه ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وانا اطلب من الاب ان يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذي لم يطق العالم ان يقتلوه لانهم لم يعرفوه ولست ادعكم ايتاما لاني سأتيكم عن قريب • وقال يوحنا قال المسيح من يحبني يحفظ كلمتي وابي يحبه واليه يأتي وعنده يتخذ المنزل كلمتكم بهذا لاني عندكم مقيم والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كل ما قلت لكم استودعتكم وامي لا تقلق قلوبكم ولا تجزع فاني منطلق وعائد اليكم لو كنتم تحبوني كنتم تفرحون بمضيي الى الاب

والغبطة حافظاً لم استودع صادقا فيما أمر يدعو الى توحيدى باللين من القول و الموعظة الحسنة لافظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق رؤف بمن والاه رحيم بمن آمن به خشن على من عاداه فيدعو قومه الى توحيدى وعبادتى ويخبرهم بما رآى من آياتي فيكذبونه ويؤذونه ثم سرد دانيال قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما املاه عليه الملك حتى اوصل آخر ايام امته بالنفخة وانقضاء الدنيا وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصارى يقراؤنها ويقرون ويقولون لم يظهر صاحبها بعد قال ابو العالية فانا قرأت ذلك المصحف وفيه صفتكم واخباركم وسيرتكم ولحون كلامكم وكان أهل الناحية يعني أرض السوس حيث دانيال مدفون بها اذا أجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون فكتب ابو موسى فى ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر ان احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه بالليل في واحد منها لئلا يفتتن الناس به

(فصل) قالوا قال كعب وذكر صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة ويريد بها التوراة التي هى اعم من التوراة المعينة احمد عبدى المختار لافظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة يعفو ويغفر مولده بكا وهجرته طابا وملكه بالشام وامته الحامدون يحمدون الله على كل نجد ويسبحونه في كل نزلة ويغضون اطرافهم ويأتزرون على انصافهم وهم رعاة الشمس ومؤذنهم في جو السماء وصفهم في القتال وصفهم فى الصلاة سوآء رهبان بالليل اسد فى النهار لهم دوى كدوى النحل يصلون الصلاة حيثما أدركتهم ولو على كناسة

(فصل) قالوا قال ابن ابى الزناد حدثني عبد الرحمن ابن الحارث عن عمر

انه الحامد وقيل انه المعز وقيل انه الحمد ورجح هذا طائفة وقالوا الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم انه الحمد والدليل عليه قول يوشع من عمل حسنة تكون له فارقليط جيد .اى حمد جيد وقولهم المشهور في مخاطبتهم فارقليط وفارقليطان وما زاد على الجمع اى حمد ومنه كما يقول تحويد ومنه هنا رويده يأتى بعد قوله وواحد منها بقى عبرانياً ومن قال معناه المخلص فيحتجون بأنها كلمة سريانية ومعناها المخلص وقالوا هو مشتق من قولنا فار ويقال بالسريانية فاروق فجعل فارق قالوا ومعنى ليط كلمة يراد بها التثبت والتقدير كما يقال في العربية رجل هو وحجر هو وبدر هو وذكر هو قالوا وكذلك يراد في السريانية ليط والذين قالوا هو المعز قالوا هو فى لسان اليونان المعز ويعترض على هذين القولين بان المسيح لم تكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية ويجاب عنه بانه تكلم بالعبرانية وترجم عنه بلغة أخرى كما املوا احد الاناجيل باليونانية وآخر بالسريانية والآخر بالرومية وواحد منها بقى عبرانياً وقد اختلف فيه فمن النصارى من قال هو روح نزلت على الحواريين وقد يقولون انه السن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلت الآيات والعجائب ولهذا يقول من خبر احوال النصارى انه لم ير احد منهم يحسن تحقيق مجيء هذا الفارقليط الموعود به ٠٠منهم من يزعم انه المسيح نفسه لكونه جاء بعد الصلب باربعين يوماً وكونه قام من قبره . وتفسيره بالروح باطل وابطل منه تفسيره بالمسيح لوجوه منها ان روح القدس مازالت تنزل على الانبياء والصالحين قبل المسيح وبعده وهذا مما اتفق عليه اهل الكتاب ان روح القدس نزلت على الانبياء

فان انتم ثبتم في كلامى وثبت كلامي فيكم كان لكم كل ما تريدون وبهذا يمجد ابي وقال ايضاً اذا جاء الفارقليط الذى ابي ارسله روح الحق الذى من ابى هو يشهد لى قلت لكم هذا حتي اذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه وقال أيضاً ان خيراً لكم ان انطلق لابي ان لم اذهب لم يأتكم الفارقليط فاذا انطلقت أرسلته اليكم فهو يوبخ العالم على الخطيئة وان لى كلاماً كثيرا اريد ان أقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن اذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى ويعرفكم جميع ما للاب. وقال يوحنا الحوارى قال المسيح ان اركون العالم سيأتي وليس لي شيء. وقال متى التلميذ قال المسيح الم يقروا ان الحجر الذى ارذله البناؤن صار راساً للزاوية من عند الله كان هذا وهو عجيب فى اعيننا ومن اجل ذلك اقول لكم ان ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع الى أمة أخرى تأكل ثمرها ومن سقط على هذا الحجر ينشرح وكل من سقط هو عليه يمحقه. وقال يوحنا التلميذ في كتاب رسائل التلاميذ المسمى بفراكسيس يا اخاى اياكم ان تؤمنوا بكل روح لكن ميزوا الارواح التي من عند الله من غيرها واعلموا ان كل روح يؤمن بان يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانياً فهى من عند الله وكل روح لا يؤمن بان يسوع المسيح جاء وكان جسدانياً فليست من عند الله بل من المسيح الكذاب الذي سمعتم به وهو الآن في العالم. وقال شمعون الصفا رئيس الحواريين فى كتاب فراكسيس انه قد حان ان يبتدىء الحكم من بيت الله ابتداء*قلت وهذا اللفظ لفظ الفارقليط في لغتهم ذكروا فيه اقوالا. قيل انه الحماد وقيل

كل ما قلت لكم . وقال اذا جاء الفارقليط الذى أبي ارسله وهو يشهد لي
قلت لكم هذا حتى اذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه وقال ان خيرا
لكم ان انطلق لانى ان لم اذهب لم يأتكم الفارقليط فاذا انطلقت
أرسلته اليكم فهو يوبخ العالم على الخطيئة وان لي كلاما كثيرا اريد ان
اقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن اذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم
الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم
بكل ما يأتي و يعرفكم جميع ما للاب فهذه الصفات والنعوت التي تلقوها
عن المسيح لا تنطبق على شيء فى قلب بعض الناس لا يراه احد ولا
يسمع كلامه وانما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه فيشهد
للمسيح ويعلمهم كل شيء ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح ويوبخ العالم
على الخطيئة ويرشد الناس الى جميع الحق وهو لا ينطق من عنده بل
يتكلم بما يسمع ويخبرهم بكل ما يأتى ويعرفهم جميع ما لرب العالمين
وهذا لا يكون ملكا لا يراه احد ولا يكون هدى ولا علما فى قلب
بعض الناس بل لا يكون الا انساناً عظيم القدر يخاطب الناس بما اخبر به
المسيح وهذا لا يكون الا بشرا رسولا بل يكون أعظم من المسيح فان
المسيح بين انه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح من خطاب الناس في
امور عظيمة لا تحملها عقول اولئك ويعلم ما لا يعلمه المسيح ويخبر بكل
ما يأتى وبما يستحقه الرب حيث قال وان لي كلاماً كثيرا اريد ان
أقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله ولكن اذا جاء روح الحق ذاك
الذي يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم
بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى ويعرفكم جميع ما للاب وهذه الصفات

والصالحين قبل المسيح وبعده وليست موصوفة بهـذه الصفات وقد قال تعالى (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين اللهم ايده بروح القـدس وقال ان روح القدس معك مازلت تنافح عن نبيه واذا كان كذلك ولم يسم احد هذه الروح فارقليطا دل على ان الفارقليط أمر غـير هذه وايضاً فمثل هذه مازالت يؤيد بها الانبياء والصالحون وما بشر به المسيح أمر عظيم يأتي بعده اعظم من هذا . وايضاً فانه وصف الفارقليط بصفات لاتناسب هذا وانما تناسب رجلا يأتي بعده نظيراً له فانه قال ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياى وانا اطلب من الاب ان يعطيكم فارقليطا آخر يثبت معكم الى الابد. فقوله فارقليطا آخر دل على انه ثان لاول كان قبله ولم يكن معهم في حياة المسيح الا هو لم تنزل عليهم روح فعلم ان الذى يأتي بعده نظيراً له ليس أمراً معتادا يأتى الناس وايضاً فانه قال يثبت معكم الى الابد وهـذا انمـا يكون لما يدوم ويبقى معهم الى آخر الدهر ومعلوم انه لم يرد بقاء ذاته فعلم انه بقاء شرعه وامره فعلم ان الفارقليط الاول لم يثبت معهم شرعه ودينه الى الابد وهذا يبين ان هذا الثاني صاحب شرع لاينسخ بخلاف الاول وهذا انمـا ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم وايضاً فانه اخبر ان هذا الفارقليط الذى اخبر به يشهد له ويعلمهم كل شيء وانه يذكرهم كل ما قال المسيح وانه يوبخ العالم على الخطيئة فقال والفارقليط الذى يرسله ابي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم

الاعمال والجنة وانواع نعيمها والنار وأنواع عذابها فلهـذا كان في القرآن من تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار وما يأتى من ذلك أمور كثيرة لا توجدلا في التوراة ولا في الانجيل وذلك تصديق قول المسيح انه يخبر بكل مايأتى ومحمد بعثه الله بين يدى الساعة كما قال بعثت انا والساعـة كهاتين وأشار باصبعيه السبابة والوسطى وكان اذا ذكر الساعة علا صوته واحمر وجهه واشتد غضبه كانه منذر جيش وقال اني نذير لكم بين يدى عذاب شديد وقال أنا النـذير العريان فاخبر من الامور التي تأتى في المستقبل بما لم يخبر به نبى من الانبياء كما نعته به المسيح حيث قال انه يخـبركم بكل مايأتى ولا يوجد مثل هذا قط عن أحد من الانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن ان يوجد شيء ينزل على قلب بعض الحواريين وايضاً فقـال ويعرفكم جميع ما للرب فبـين انه يعرف الناس جميع ما لله وذلك يتناول ما لله من الاسماء والصفات وما له من الحقوق وما يجب من الايمان به وبملائكته وكتبه ورسله بحيث يكون مايأتى به جامعاً لكل مايستحقه الرب وهذا لم يأت به أحد غير محمد حيث يتضمن ماجاء به من الكتاب والحكمة هذا كله ومعلوم ان مانزل على الحواريين لم يكن فيه هذا كله ولا نصفه ولا ثلثه بل ماجاء به المسيح أعظم مما جاءبه الحواريون وهذا الفارقليط الثـانى جاء بأعظم مما جاء به المسيح وأيضاً فان المسيح قال اذا جاء الفارقليط الذى ارسله ابي هو يشهد لي قلت لكم هذا حتى اذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه فبين انه أخبركم به لتؤمنوا به اذا جاء ولا تشكوا فيـه وانه يشهد له وهذه صفة من بشر به المسيح ويشهـد

لاتنطبق الا على محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان الاخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات وعن ملائكته وعن ملكوته وعن ما اعده الله في الجنة لاوليائه وفي النار لاعدائه امر لا يحتمل عقول كثير من الناس معرفته على التفصيل ولهذا قال علي رضى الله عنه حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ماينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وقال ابن مسعود ما من رجل يحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم • وسأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن) قال مايؤمنك ان لو اخبرتك بتفسيرها لكفرت وكفرك بها تكذيبك بها فقال لهم المسيح عليه السلام ان لي كلاما كثيرا أريد ان اقوله ولكنكم لاتستطيعون حمله وهو الصادق المصدوق في هذا ولهذا ليس في الانجيل من صفات الله وصفات ملكوته ومن صفات اليوم الآخر الا امور مجملة وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر الا امور مجملة مع ان موسى كان قد مهد الامر للمسيح ومع هذا فقد قال لهم المسيح ان لي كلاماً كثيراً اريد ان قوله ولكنكم لاتستطيعون حمله ثم قال ولكن اذا جاء روح الحق ذلك الذي يرشدكم الى جميع الحق وقال انه يخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم بجميع ما للرب فدل هذا على ان هذا الفارقليط هو الذي يفعل هذا دون المسيح وكذلك كان محمد صلى الله عليه وسلم ارشد الناس الى جميع الحق حتى اكمل الله له الدين واتم به النعمة ولهذا كان خاتم الانبياء فانه لم يبق شيء يأتي به غيره وأخبر محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما يأتي من اشراط الساعة والقيامة والحساب والصراط ووزن

بحقائق الامور ومحمد صلى الله عليه وسلم أيده الله تأييداً لم يؤيده
لغيره فعصمه من الناس حتى لم يخف من شيء بقوله وأعطاه من البيان
والعلم مالم يؤته غيره فالكتاب الذى بعث به فيه من بيان حقائق
الغيب ماليس فى كتاب غيره وأيد أمته تأييداً أطاقت به حمل ما ألقاه
اليهم فلم يكونوا كاهل التوراة الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ولا كاهل
الانجيل الذين قال لهم المسيح ان لي كلاما كثيراً أريد ان أقوله
لكم ولكن لاتستطيعون حمله وروى ان المسيح قال جئتكم بالامثال
وهو يجيئكم بالتأويل ولا ريب ان أمة محمد اكمل عقولا وأعظم ايمانا وأتم
تصديقاً وجهاداً ولهذا كانت علومهم وأعمالهم القلبية وايمانهم أعظم
وكانت العبادات البدنية لغيرهم أعظم قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل
اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق
بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على
الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا
وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وقد ثبت فى الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قال قد فعلت وايضاً فانه أخبر عن
الفارقليط انه يشهد له وانه يعلمهم كل شيء وانه يذكرهم كل ماقال
المسيح ومعلوم ان هذا لايكون الا اذا شهد له شهادة يسمعها الناس
لا يكون هذا شيئاً في قلب طائفة قليلة ولم يشهد أحد للمسيح شهادة
سمعها عامة الناس الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه أظهر أمر المسيح

المسيح كما قال تعالى (واذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه احمد وأخبر انه يوبخ العالم على الخطيئة ولم يوجد أحد وبخ جميع العالم على الخطيئة الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه انذر جميع العالمين من أصناف الناس ووبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان ووبخ جميع المشركين من العرب والهند والترك وغيرهم ووبخ المجوس وكانت مملكتهم أعظم الممالك ووبخ أهل الكتابين اليهود والنصاري وقال في الحديث الصحيح عنه ان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب لم يقتصر على مجرد الامر والنهى بل وبخهم وقرعهم وتهددهم وايضاً فانه اخبر انه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل مايسمع وهذا إخبار بان كل مايتكلم به فهو وحى يسمعه ليس هو شيئاً تعلمه من الناس أو عرفه باستنباطه وهذه خاصة محمد صلى الله عليه وسلم فان المسيح ومن قبله من الأنبياء كانوا يتعلمون من غيرهم مع ما كان يوحى اليهم فعندهم علم غير مايسمعونه من الوحي ومحمد صلى الله عليه وسلم لم ينطق الا بما يسمعه من الوحي فهو مبلغ لما أرسل به وقد قيل له بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فضمن الله له العصمة اذا بلغ رسالاته فلهذا أرشد الناس الى جميع الحق والقى الى الناس مالم يمكن غيره من الانبياء القاءه خوفاً ان يقتلوه كما يذكرون عن المسيح وغيره وقد أخبر المسيح بانه لم يذكر لهم جميع ماعنده وانهم لا يطيقون حمله وهم معترفون بانه كان يخاف منهم اذا أخبرهم

فهو ماجاء في القرآن ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه احمد قالوا
ولا شك عندهم انه اسم مشتق من الحمد مثل مانقول فى لغتنا ضارب
ومضروب واما من فسره بالمعز فلم يعرف قط نبى اعز اهل التوحيد
لله والايمان كما اعزهم محمد فهو احق باسم المعز من كل انسان واما
معنى المخلص فهو ايضاً ظاهر فيه فان المسيح هو المخلص الاول كما ذكر
فى الانجيل وهو معروف عند النصارى ان المسيح صلوات الله عليه
قد سمي مخلصاً فيكون المسيح هو الفارقليط الاول وقد بشر بفارقليط
آخر فانه قال وانا اطلب من الاب ان يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم
الى الابد فهذا بشارة بمخلص ثاني يثبت معهم الى الابد والمسيح هو
المخلص الاول واما ماينزل في القلوب فلم يسمه احد مخلصاً ولا فارقليطاً
ولا يجوز ان يفسر كلام المسيح الا بلغته ومعانيه المعروفة فى لغته التي
خاطب بها وكذلك سائر الانبياء بل وسائر الناطقين وقد وصف هذا
المخلص الثانى بأنه يثبت معهم الى الابد ومحمد هو المخلص الذي جاء
بشرع باق الى الابد لاينسخ وايضاً فان في الانجيل انجيل يوحنا ان المسيح
قال ان اركون العالم سيأتي وليس لى شيء وقد ذكروا ان الاركون
بلغتهم العظيم القدر والاراكنة العظماء وقد كانوا يقولون عن المسيح
ان اركون الشياطين يعينه اى عظيم الشياطين وهو من افتراء اليهود
على المسيح فقول المسيح عليه السلام اركون العالم انما ينطبق على عظيم
العالم وسيد العالم وكبير العالم وقد اخبر انه سيأتى فامتنع ان يكون هذا
الاركون المسيح او احدا مثله ولم يأت بعد المسيح من ساد العالم واطاعه
العالم غير محمد صلى الله عليه وسلم وهذا من بشارة المسيح به وقد سئل

وشهد له بالحق حتي سمع شهادته له عامة أهل الارض وعلموا انه صدق المسيح ونزهه عما افترته عليه اليهود وعما غلت فيه النصارى فهو الذى شهد له بالحق ولهذا لما سمع النجاشي من الصحابة ما شهد به محمد للمسيح قال لهم مازاد عيسى على ماقلتم هذا العود وجعل الله أمة محمد شهداء على الناس يشهدون عليهم بما علموه من الحق اذ كانوا وسطاً عدلاً لا يشهدون بباطل فان الشاهد لايكون الا عدلاً بخلاف من جار في شهادته فزاد على الحق أو نقص منه كشهادة اليهود والنصارى فى المسيح وأيضاً فان معنى الفارقليط ان كان هو الحامد أو الحماد او الحمد أو المعز فهذا الوصف ظاهر فى محمد صلى الله عليه وسلم فانه وأمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال وهو صاحب لواء الحمد والحمد مفتاح خطبته ومفتاح صلاته ولما كان حماداً جوزي بوصفه فان الجزاء من جنس العمل فكان اسمه محمدا واحمد واما محمد فهو على وزن مكرم ومعظم وهو الذى يحمد حمدا كثيراً مبالغاً فيه ويستحق ذلك فلما كان احمد كان محمداً وفي شعر حسان ابن ثابت

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

واما احمد فهو افعل التفضيل هو احمد من غيره اى احق بأن يكون محمودا اكثر من غيره يقال هذا احمد من هذا اى هذا احق بأن يحمد من هذا فيكون فيه تفضيل له على غيره فى كونه محمدا فلفظ محمد يقتضي فضله فى الكمية ولفظ احمد يقتضى فضله في الكيفية ومن الناس من يقول احمد اى اكثر حمدا من غيره فعلى هذا يكون بمعنى الحامد والحماد وقال من رجح ان معنى الفارقليط فى لغتهم هو الحمد كما تقدم واذا كان كذلك

شيء تضمن الاصلين اثبات الرسول واثبات التوحيد وان الامر كله لله وهو تحقيق شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقول المسيح ليس لي شيء تنزيه له مما نسب اليه من الربوبية وهذا النفي يشترك فيه جميع الخلق قال الله تعالى لمحمد صلي الله عليه وسلم (ليس لك من الامر شيء) وقال تعالى (قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي) وقال (قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا (أي ملجأ وملاذا) الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) وقال تعالى (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضرا الا ماشاء الله) وايضاً في نبوة اشعيا انه وصف محمدا بانه اركون السلم والسلم والسلام الاسلام فهو يبين انه سيد دين الاسلام ولا ريب ان الانبياء كلهم بعثوا بدين الاسلام لكن لم يظهر هذا الدين واسمه وانتشر ذكره من بينهم في الارض كما ظهر لمحمد فمحمد اركون الاسلام الذي يجمع كل خير وبر كما ان ابليس اركون الشر قال تعالى عن نوح (ياقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجري الا علي الله وامرت ان اكون من المسلمين) فهذا نوح أول رسول بعثه الله الى اهل الارض يذكر انه امر ان يكون من المسلمين وقال تعالى عن ابراهيم (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين

صلى الله عليه وسلم ما كان اول امرك قال دعوة ابي ابراهيم وبشرى
عيسى ورؤيا امى رأت حين ولدتني انه خرج منها نورا ضاءت له قصور
الشام ببصرى وبالجملة فمعلوم باتفاق أهل الارض والاضطرار انه
لم يأت بعد المسيح من ساد العالم باطناً وظاهرا وانقادت له القلوب
والاجساد وأطيع فى السر والعلانية في محياه وبعد مماته في جميع
الاعصار وأفضل الاقاليم شرقا وغربا احد غير محمد فان الملوك
يطاعون ظاهرا لا باطناً ولا يطاعون بعد موتهم ولا يطيعهم اهل
الدين طاعة يرجون بها ثواب الله في الدار الآخرة ويخافون عقاب الله
في الدار الآخرة بخلاف الانبياء. ومحمد اظهر دين الرسل قبله وصدقهم
ونوه بذكرهم وتعظيمهم فبه آمن بالانبياء والرسل مثل موسى والمسيح
وغيرهما أمم عظيمة لولا محمد لم يؤمنوا بهم ومن كان يعرف هؤلاء من
أهل الكتاب كانوا مختلفين فيه كاختلاف اهل الكتاب في المسيح
وكانوا يقدحون في داود وسليمان وغيرهما بما هو معروف عندهم وايضاً
فانه ذكر لهم من الرسل مالم يكونوا يعرفونه مثل هود وصالح وشعيب
وغيرهم ومحمد صلى الله عليه وسلم صدق المسيح في أخباره بانه اركون
العالم فقال انا سيد ولد آدم ولا فخر. آدم فمن دونه تحت لوائي انا خطيب
الانبياء اذا وفدوا وامام الانبياء اذا اجتمعوا وهو صاحب لواء الحمد
وهو صاحب المقام المحمود الذى يغبطه به الاولون والآخرون يوم
القيامة فهو سيد العالمين حقاً وهذا مطابق لقول المسيح انه اركون
العالم فهو اركون الآخرين في الدنيا والآخرة وهو اركون الاولين
والآخرين فى الآخرة وقول المسيح ان اركون العالم سيأتي وليس لي

يلغه محمد ولهذا قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فاصطفى الله جبريل من الملائكة واصطفى محمدا من البشر ولهذا يشير القول الذى هو القرآن الى نزول هذا تارة والى نزول هذا تارة كما قال تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين فهذا الرسول هنا جبريل وقال في الآية الاخرى انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين فهذا الرسول هنا محمد واضافه الى كل منهما بلفظ الرسول لتضمنه انه بلغه عن مرسله لم يقل انه لقول ملك ولا نبي بل كفر من قال انه قول البشر كما ذكر ذلك عن الوحيد وقد قال تعالى في القرآن قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومعلوم ان الرسول نفسه لم ينزله بل أبدل الرسول من الذكر لان الرسول جاء بالذكر ولما كان الرسول الملكي والرسول البشري والذكر المنزل امورا متلازمة يلزم من ثبوت واحد ثبوت الآخرين ومن الايمان بواحد الايمان بالآخرين فيلزم من كون القرآن حقاً كون جبريل ومحمد حقا وكذلك يلزم من كون محمد حقا كون جبريل والقرآن حقا ويلزم من كون جبريل حقا كون القرآن ومحمد حقا ولهذا جمع الله بين الايمان بالملائكة وبالانبياء من جهتين من جهة انهم أخبروا به قبل ان يبعث بسنين كثيرة فكان الامر كما أخبروا به . وهذا آية لنبوتهم . وإخبارهم بنبوته دليل على نبوته فصار مافي الكتب المتقدمة من خبره دليلاً على نبوة من قبله وعلى نبوته وكما ان اخباره

ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا
تموتن الا وانتم مسلمون وقال موسى لقومه ياقوم ان كنتم آمنتم بالله
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقالت بلقيس رب انى ظلمت نفسي
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقالت السحرة لما اسلموا واراد
فرعون قتلهم ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال انا انزلنا التوراة
فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا وقال واذ
اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا
مسلمون وقال تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى
الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون
ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين. فان قيل فقد
سمى المسيح الفارقليط روح الحق وسماه روح القدس . قيل قد قال
يوحنا فى كتاب اخبار الحواريين المسمى افراكسيس يا احبابى اياكم
ان تؤمنوا بكل روح لكن ميزوا الارواح التي من عند الله من غيرها
واعلموا ان كل روح يؤمن بان يسوع المسيح قد جاء فكان جسدانياً
فهى من عند الله وكل روح لا يؤمن بان المسيح قد جاء وكان جسدانياً
فليست من عند الله بل من المسيح الكذاب الذى هو الآن في العالم
واذا كان كذلك علم ان الروح عندهم يتناول النبى المرسل من البشر .
وجبريل الذى نزل بالوحي على محمد هو روح القدس وهو روح الحق
كما قال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال نزل به الروح
الامين على قلبك وقال من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن
الله وهذا الروح انما جاء بمجيء محمد والكلام الذى نزل به هو الذى

العلم الا قليلا وقال ام حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا وقال تعالى لما قص قصة نوح في سورة هود وهي اطول ما قصه الله في القرآن من قصة نوح تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين فذكر سبحانه ان هذا الذي أوحاه اليه من انباء الغيب ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا فاذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لا من أهل الكتاب ولا من غيرهم وهو لم يعاشر الا قومه وقومه يعلمون ذلك منه ويعلمون انهم لم يكونوا يعلمون ذلك ويعلمون ايضاً انه هو لم يكن تعلم ذلك وانه لم يكن يعاشر غيرهم وهم لا يعلمون ذلك صار هذا حجة على قومه وعلى من بلغه خبر قومه ومثل هذا ما اخبرهم عن قصة آدم وسجود الملائكة له وتزيين ابليس له حتى اكل من الشجرة وهبط هو وزوجته واخبرهم عن نوح ودعائه على قومه ومكثه فيهم الف سنة الا خمسين عاماً وهذا في التوراة الموجودة بايدي أهل الكتاب مقدار لبثه في قومه قبل الغرق وبعده وأخبرهم عن قصة الخليل وما جرى له مع قومه والقائه في النار وذبح ولده ومجيء الملائكة اليه في صورة ضيفان وتبشيره باسحاق ويعقوب وذهاب الملائكة الى لوط وماجرى للوط مع قومه واهلاك الله مدائن قوم لوط وقصة يعقوب مع بنيه كقصة يوسف وما جرى له بمصر وقصة موسى مع فرعون وتكليم الله اياه مرة بعد مرة وآياته كالعصى واليد البيضاء والقمل والضفادع والدم وفلق البحر وتظليل الغمام على بني اسرائيل واطعامهم المن والسلوى وانفجار الماء من الحجر اثني عشر عينا لسقيهم

هو ايضاً عنهم مع بعد العهد خبراً لم يتعلمه من بشر دليلاً على نبوته وقد اخبر بنبوتهم فثبتت نبوته ونبوتهم صلى الله عليهم أجمعين. الجهة الثانية انه اخبر بمثل ما أخبروا به من غير مواطاة بينهم وبينه ولا تشاعر لم يأخذوا عنه ولم يأخذ عنهم وكل منهما أخبر عن الله باخبار مفصلة يمتنع الاتفاق عليها عادة الا بتواطئ فاذا لم يكن تواطؤ وتشاعر وامتنع اتفاق ذلك من غير مواطأة علم ان كلا من المخبرين صادق قال تعالى لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين وقص قصته في السورة الى ان قال ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون الى قوله قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد كان فى قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا وقال ويسئلونك عن الروح قل الروح من من أمر ربى وما اوتيتم من

لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه ولو أظهروا ذلك لنقل ذلك وعرف فان هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها. الرابع انه حين بعث كان الناس اما مشركا واما كتابياً فلم يكن هناك أحد على الدين الذى دعا اليه وقد علم الناس بالتواتر ان المشركين من قريش وغيرهم لم يكونوا يعرفون هذه القصص ولو قدر انهم كانوا يعرفونها فهم أول من دعاهم الى دينه فعادوه وكذبوه فلو كان فيهم من علمه أو يعلم انه تعلم من غيره لاظهر ذلك. الخامس ان مثل هذا لو كان فلا بد ان يعرفه ولو خواص الناس وكان فى أصحابه الذين آمنوا به من يعرف ذلك وكان ذلك يشيع ولو تواصوا بكتمانه كما شاع ما كتم من أمر الدول الباطنية ولكان خواصه فى الباطن يعلمون كذبه وكان علمهم بذلك يناقض تصديقه في الباطن كما عرف في نظائر ذلك فكيف وكان أخص أصحابه وأعلمهم بحاله اعظمهم محبة وموالاة بخلاف حال من يبطن خلاف مايظهر فان خواص أصحابه لا يعظمونه في الباطن فاذا علم الناس ان قومه الذين كانوا معادين له غاية العداوة وكانوا يطلبون القدح في نبوته بكل طريق يخبرون انه لم يكن عندهم بشر يعلمه مثل هذا وانه لم يكن فى قومه ولا بلده من يعرف هذا. علم الناس ما علمه قومه من ان هذا انما انبأه به الله وكان هذا من اعلامه وآياته وبراهينه وهذا مما بين الله فى القرآن انه من آياته وانه حين أخبر قومه بهذا مع تكذيبهم وفرط عداوتهم له لم يمكن أحدا منهم ان يقول له بل فينا من كان يعلم ذلك وانت كنت تعلم ذلك وقد تعلمته منا أو من غيرنا فكان اقرارهم بعدم علمه وعلمهم مع فرط عداوتهم له اية بينة لجميع الامم انه لم يكن هو

وعبادتهم العجل وقتل بعضهم بعضا لما تاب الله عليهم وقصة البقرة ونتق الجبل فوقهم وقصة داود وقتله لجالوت وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم وقصة الذى اماته الله ماية عام ثم بعثه وغير ذلك من أحوال بني اسرائيل الى ان ذكر قصة زكريا وابنه يحيي وعيسى بن مريم وأحوال المسيح وآياته ودعائه لقومه والايات التي بعث بها وتفاصيل ذلك وذكر قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وغير ذلك من قصص الانبياء والصالحين والكفار مفصلة مبينة بأحسن بيان واتم معرفة مع علم قومه الذين يعرفون أحواله من صغره الى ان ادعى النبوة انه لم يتعلم هذا من بشر بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك لايهودى ولا نصرانى ولا غيرهم كان هذا من عظيم الآيات والبراهين لقومه بان هذا انما اعلمه به وانبأه به الله ومثل هذا الغيب لايعلمه الا نبي أو من اخذ عن نبي فاذا لم يكن هو قد أخذه عن نبى تعين ان يكون نبياً ثم سائر أهل الارض يعلمون انه لم يتعلم ذلك من بشر من طرق أحدها ان قومه المعادين له الذين هم من أحرص الناس على القدح فى نبوته مع كمال علمهم لو علموا انه تعلم ذلك من بشر لطعنوا عليه بذلك وأظهروه فانهم مع علمهم بحاله يمتنع ان لايعلموا ذلك لو كان ومع حرصهم على القدح فيه يمتنع ان لايقدحوا فيه ويمتنع ان لا يظهر ذلك* الثانى انه قد تواتر عن قومه انهم كانوا يقولون انه لم يكن يجتمع به من يعلمه ذلك * الثالث انه لو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من اهل الكتاب مع عداوته لهم

ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليـه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أمر بالنظر فى كيفية ما ضربوه من الأمثال حيث شبهوه بمن يظهر الفرق بينه وبينـه ظهوراً لايخفى على الناظر ولهذا قال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اذ كان ظاهراً ان هـذا ضلال عن طريق الحق فلا يستطيع الضال عن طريق الحق اليه سبيلا وقال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان اية والله أعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهـدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) فاخبر عما افتراه بعضهم من قوله انما يعلمه هدى القرآن بشر وكان بمكة مولى أعجمى لبعض قريش قيل انه مولى لبنى الحضرمى والنبي لا يحسن يتكلم باللسان العجمى وذاك لا يحسن يتكلم بهذا اللسان العربي فلما قالوا انه افترى هدي القرآن وانه علمـه اياه بشر قال تعالى لسان الذى يلحدون اي يضيفون اليه هدى التعليم وينسبونه اليه وعبر عنه بلفظ الالحاد لما فيه من الميل فقال لسان هذا الشخص الذى قالوا انه يعلمه القرآن لسان أعجمى وهم لم يمكنهم ان يضيفوا هدى التعليم الى رجل عربي بل الى هدى لاعجمي لكونه كان ربما يجلس أحيانا الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك الاعجمى لا يمكنه ان يتكلم بهدي الكلام العربي

ولاهم يعلمون ذلك ولهذا لما كان بعضهم يفترى عليه فرية ظاهرة
كانوا كلهم يعلمون كذبه واذا اجتمعوا وتشاوروا في أمره يعترفون
ان هذا كذب ظاهر عليه كما كان بعضهم يقول انه مجنون وبعضهم
يقول انه كاهن وبعضهم يقول انه ساحر وبعضهم يقول انه معلم تعلمه
من بشر وبعضهم يقول اضغاث أحلام فحكى الله أقوالهم مبينا ظهور
كذب من قال ذلك وانه قول ضال حائر قد بهره حال الرسول فحار
فلم يدر مايقول كما قال تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة
لايخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعا ولا يملكون
موتاً ولا حياةً ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه
وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وزورا وقالوا أساطير الاولين
اكتتبها فهى تملي عليه بكرة وأصيلا قل انزله الذى يعلم السر في السموات
والارض انه كان غفورا رحيما) فاخبر عمن قال ذلك وهم يعلمون ان هذا
من أظهر الكذب فان هذه القصص المذكورة فى القرآن لم يكن بمكة من
يعرفها فضلا عن ان يعلمها كما قال (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك) وقال (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) ولهذا قال
(قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) فاخبر ان هذا من علم من
يعلم السر اذ كان البشر لايعلمون ذلك الا من جهة أخبار الانبياء
وليس بمكة من يعلم ما أخبرت به الانبياء ثم ذكر ما اقترحوه فقال
(وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الاسواق لولا انزل اليه

الآية والانسان انما يعلم مثل هــذا بمشاهدة أو خبر فنبه بقوله وما كنت لديهم على انك انما علمت ذلك باخبارنا وايحائنا اليك واعلامنا لك بذلك اذ كان معلوما عند كل من عرفه انه لم يسمع ذلك من بشر وانه لم يكن هو ولا قومه يعلمون ذلك وقد قال تعالى (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدريكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبــله أفلا تعقلون) بين بذلك ان تلاوته عليهم هذا الـكتاب وادراءهم أي اعلامهم به هو بمشيئة الله وقدرته لامن تلقاء نفسه كما قال قبل هذا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي ان أبدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحي الي اني أخاف ان عصيت ربي يوم عظيم قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدريكم به) الآية فبين انه لبث فيهم عمراً من قبله وهو لايتلو شيئاً من ذلك و لايعلمهم به فليس الامر من جهته ولكن من جهة الله الذي لو شاء ماتلاه عليهم ولا أدراهم به وتلاوته عليهم وادراؤهم به هو من الاعلام بالغيوب الذي لايعلمها الا نبي وبين ان ذلك من الارسال الديني الذي يحبه الله ويرضاه لامن الكونى الذي قدره وقضاه وهو لا يحبه ولا يرضاه كارسال الشياطين ولهذا كانوا يعرضون عليه ان يصير ملكا عليهم، وان يعطوه حتى يكون من أغناهم وان يزوجوه ما شاء من نسائهم فيقول لو وضعتم الشمس في يميني والقمر فى شمالي على ان أدع هذا الامر لم أستطع ان أدعه وهذه الثلاث هى مطلوب النفوس من الدنيا (السلطان والمال والنساء) فعرض عن قبول الدنيا التي هى غاية أماني طالبها وبين انه لا يقدر على ان يدع ما أمر به من تبليغ الرسالة قال تعالى.

بل هو أعجمي ومحمد لا يعرف بالعجمية لكن غاية ذاك الأعجمي كعبد بني الحضرمي ان يعرف قليلا من كلام العرب الذي يحتاج اليه في العادة مثل الالفاظ التي يحتاج اليها في غالب الاوقات كلفظ الخبز والماء والسماء والارض ولا يعرف ان يقرأ سورة واحدة من سور القرآن فبين سبحانه ظهور كذبهم فيما افتروه ولم يقل أحد منهم ما يمكن ان يكون شبهة في تعلمه أنباء الغيب من علماء أهل الكتاب ونحو ذلك وانما قالوا ما ظهر بطلانه لكل أحد ولم ينقل عن أحد منهم انه قال قولا يخفى بطلانه بل ما يظهر كذبه لكل أحد فتبين انه لم يمكنهم ان يقولوا انه تعلم أخبار الغيوب من أحد وهذه القصة قصة نوح لاسيما قصته المستوفاة في سورة هود كما تقدم لا يعلمها الا نبي أو من تلقاها عن نبي فاذا عرف انه لم يتلقها عن أحد علم انه نبي ولهذا قال تعالى في آخرها تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) والقول في سائر القصص كالقول فيها وكما قال في سورة يوسف ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون وقال في سورة آل عمران لما ذكر قصة ذكريا ومريم (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) وقال في قصة موسى (وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك»

متواتر عند من غاب عنه وبلغته اخباره من جميع الناس انه كان امياً لا يقرأ كتاباً ولا يخط كتاباً من الكتب لا المنزلة ولا غيرها ولا يقرء شيئاً مكتوباً لا كتاباً منزلاً ولا غيره ولا يكتب بيمينه كتاباً ولا ينسخ شيئاً من كتب الناس لا المنزلة ولا غيرها ومعلوم ان من يتعلم من غيره اما ان يأخذ تلقيناً وحفظاً واما ان يأخذ من كتابة وهو لم يكن يقرأ شيئاً من الكتب من حفظه ولا يقرأ مكتوباً والذي يأخذ من كتاب غيره اما ان يقرأه واما ان ينسخه وهو لم يكن يقرأ ولا ينسخ وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين او لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل) الى قوله (وماتنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك أثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) فقال تعالى (وانه لفي زبر الاولين) وقال (او لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل) وعلماء بني اسرائيل يعلمون ذكر ارسال محمد ونزول الوحي عليه كما قال تعالى (الذي يجدونه

« وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلافك الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) ولا تجد لسنتنا تحويلا بين سبحانه انهم طلبوا ان يمنعوه بكل طريق فان الانسان انما يتم عمله بارادته وقدرته فمع الارادة الجازمة والقدرة التامة يجب وجوب المقدور واذا تعذر أحدهما امتنع فطلبوا تغيير ارادته ليركن اليهم فيغير ما أوحي اليه فعصمه الله وثبته ثم طلبوا تعجيزه بان يستفزوه ويخرجوه حتى يعجز عن تبليغ رسالة ربه ولو كان ذلك لعاجلهم الله بالعقوبة اسوة من تقدمه من الرسل فان الله كان اذا اراد اهلاك امة اخرج نبيها من بينها ثم اهلكها لا يهلكها وهو بين اظهرها كما قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهذا بعد قوله (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فلما خرج من بينهم بالهجرة اتاهم الله بعذاب اليم يوم بدر وغيره فقوله ان كادوا ليفتنونك اشارة الى سعيهم في افساد ارادته وقوله (وان كادوا ليستفزونك من الارض اشارة الى سعيهم في تعجيزه) وقال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) بين سبحانه من حاله ما يعلمه العامة والخاصة وهو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه

من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) واما الشرعة والمنهاج فقد قال عن أهل التوراة والانجيل والقرآن(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ولن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) الى قوله لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه واما القبلة فلم يجعل ما ابتدعه اهل الكتاب من القبلة فلذلك قال ولكل وجهة هو موليها لم يقل انا جعلنا لكل وجهة كما قال فى المنسك والشرعة والمنهاج وقال تعالى (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه اولم تأتهم بينة مافي الصحف الاولى) فانه اذا أتاهم ببيان مافي الصحف الاولى مع علمهم بأنه لم يباشر أحداً من أهل الصحف الاولى ولا استفاد منهم علماً كان هذا من أعظم الآيات من الله وكما ان أخباره عن أمور الغيب يدل على نبوته فانه يدل على ان النبوة أنباء من الله ليس ذلك كما يقوله بعض المتفلسفة كابن سينا وامثاله انه فيض فاض عليه من النفس الفلكية او العقل الفعال ويقولون ان النفس او العقل هو اللوح المحفوظ وان من اتصلت نفسه به علم ما علمته الانبياء ويقولون النبوة مكتسبة لان هذه صفتها ويقولون ان سبب علمه بالغيب هو اتصال نفسه بالنفس الفلكية ويزعمون انها اللوح المحفوظ وان تحريكها للافلاك هو سبب حدوث الحوادث فى الارض فتكون عالمة بما يحدث في الارض لان العلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب فان هذا مبني على مقدمات باطلة قد بسط الكلام على بطلانها في موضع آخر منها

مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق وقال (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) وقال (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) ويعلمون المعاني التي فيه انها موافقة لاقوال الرسل قبله فى الخبر والامر فانه أخبر عن توحيد الله وصفاته وعرشه وملائكته وخلقه السموات والارض وغير ذلك بمثل ما أخبرت به الرسل قبله وأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لاشريك له وبالعدل والصدق والصلاة والزكاة ونهى عن الشرك والظلم والفواحش كما أمرت ونهت الرسل قبله والسور المكية نزلت بالاصول الكلية المشتركة التي اتفقت عليها الرسل التي لابد منها وهي الاسلام العام الذى لايقبل الله من أحد من الاولين والآخرين ديناً غيره وأما السور المدنية ففيها هذا وفيها مايختص به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرعة والمنهاج فان دين الانبياء واحد كما ثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد قال الله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم كل حزب بما لديهم فرحون) وقال تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاه ولا تكونوا من المشركين

لتعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) فنزه كلا من الرسولين عما قد يشتبه به • نزه الملك ان يكون شيطاناً • ونزه البشر ان يكون شاعراً او كاهناً وبين برهان ذلك وآيته فقال (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فبين انه ما يصلح لهم النزول به بل هم منهيون عن ذلك وهم ممتنعون عن ذلك لايريدوه لمنافاته لمقصودهم وانهم لو أرادوا ذلك لعجزوا عن ذلك فلم يستطيعوه اذ كانوا معزولين عن ان يسمعوه من الملأ الاعلى وهم انما يقدرون على ان ينزلوا بما سمعوه لا بما لم يسمعوه وذلك ان الفاعل للفعل انما يفعله اذا كان مريداً له قادراً عليه فبين بقوله وماينبغي لهم انهم لايريدون تنزيله وبقوله وما يستطيعون انهم عاجزون عن تنزيله • اما كونهم لايريدون فلأنه لاينبغي لهم وينبغي مضارع بغى يبغي أي طلب واراد فالذي لاينبغي للفاعل هو الذي لايطلبه ولا يريده اما لكونه ممتنعاً من ذلك او لكونه ممنوعا منه والشيطان انما يريد الكذب والفجور لايريد الصدق والصلاح وما جاء به الرسول مناقض لمراد الشياطين غاية المناقضة فلم يحدث في الارض أمر أعظم مناقضة لمراد الشياطين من ارسال محمد ونزول القرآن عليه فيمتنع ان تفعل الشياطين مالايريدون الا نقيضه وهم أيضاً ممنوعون من ذلك بحيث لايصلح لهم ذلك ولا يتأتى منهم كما ان الساحر لاينبغي له ان يكون نبياً والمعروف بالكذب والفجور لاينبغي له مع ذلك ان يكون رسولا ولا ان يكون حاكما ولا شاهداً ولا مفتياً اذ الكذب والفجور يناقض مقتضى الرسالة والحكم والشهادة

اثبات العقل الفعال ومنها دعواهم انه لا سبب للحوادث الا حركة الفلك ومنها ان المحرك له هو النفس ومنها ايصال نفوسنا بتلك النفس والمقصود هنا ان هذا لو كان حقاً فانما يفيد علماً بالمستقبل الذى تكون الحركة الحاضرة سبباً له اماما قد مضى قبل ذلك بمئين او ألوف من السنين فليس شيء من حركات الفلك حين مبعث الرسول كان سبباً له وانما تكون الحركة الموجودة في زمانه سبباً للمستقبل لا للماضي وحينئذ فلا يكون تحريك النفس للفلك سبباً للعلم بهذه الامور ولا يكون ذلك هو اللوح المحفوظ بل القرآن المجيد فى لوح محفوظ وهو في أم الكتاب فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون واخبر سبحانه انه نزل به الروح الامين وقال فى آية أخرى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال في موضع آخر قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله وقال انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين وقال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) فذكر انه قول رسول اصطفاه من الملائكة نزل به على رسول اصطفاه من البشر فقال انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانه

كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) قال سعيد بن جبير وغيره الاحزاب هي الملل كلها قال وهذا تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يسمع بى من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم لايؤمن بى الا دخل النار ٠ وقرأ هذه الآية ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده وقالت الجن انا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى الآية وقال النجاشي لما سمع القرآن ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وقال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي هذا هو الناموس الذى كان يأتى موسى وايضاً فكان معروفا عندهم اخبار الكهان عن الشياطين التي تسترق السمع فلما رؤا ان السماء قد حرست حرساً شديداً خلاف العادة علموا ان الشياطين منعوا استراق السمع وعلمت الجن ذلك كما تقدم وقد قالت الجن (انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديدا وشهباً وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندرى اشر اريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) وقد تواترت الاخبار بانه حين المبعث كثر الرمي بالشهب وهذا أمر خارق للعادة حتى خاف بعض الناس ان يكون ذلك لخراب العالم حتى نظروا هل الرمي بالكواكب التي في الفلك ام الرمي بالشهب فلما رأوا انه بالشهب علموا انه لامر حدث وأرسلت الجن تطلب سبب ذلك حتى سمعت القرآن فعلمت انه كان لاجل ذلك كما جاء في الصحيحين عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين

والفتيا فكذلك مافي طبع الشياطين من ارادة الكذب والفجور يناقض ان تتنزل بهذا الكلام الذى هو فى غاية الصدق والعدل لم يشتمل على كذبة واحدة ولا ظلم لاحد . ثم قال وما يستطيعون فانهم عن سمع هذا الكلام لمعزولون بما حرست به السماء من الشهب كما قال عن الجن (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) وقد ذكرنا تواتر هذا الخبر وان السماء حين مبعثه حرست حرساً لم يعهده الناس قبل ذلك ورأى الناس ذلك بأبصارهم فكانوا قد عاينوا ماأخبرهم به من الرمي بالشهب التي يرمى بها لطرد الشياطين فعزلوا بذلك عن سمع الملاء الاعلى وكان ماعاينه الكفار من الرمي الشديد العام الذى انتقضت به العادة المعروفة فى رمي الشهب دليلا على سبب خارق للعادة ولم يحدث اذ ذاك فى الارض امر لم تجر به العادة الا ادعاء للرسالة فلم يعرف قبله ولا بعده من نزل عليه الكلام كنزوله عليه اذ كان موسى عليه السلام انما انزلت عليه التوراة مكتوبة لم تنزل عليه منجمة مفرقة ملقاة اليه حفظاً حتى تحتاج السماء الى حراسها عن استراق سمعها . والزبور تابع لشرع التوراة وكذلك الانجيل فرع على التوراة لم ينزل كتاب مستقل الا التوراة والقرآن كما قال تعالى (قل فأتوا بكتاب من عندالله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين) ولهذا يقرن سبحانه بين التوراة والقرآن كثيرا كما في قوله (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ماانزل على بشر من شيء قل من انزل التوراة الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس، الى قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه) وقال (ائتن

نبياً رجموا ليلة من الليالي ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير ويحكم يامعشر الطائف امسكوا عن أموالكم وانظروا الى معالم النجوم فان رايتموها مستقرة في امكنتها فلم يهلك اهل السماء انما هذا من اجل ابن ابي كبشة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وان انتم لم تروها فقد هلك اهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن اموالهم وفزعت الشياطين في تلك الليلة فأتوا ابليس فحدثوه بالذى كان من امرهم • فقال ائتونى من كل ارض بقبضة من تراب اشمها فأتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين قدموا مكة فوجدوا نبي الله صلى الله عليه وسلم قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرا القرآن فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ثم اسلموا فانزل الله عز وجل شأن امرهم على نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا من أعلام النبوة ودلائلها وقبل زمان البعث وبعده كان الرمي خفيفاً لم تمتلئ به السماء كما ملئت حين نزول القرآن وقوله تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) والافاك الكذاب والاثيم الفاجر كما قال (لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ولا يزال

الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم؟ قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب • قالوا ماحال بينكم وبين خبر السماء الا لامر حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ماهذا الامر الذي حدث • فانطلقوا فضربوا مشارق الارض ومغاربها ينظرون ما هذا الامر الذى حال بينهم وبين خبر السماء • قال فانطلقوا نحو تهامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة وهو عامد الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً فانزل الله على نبيه قل اوحى الي انه استمع نفر من الجن وروى الامام احمد عن ابن عباس قال كان الجن يستمعون الوحى فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ماسمعوا حقاً وما زادوه باطلا وكانت النجوم لايرمي بها قبل ذلك فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لايقعد مقعده الا رمي بشهاب يحرق ما أصاب فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا من أمر قد حدث فبث جنوده فاذاهم بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فاتوه فاخبروه فقال هذا الحدث الذى حدث فى الارض وروى ابن ابى حاتم باسناده عن السدي زعم ان السماء لم تكن تحرس الا ان يكون في الارض نبي أو دين لله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد صلى الله عليه وسلم قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون مايحدث فى السماء من امر حتى لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم

يبين ان النبي لايكون الا باراً معصوماً ان يصرّ على ذنب

(فصل) وقد ذكرنا ان قومه المعادين له غاية العداوة مازالوا معترفين بصدقه صلى الله عليه وسلم وانهم لم يجربوا عليه كذباً بل ومعترفين بأن ما يقوله ليس بشعر ولا كهانة وانه ليس بساحر وكانوا في أول أمره يرسلون الى البلاد التي فيها علماء أهل الكتاب يسألونهم عنه لان مكة لم يكن بها ذلك ففي الصحيحين عن ابن عباس ان ابا سفيان ابن حرب حدثه قال انطلقت الى الشام في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبينما انا بالشام اذ جيء بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل قال وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه الى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى الى هرقل • فقال هرقل هل ههنا احد من قوم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي ؟ قالوا نعم قال فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فاجلسنا بين يديه فقال أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم انه نبي؟ قال ابو سفيان فقلت انا • فاجلسوني بين يديه واجلسوا اصحابي خلفي فدعا بترجمانه فقال قل لهم اني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي فان كذبني فكذبوه قال ابو سفيان وايم الله لولا مخافة ان يؤثر علي كذباً لكذبت عليه • ثم قال لترجمانه سله كيف نسبه فيكم ؟ قال قلت هو فينا ذو حسب قال فهل كان في آبائه من ملك ؟ قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال ؟ قلت لا وذكر باقي الحديث وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف وكان أمية اذا انطلق الى الشام فمر بالمدينة

الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً . فالشياطين تنزل على من يحصل مقصودها بنزولها عليه وهو المناسب لها فى الكذب والاثم فاما الصادق البار فلا يحصل به مقصود الشياطين فان الشيطان لايطلب الصدق والبر وانما يطلب الكذب والفجور ومحمد صلى الله عليه وسلم ما زال قومه يعرفونه بينهم بالصادق الامين لم تجرب عليه كذبة واحدة ولما جاءه الروح بالوحى لم يخبر بخبر واحد كذب لاعمداً ولاخطأ ومن تنزلت عليه الشياطين لابد أن يخبر بالكذب فان الشياطين يلقون اليهم السمع ولا يلقون اليهم ما سمعوه على وجهه بل يكذبون فيه كثيراً إذ كان اكثر الشياطين الذين ينزلون عليهم كاذبين فيما ينزلون به عليهم فان الشياطين وان كان كلهم كاذباً فليس كل من التقى السمع يكذب فيما يلقيه بل قد يصدق أحدهم فيما يلقيه من السمع ويسترقه ولو مرة ولكن أكثرهم يكذبون والذى يصدق منهم مرة يكذب مرات والذى ينزل عليه الشياطين افاك اثيم وفى صحيح البخارى عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضى فى السماء فيسترق الشياطين السمع فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم فالفرق بين الصادق البار الذى يأتيه الملك الكريم والكاذب الاثيم الذى يأتيه الشيطان الرجيم فرقٌ مبين يعرف بأدنى معرفة بحال الاثنين ولما كان الكاهن الذى يأتيه شيطان قد يخبر ببعض الامور الغائبة بين سبحانه ان هذا يكون وان صدق في بعض الاخبار كاذباً فاجراً والذى يأتيه أيضاً يأتيه بالكذب فلا يشتبه بمن لايكذب ولا يفجر وهذا مما

قال قال مولاى السايب بن يزيد كنت فيمن بنى البيت وان قريشا اختلفوا في الحجر حين ارادوا ان يضعوه حتى كادوا يقع بينهم قتال بالسيوف فقالوا اجعلوا بينكم اول رجل يدخل من الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يسمونه فى الجاهلية الامين • فقالوا يامحمد قد رضينا بك • وقال ابن اسحاق فى قصة بناء البيت واختلاف قريش فيمن يضع الحجر وانهم مكثوا على ذلك اربع ليال او خمساً ثم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض اهل الرواية ان أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان عامئذ اسن قريش كلهم قال يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه • ففعلوا فكان اول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين قد جاء رضينا هذا محمد فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلم لي ثوبًا فأتي به فأخذ الركن يعنى الحجر الاسود فوضعه فيه بيده ثم قال ليأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم ثم بنى عليه • وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ينزل عليه الوحي الامين • وعن عقيل بن أبي طالب قال جاءت قريش الى أبي طالب فقالوا له ان ابن أخيك يأتينا في كعبتنا ونادينا ويسمعنا مايؤذينا فان رأيت ان يكف عنا فافعل • قال فقال لي ياعقيل التمس ابن عمك • قال فاخرجته من كيس من اكياس شعب أبي طالب فاقبل يمشي حتي انتهى الى ابي طالب فقال له يا ابن أخي والله ماعلمت ان كنت لي

ينزل على سعد فقال لسعد انتظر حتى اذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت فبينا سعد يطوف اذا أبو جهل • فقال من هذا الذى يطوف بالبيت فقال أنا سعد فقال أبو جهل تطوف بالبيت آمنا وقد آويتم محمداً وأصحابه قال نعم فتلاحيا بينهما فقال أمية لسعد لا ترفع صوتك على أبي الحكم فانه سيد أهل الوادي ثم قال سعد والله لان منعتني ان اطوف بالبيت لاقطعن متجرك بالشام قال فجعل أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك وجعل يمسكه فغضب سعد فقال دعنا عنك فاني سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يزعم انه قاتلك قال اياي؟ قال نعم قال والله ما يكذب محمد اذا حدث فرجع الى امرأته فقال اما تعلمين ما قال أخي اليثربي قالت وما؟ قال قال زعم ان محمداً يزعم انه قاتلي • قالت فوالله مايكذب محمد • قال فلما خرجوا الى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته اما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال وأراد ان لايخرج فقال له أبو جهل انك من اشراف الوادي فسر يوماً او يومين فسار معهم فقتله رسول الله وفي رواية انه قال والله مايكذب محمد وعزم ان لايخرج خوفاً من هذا حتى قال له أبو جهل انك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك • فقال اما اذ غلبتني فلاشترين اجود بعير بمكة وذكرته امرأته بقول سعد فقال ما أريد ان اكون معهم الا قريباً وكذلك ما ذكره أهل المغازي وغيرهم ان أمية بن خلف لما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا اقتله ثم طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدشه وجعل أصحابه يجرعونه ويقولون انما هو خدش وليس بشيء فقال والله لو كان بمضر لقتلهم اليس قال لاقتلنك • وعن مجاهد

قال لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم ان الله أرسله. قات فما يقول الناس، قال يقولون شاعر كاهن ساحر وكان انيس أحد الشعراء قال انيس لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على اقراء الشعراء فما يلتئم على لسان أحد يقرى بعدي انه شعر والله انه لصادق وانهم لكاذبون . قال قلت فاكفني حتي أذهب فانظر قال نعم وكن على حذر من أهل مكة فانهم قد سبقوا له وتجهموا قال فاتيت مكة فضفت رجلا منهم فقلت أين هذا الذى تدعونه الصابئ ؟ فاشار الي فقال الصابئ فمال على أهـل الوادى بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً على وذكر الحديث وصفة اسلامه رضى الله عنه بلفظ مسلم وفي حديث البخارى عن ابن عباس ان ابا ذر أرسل أخاه وقال اعلم لي علم هذا الرجل الذى يزعم انه يأتيه الخبر من السماء فاسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الآخر حتي قدم مكة وسمع من قوله ثم رجع الى أبي ذر فقال رأيته يامر بمكارم الاخلاق وكلاما ماهو بالشعر. فقال ما شفيتني فيما أردت فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتي قدم مكة فاتي المسجد وذكر تمام الحديث وعن جابر بن عبد الله قال قال الملاء وأبو جهل لقد غابنا أمر محمـد فلو التمستم رجلا عالماً بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه فأتانا ببيان من أمره .قال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علماً فما يخفى علي ان كان كذلك .فأتاه فلما خرج اليه. قال أنت يامحمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كنت انما بك الرياسة عقدنا لك الرياسة فكنت رأسنا ما بقيت .وان كان بك الباه زوجناك عشر نسوة

مطيعاً وقد جاءني قومك يزعمون انك تأتيهم في كعبتهم وناديهم فتسمعهم ما يؤذيهم فان رأيت ان تكف عنهم ٠ قال فحلق ببصره نحو السماء فقال والله ما انا باقدر على ان ادع ما بعثت به من ان يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من النار ٠ فقال أبو طالب انه والله ما كذب قط فارجعوا راشدين ٠ رواه البخاري في تاريخه وأبو زرعة في الدلائل ورواه ابن اسحاق قريباً من هذا اللفظ وقال فأخرجته من حفش وهو بيت صغير وقال فيه فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قد بدأ لعمه وانه خاذله ومسلمه وضعف عن القيام معه فقال يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الامر حتى يظهره الله او أهلك في طلبه ٠ وفي الصحيحين عن عبدالله بن الصامت قال قال أبو ذر خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلون الشهر الحرام فخرجت أنا وأخي أنيس وامنا فنزلنا على خال لنا فاكرمنا وأحسن الينا فحسدنا قومه فقالوا انك اذا خرجت عن أهلك خالف اليهم أنيس فجاء خالنا فنثا علينا الذي قيل له فقلت له ٠ اما ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لك فيما بعد فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطي خالنا ثوبه يبكي وانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة فنافر أنيس رجلا عن صرمتنا وعن مثلها فاتيا الكاهن فخير انيساً فأتى بصرمتنا ومثلها معها ٠ قال وقد صليت يا ابن أخي قبل ان القى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ٠ قلت لمن ؟ قال لله قلت فاين توجه قال اتوجه حيث يوجهني ربي أصلي عشاء حتى اذا كان من آخر الليل القيت كأني خفا حتى تعلوني الشمس. فقال انيس ان لي حاجة بمكة فاكفني فانطلق انيس حتى اتى مكة فرأث علي ثم جاء فقلت ماصنعت

ورواه ابن اسحاق قال حدثني يزيد بن زياد مولي لبني هاشم عن محمد بن كعب قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيداً حليماوذكرالحديث الى ان قال لما جلس اليهم قالوا ماوراء ياابا الوليد؟ قال ورائي اني والله قد سمعت قولا ماسمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يامعشر قريش اطيعوني واجعلوني خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نباء فان تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعدالناس به .قالوا سحرك والله ياابا الوليد بلسانه قال هذا راي لكم فاصنعوا مابدا لكم ثم ذكر شعر ابي طالب يمدح عتبة فيما قال . وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قالقدم ضماد مكة وهو رجل من ازد شنوءة وكان يرقي من هذه الريح فسمع سفهاء اهل مكة يقولون ان محمدا مجنون فقاللواني رايت هذا الرجل لعلالله ان يشفيه على يدى قال فلقيت محمدا فقلت اني ارقي من هذه الريح وان الله يشفي على يدى من شاء فهلم . فقال محمد ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونسترشده من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له اشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له واشهد انمحمدا عبده ورسولهاما بعد فقال اعدعلي كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال والله لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقولالشعراء فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاءولقد بلغن قاموس البحر . قال فقال هات يدك ابايعك على الاسلام قال فبايعه رسول الله صلىالله عليه وسلمفقال وعلى قومك فقال وعلى قومي الحديث. وعنابن عباس ان الوليد ابن

تختار من اي بنات قريش شئت . وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى به انت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون) الى قوله (فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ان يكف ورجع الى اهله فلم يخرج الى قريش فاحتبس عنهم عتبة فقال ابو جهل يامعشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبى الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فأتاه ابو جهل فقال ياعتبة ما حبسك عنا الا انك صبوت الى محمد واعجبك امره فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب واقسم ان لا يكلم محمداً ابداً وقال لقد علمتم انى من اكثر قريش مالا ولكني اتيته وقصصت عليه القصة فأجابنى بشيء والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمداً اذا قال شيئاً لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب رواه ابو بكر احمد بن مردويه في كتاب التفسير عن محمد بن فضيل عن الاجلح عن الدبال بن حرملة عنه ورواه يحيي بن معين عن محمد بن فضيل ورواه ابو يعلى الموصلى في مسنده ورواه عبد بن حميد عن شيخ ابى يعلى بن ابى شيبة وفي بعض الطرق ان كنت تزعم ان هؤلاء خير امنك فقد عبدوا الآلهة . وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتي نسمع

الكهان فما هو بزمزمة الكهان فقالوا نقول مجنون. فقال ماهو بمجنون لقد
رأينا المجنون وعرفناه فماهو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا فنقول
شاعر فقال ماهو بشاعر قدعرفنا الشعر برجزه وهجزه وقريضه ومقبوضه
ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال فما هو بساحر قد
رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده فقالوا ما نقول يا ابا عبد
شمس؟قال والله ان لقوله حلاوة وان اصله لغدق وان فرعه لجني فما
انتم بقائلين من هذا شيئاً الاعرف أنه باطل وان اقرب القول ان تقولوا
ساحر يفرق بين المرء وبين ابيه وبين المرء وبين اخيه وبين المرء وزوجته
وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم
لايمر بهم احد الا حذروه اياه وذكروا له امره فانزل الله تعالى في الوليد بن
المغيرة وذلك من قوله (ذرني ومن خلقت وحيدا الى قوله سأصليه سقر
وانزل فى النفر الذين كانوا معه الذين جعلوا القرآن عضين اي اصنافاً
وروى ابن اسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس
قال قام النضر بن الحارث فقال يامعشر قريش والله لقد نزل بكم أمر
ما ابتليتم بمثله لقد كان محمد فيكم غلاما حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم
حديثاً واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغه الشيب وجاءكم بما
جاءكم به قلتم ساحر لا والله ماهو بساحر قد رأينا السحرة ونفثهم
وعقدهم وقلتم كاهن لا والله ماهو بكاهن قد رأينا الكهنة وسمعنا
سجعهم وقلتم شاعر لا والله ماهو بشاعر لقد روينا الشعر وسمعنا
أصنافه كلها مخرجه ورجزه وقريضه وقلتم مجنون ولا والله ماهو
بمجنون لقد رأينا المجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه يا معشر قريش

المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرء علي فقرأ عليه من القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) قال اعد فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما يقول هذا البشر. وفى لفظ قال ابن عباس ان الوليد ابن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رق له فبلغ ذلك ابا جهل فأتاه فقال ياعم ان قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا • قال ولم ؟ قال ليعطوكه فانك اتيت محمدا لتعوض مما قبله • قال قد علمت قريش انى من اكثرها مالا قال فقل فيه ولا تبلغ قومك انك منكر له وانك كاره له • قال وماذا اقول والله مافيكم رجل اعلم بالاشعار منى ولا اعلم برجزه ولا بقصيدته مني والله مايشبه الذى يقول شيئاً من هذا ووالله ان لقوله الذى يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو وما يعلا وانه ليحطم ما تحته • قال لا ترضى عنك قومك حتي تقول فيه • قال فدعني حتى افكر فيه فلما فكر قال هذا سحر يؤثر يأثرة عن غيره • فنزلت ذرنى ومن خلقت وحيدا رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عنه وفى رواية اخرى ان الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال ان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد بعضكم قول بعض. فقالوا فانت ياابا عبد شمس فقل واقم لنا رأيا نقوم به • فقال بل انتم فقولوا وانا اسمع • فقالوا نقول كاهن فقال ماهو بكاهن لقد رايت

ما يقول حق ولكنّ بنى قصى قالوا فينا النـدوة فقلنا نعم فينا الحجابة فقلنا نعم فينا السقاية فقلنا نعم وذكر نحوه. وقد كانوا يرسلون الى أهل الكتاب ليسألوهم عن أمره صلي الله عليه وسلم قال محمد بن اسحاق حدثنى شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سـنة عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبـة بن ابي معيط الى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم اسألوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فانهم أهـل الكتاب الاول وعندهم علم ماليس عندنا من عـلم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينـة فسألوا أحبار يهود عن رسوالله صلي الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالا انكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال فقالت لهم احبار يهود سلوه عن ثلاث فامركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيـه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأوه. وسلوه عن الروح ماهو فان أخبركم بذلك فانه نبى فاتبعوه وان هو لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم فاقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمـد قد أمرنا احبار يهود ان نسأله عن امور فاخبروهم بها فجاؤا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا يامحمد خبرنا فسألوه عما أمروهم به. فقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم اخبركم وجاءه جبريل من الله بسورة الكهف فيها خبر ما سألوه عنه من أمر

انظروا في شأنكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة • قال وحدثني الزهري قال حدثت ان ابا جهل وابا سفيان والاخنس بن شريف خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتي اذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لاتعودوا فلوراءكم بعض سفهائكم لاوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ثم انصرفوا فلما كانت الليلة الثالثة فعلوا كذلك ثم جمعتهم الطريق فتعاهدوا ان لايعودوا فلما اصبح الاخنس ابن شريف أخذ عصاه ثم اتي ابا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد • فقال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها واعرف مايراد بها فقال الاخنس وانا والذى حلفت به ثم خرج من عنده حتي أتى ابا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم مارأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف اطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا واعطوا فاعطينا ثم اذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه والله لانؤمن به ولا نصدقه أبداً وكذلك روى عن المغيرة بن شعبة ان ابا جهل قال له مثل ذلك وقال اني لاعلم ان

عنها ليعلموا هل هو نبي صادق ام كاذب فقال تعالى (ويسئلونك عن ذي القرنين وقال لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين الى قوله تلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون الى قوله وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا يعقلون حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى لما ذكر قصة أهل الكهف التي سألوه عنها (ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا اى يسئلونك عن ذلك ويسألونك عن هذا والقرآن مملوء من أخباره عن الغيب الماضي الذي لا يعلمه أحد من البشر الا من جهة الانبياء الذين أخبرهم الله بذلك ليس هو الشيء الذي تزعمه ملاحدة المتفلسفة فان هذه الامور الغيبية المعينة المفصلة لا يؤخذ خبرها قط الا عن نبي كموسى ومحمد وليس أحد ممن يدعي المكاشفات لا من أولياء الله ولا من غير أولياء الله يخبر بشيء من ذلك ولهذا كان هذا من أعلام الانبياء وخصائصهم التي لا يشركهم فيها غيرهم واهل الملل متفقون على مادل عليه العقل الصريح من ان هذا لا يعلم الا بخبر نبي فاذا كان محمد قد أخبر من ذلك بما أخبر به موسى وغيره من الانبياء وأخبر بما

المثية والرجل الطواف وقول الله (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا) قال ابن اسحاق بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح السورة فقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني محمداً انك رسولي في تحقيق ما سألوه عنه من نبوته ولم يجعل له عوجا قيما اى انزله قيما اى معتدلا لا اختلاف فيه وذكر تفسير السورة الى قوله أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اى وما قدروا من قدرى وفيما صنعت من أمر الخلائق وما وضعت على العباد من حججي ما هو أعظم من ذلك قال قال مجاهد ليس بأعجب آياتنا من آياتنا ماهو أعجب من ذلك وفي تفسير العوفي عن ابن عباس الذى آتيتك من العلم والسنة والكتاب افضل من شأن أصحاب الكهف • فات والامر على ماذكره السلف فان قصة أصحاب الكهف هي من آيات الله فان مكثهم نياماً لايموتون ثلاثمائة سنة اية دالة على قدرة الله ومشيئته وانه يخلق مايشاء ليس كما يقوله اهل الالحاد وهى اية على معاد الابدان كما قال تعالى (وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لاريب فيها) وكان الناس قد تنازعوا فى زمانهم هل تعاد الارواح دون الابدان ام الارواح والابدان فجعل الله أمرهم آية لمعاد الابدان وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقصتهم من غير ان يعلمه بشر آية على نبوته فكانت قصتهم اية على أصول الايمان الثلاثة الايمان بالله واليوم الآخر والايمان برسوله ومع هذا فليسوا من آيات الله بعجب بل من آيات الله ما هو أعجب من ذلك وقد ذكر الله تعالى سؤالهم له عن الآيات التي كانوا يسألونه

عداوة له وحرصاً على تكذيبه والطعن فيه وبحثاً عما به يقدحون فيه فلو كان قد تعلم هذه الاخبار من بشر لكانوا يعلمون ذلك ويقدحون به فيه ويظهرونه ولكان هذا مما يظهر اعظم مما ظهر غيره فاما لم يقع ذلك دل على انهم لم يكونوا يعلمون ذلك ولم يتمكنوا من القدح به فيه مع علمهم بحاله ورغبتهم في القدح فيه ومع كمال الداعي والقدرة يجب وجوب المقدور فلما كان داعيهم تاماً ولم يقدحوا علم ان ذلك لعجزهم وعجزهم عن القدح مع علمهم بحاله دليل على انهم علموا أنه لم يتعلمه من بشر • ومنها ان يقال مثل هذا لو وقع لكان من أعظم ماتتوفر الهمم والدواعى على نقله ويشيع بل كان المتبعون له المؤمنون به اذا اطلعوا على ذلك فلا بد ان يشيعوه ويعلنوه فكيف المخالفون له المكذبون له فان القوم المتفرقين الذين لم يتواطئوا كما لايجتمعون على تعمد الكذب فلا يجتمعون على كتمان مثل ذلك بل يجتهد الملوك والرؤساء في اخفاء مايبطنونه من أمر ملكهم الذى بنوه عليه ويحلفون اولياءهم على كتمان ذلك ويبذلون لهم الرغبة والرهبة فى ذلك ثم يظهر ذلك كما فعل القرامطة الباطنية من أهل البحرين وبنى عبيد الله بن ميمون القداح وكما قد عرف الناس ان النصيرية لهم خطاب يسرونه الى اوليائهم وان لم يعلم أكثر الناس ما ذلك الخطاب الذى يسرونه لاسيما والذين آمنوا بمحمد واتبعوه اولا من المهاجرين كانوا مؤمنين به باطناً وظاهراً هجروا لاجله الاوطان والاهل والمال وصبروا على أنواع المكاره والاذى فطائفة كبيرة ذهبت الى الحبشة مهاجرة بدينها لما عذبها المخالفون له حتى يرجعوا عن دينه وطائفة كانوا بمكة يعذبون

يعلمونه مما لا يعلمه أحد الا بالتعلم منهم وقد عرف ان محمداً لم يتعلم هذا من بشر كان هذا آية بينة وبرهانا قاطعاً على نبوته ثم العلم بان محمداً لم يتعلم هذا من بشر يحصل بوجوه • أما قومه المباشرون له الخبيرون بحاله وكانوا يعلمون انه لم يتعلم هذا من بشر فقامت عليهم الحجة بذلك واما من لم يعرف حاله الا بالسماع فيعلم ذلك بطرق • منها تواتر أخباره وكيف كان من حين ولد الى ان مات كما هي مستفيضة مشهورة متواترة يعلمها من له خبرة بذلك أعظم مما يعلم به حال موسى وعيسى فان محمداً أظهر أمره وانتشرت أخباره وتواترت أحواله أعظم من جميع بني آدم فما بقي مادون هذا من أحواله يخفى على الناس فكيف مثل هذا • ومنها انه قد أخبر في القرآن بما لا يوجد عند أهل الكتاب مثل قصة هود وصالح وشعيب وبعض التفاصيل في قصة ابراهيم وموسى وعيسى مثل تكليم المسيح في المهد ومثل نزول المائدة فان هذا لا يعرفه أهل الكتاب ومثل ايمان إمراة فرعون وغير ذلك فيمتنع ان يقال ان هذا تعلمه من أهل الكتاب وقومه لم يكونوا يعلمون ذلك بل قد راوا هم وغيرهم آثار المنذرين الذين عاقبهم الله لما كذبوا الرسل كقوم عاد وثمود وغيرهم فيستدل الناس بالآثار الموجودة على صدق الرسل وعقوبة الله لمن يكذبهم ويستدل قومه وغيرهم على صدقه فيما اخبر به من هذه الامور التي لم يتعلمها من أهل الكتاب بتصديق اهل الكتاب له فيما وافقهم فيه مع علمهم انه لم يتعلم ذلك منهم ويكون هذا مما يدل على انه لم يتعلم ذلك من أهل الكتاب كما قد يظنه بعضهم وذلك من الوجهين كما تقدم • ومنها ان اكثر قومه كانوا من أعظم الناس

دلك يقول عما يخبرهم به من الغيب الله اخبرني به لم يخبرني بذلك بشر فلو كانوا مع ذلك يعلمون انه تعلمه من بشر لكان هـذا مما يقوله بعضهم لبعض ويمتنع في جبلة بني آدم وفطرهم ان يعلموا انه كاذب وانه قد تعلم هذا من بشر وليس فيهم من يخبر بذلك مع انهـم كانوا كثـيرين لايمكن تواطؤهم على الكذب والكتمان بل ولا داعى لهم يدعوهم الى ذلك ويمتنع ان لايعلموا ذلك وهم بطانتـه المطلعون على أحواله وهم يسمعون كلام اعـدائه المطلعين على حاله والقرآن كان ينزل شيئاً فشيئاً لم ينزل جملة بل كانوا يسألونه عن الشيء بعد الشيء من الغيب بين الذين آمنوا به وباطنوه واطلعوا على اسراره وهـو لايعلم شيئاً من ذلك ثم يخبرهم به وهم مطلعون على أمره خـبرا بعد خبر وسؤالا بعد سؤال وهذا كان بمكة وليس بها احد من علماء اهل الكتاب لا اليهود ولا النصارى ثم هاجر الى المدينة وبها خلق كثير من يهود قينقاع وقريظة والنضير ولعلهم كانوا بقدر نصف أهلها او أقل او اكثر وهم ايضاً يسألونه عن الغيوب التى لايعلمها الا نبي فيخبرهم بها ويتلو عليهم ماسأله عنه المشركون من الغيب وما أخبرهم به ويتلو عليهم هذا الغيب الذى أوحاه اليه ويبـين ان الله اعلمه ذلك لم يعلمه اياه بشر فامن به طائفة من اهل الكتاب وكفرت به طائفة أخرى والطائفتان ليس فيهـم من يقول ان هـذا تعلمه منا او من اخواننا او نظرائنا ولا انك قرأته فى كتبنا مع انه لو كان قد تعلم ذلك منهم لكان شيوخه منهم وشيوخهم اذا علموا انه كاذب تعلمه منهـم يمتنع ان يصدقوه باطناً وظاهراً بل تصديقهم الكتاب الأول وعلمهم

هذا يقتل وهذا يخرج به الى بطحاء مكة في الحر وتوضع الصخرة على بطنه حتى يكفر فلا يكفر وهذا يمنع رزقه ويترك جائعاً عرياناً ثم انهم هجروا أحب البلاد اليهم وأفضلها عندهم مكة أم القرى الى مدينة كانوا فيها محتاجين الى أهلها وتركوا أموالهم بمكة قال تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضــلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) وقال تعالى (اذن للذين يقاتلون بأنهــم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله) وقال تعالى (فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عنــد الله والله عنده حسن الثواب) وقال (يخرجون الرسول واياكم)وجميع المهاجرين والانصار آمنوا به طوعا واختياراً قبل أن يؤمر أحد بقتال فانه مكث بمكة بضع عشرة سنة لايقاتل احداً ولم يؤمر بقتال بل كان لايكره احداً على الدين كما قال الله تعالى(لا اكراه في الدين قد تبــين الرشد من الغي) وكانوا خلقاً كثيراً ومعــلوم ان الخلق الكثير الذين اتبعوا شخصاً قد جاء بدين لايوافقه عليه في زمانه احد وطلب منهــم ان يؤمنوا به ويتبعوه ويفارقوا دين آبائهم ويصبروا على عداوة الناس لهــم واذاهم وهجروا لاجله ماترغب النفوس فيــه من الاهل والمال والوطن وهو مع ذلك لم يعط أحداً منهم مالا ولا كان له مال يعطيهم اياه ولا ولي احدا ولاية ولم يكن عنده ولاية يوليهم اياها ولا اكره احداً ولا بقرصة في جلده فضلا عن سوط او عصا او سيف وهو مع

تعالى فلا يظهر على غيبه احداً يبين انه غيب يضاف اليـه يختص به لا يعلمه احد الا من جهته بخلاف ما يغيب عن بعض الناس ويعلمه بعضهم فان هذا قد يتعلمه بعضهم من بعض قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا) (فهذه انباء الغيب التي أوحاها اليه هي من الغيب الذي لا يظهر الله عليه أحداً الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) يرصدون من يأتيه من انسي وجني فيدفعونه ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم فمما سأله عنه اهل الكتاب في المدينة مسائل وهي غير المسائل التي كان يسأل عنها وهو بمكة كما كان مشركو قريش يرسلون الى اليهود بالمدينة يسالونهم عن محمد فيرسل اليهود اليهم بمسائل يمتحنون بها نبوته وذلك مثل ما في صحيح البخاري عن انس قال جاء عبد الله بن سلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينـة فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة • وما اول طعام يأكله اهل الجنة. والولد ينزع الى امه ذلك والى ابيه. قال اخبرني جبريل انفاً • قال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب. واما اول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت • واما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد الى أبيـه واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد الى أمه. فقال أشهد أن لا اله الا الله واشهـد انك رسول الله قال يارسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني

بكذب من ادعى نزول كتاب ثان وقد تعلم منهم يدعوهم الى ان يبينوا امره ويظهروا كذبه ويقولوا للناس تعلم منا ونحن اخبرناه بذلك لاسيما مع مافعله باليهود من القتل والحصار والجلاء والسبي وغير ذلك وهذا لو وقع لكان من اعظم ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله ينقله الموافق والمخالف فلما لم ينقل ذلك احد ولم ينقله احد مع ما اظهره من الاخبار المستفيضة المتواترة التي علمها الخاص والعام بان هذا مما انبأني الله لم يخبرني به بشر كان هذا دليلا قاطعاً بيناً في ان هذه الاخبار الغيبية التي لا يعلمها الا نبي اعلمه الله بها او من تعلمها من نبي اعلمه الله بها هي مما انبأه الله به ولم يعلمه ذلك بشر وهذا من الغيب الذى قال الله فيه في السورة التي ذكر فيها استماع الجن للقرآن وانذار قومهم به حيث قال (قل اوحى اليّ انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا الى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل انى لا أملك لكم ضراً ولا رشدا قل انى لن يجيرنى من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابداً حتى اذا رأوا مايوعدون فسيعلمون من اضعف ناصراً واقل عدداً قل إن ادرى اقريب ما توعدون ام يجعل له ربى امداً عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا) فقوله

المرأة مني الرجل انثى باذن الله• فقال اليهودي صدقت وانك لنبي ثم انصرف • فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه سألني هذا الذي سألني عنه وما اعلم شيئاً منه حتي اتاني به الله تعالى• ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن احمد بن يونس عن عبد الحميد به وروى أبو داود الطيالسى حدثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال حضرت عصابة من اليهود يوما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله حدثنا عن خلال نسألك عنها لايعلمها إلا نبي. فقال سلونى عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه ان انا حدثتكم بشيء تعرفونه صدقا لتتابعونى على الاسلام. قالوا لك ذلك •. قال فسلوني عما شئتم قالوا أخبرنا عن أربع خلال اخبرنا عن الطعام الذى حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة. واخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون الذكر منه حتي يكون ذكرا وكيف يكون الانثى حتى يكون انثى • وأخبرنا كيف هذا النبي الامى في التوراة ومن وليه من الملائكة قال فعليكم عهد الله وميثاقه لئن انا حدثتكم لتتابعونى • فاعطوه ماشاء من عهد وميثاق • قال انشدكم بالله الذى انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً طال سقمه فيه فنذر لله نذرا لان شفاه الله من" سقمه ليحرمن" احب الشراب اليه واحب الطعام اليه • وكان احب الشراب اليه البان الابل واحب الطعام اليه لحوم الابل • قالوا اللهم نعم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد عليهم • قال فانشدكم بالله الذى لا اله الا هو الذى انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان ماء الرجل غليظ ابيض وان ماء المراة

بهتوني عندك . فجاءت اليهود فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا . قال ارأيتم ان أسلم عبد الله ؟ قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وتنقصوه . قال فهذا ما كنت أخاف واحذر . وروى مسلم في صحيحه عن ثوبان قال كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود . فقال السلام عليك يامحمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعني ؟ فقال قلت الا تقول يارسول الله ؟ قال انما سميته باسمه الذى سماه به أهله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اسمي الذى سماني به أهلي محمد فقال اليهودى جئت اسألك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفعك شيء ان حدثتك . قال اسمع باذني فنكت بعود معه . فقال له سل . فقال اليهودي اين الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظلمة دون الجسر . قال فمن اول الناس اجازة قال فقراء المهاجرين . فقال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون . قال زيادة كبد نون . قال وما غداؤهم على اثره . قال ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها . قال فما شرابهم عليه . قال من عين فيها تسمى سلسبيلا قال صدقت قال وجئت اسألك عن شيء لايعلمه أحد من أهل الارض الا نبي أو رجل أو رجلان . قال ينفعك ان حدثتك . قال اسمع باذني قال جئت اسألك عن الولد . قال ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة ذكرا باذن الله واذا علا مني

هؤلآء السائلون يقطعون بأنه لم يتعلم من اهل الكتاب وهذا كان بالمدينة بعد ان اقام بمكة بضع عشر سنة وانتشر أمره وكذبه قومه وحرصوا على ابطال دعوته بكل طريق يقدرون عليه فلو كان بمكة أو بالمدينة أحد من أهل الكتاب يتعلم منه أو لقي أحداً من أهل الكتاب في طريق فتعلم منه لكان ذلك يقدح فى مقصود هؤلآء السائلين فتبين انه كان معلوماً عند أهل الكتاب انه لم يتعلم شيئاً من الغيب من بشر لا سيما ولو كان قد تعلمه من أهل الكتاب وقد كذبهم وحاربهم لاظهروا ذلك ولشاع فى اهل الكتاب وكان اذا اجابهم قالوا هذا تعلمته من فلان وفلان منا او هذا علمكه بعض اهل ديننا وهذا كما كانوا يرسلون الى قومه من قريش ليسألوه عن مسائل ويقولون ان اخبركم بهن فهو نبي مرسل والا فهو متقول ويقولون سلوه عن مسائل لا يعلمها الا نبي فهذا من اهل المدينة ومن قريش قومه يبين ان قومه المشركين واهل الكتاب كانوا متفقين على انه لم يتعلم شيئاً من ذلك من البشر إذ لو جوزوا ذلك لم يحصل مقصودهم بذلك ولم يجز ان يقولوا لا يعلمها الا نبي فانهم كانوا جميعاً يعلمون ان من اهل الكتاب من تعلم هذه المسائل وبذلك يعرف هل يجيب فيها بما قالته الانبياء وبخلاف ذلك ويعلمون ان من كان يعلمها من اهل الكتاب ومن تعلم منهم لا يدل جوابه عنها على نبوته كما لو اجاب عن تلك المسائل بعض اهل الكتاب وكما لو سأل فى زماننا بعض الناس لبعض المسلمين عن تلك المسائل أو غيرها من انباء الغيب التي لا يعلمها الا نبي فان ذلك لايدل على نبوته لانه قد تعلم ذلك من الانبياء فدل على ان مرادهم بقولهم لا يعلمها الا

رقيق اصفر فايهما علا كان الولد والشبه له باذن الله. قالوا اللهم نعم. فقال اللهم اشهد قال انشدكم بالله الذى لا اله الا هو وانزل التوراة على موسى هل تعلمون ان هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه. قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد. قالوا انت الآن حدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك او نفارقك قال وليي جبريل عليه السلام ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه قالوا فعندها نفارقك لو كان غيره لاتبعناك وصدقناك قال فما يمنعكم ان تصدقوا به قالوا انه عدونا من الملائكة فانزل الله عز وجل (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه الى قوله فان الله عدو للكافرين) ففي هذه الاحاديث ان علماء اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كانوا يسألونه عن مسائل يقولون فيها لايعلمها الا نبي اي ومن تعلمها من الانبياء فان السائلين كانوا يعلمونها كما جاء ايضاً لايعلمها الا نبي او رجل او رجلان وكانوا يمتحنونه بهذه المسائل ليتبين هل يعلمها واذا كان يعلم مالا يعلمه لا نبي كان نبياً. ومعلوم ان مقصودهم بذلك انما يتم اذا علموا انه لم يتعلم هذه المسائل من اهل الكتاب ومن تعلم منهم. والا فمعلوم ان هذه المسائل كان تعلمها بعض الناس لكن تعلمها هؤلاء من الانبياء وهذا يبين ان هؤلاء السائلين له من اهل الكتاب كانوا يعلمون ان احدا من البشر لم يعلمه ما عند اهل الكتاب من العلم اذ لو جوزوا ذلك عليه لم يحصل مقصودهم من امتحانه هل هو نبي ام لا فانهم اذا جوزوا ان يكون تعلم مالا يعلمه الا نبي من اهل الكتاب كان من جنسهم فلم يكن علمهم بها واحاديثهم عنها دليلاً على نبوته فلا بد ان يكون

شقاق بعيد قد شاق الله ورسوله ولا احد اضل ممن هو في مثل هذا الشقاق حيث كان في شق والله ورسوله في شق كما قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) بين ان من تولى عن ذلك لم يكن متبعاً للحق قاصداً له فان هذا الذي قلتموه لا يتولى عنه من اهل الكتاب من قصده الحق وانما يتولى عنه من قصده المشاقة والمعاداة لهوى نفسه وهذا يكفيك الله امره ٭ والقرآن ان كان من عند الله ثم كفر به من كفر فلا احد اضل ممن هو في مثل حاله اذ هو في شقاق بعيد ٭ وان قدر انه لم يعلم انه حق فهو ضال والشقاق قد يكون مع العناد وقد يكون مع الجهل فان الآيات اذا ظهرت فاعرض عن النظر الموجب للعلم كان مشاقا ولهذا قال عقيب ذلك سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فأخبر انه سيري عباده من الآيات الافقية والنفسية ما يبين انه حق ثم قال (اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) فان شهادته وحده كافية بدون ما ينتظر من الآيات كما قال تعالى (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وشهادته للقرآن ولمحمد تكون بأقواله التي انزلها قبل ذلك على انبيائه كما قال تعالى عن اهل الكتاب (ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) وتكون بأقواله التي انزلها على محمد صلى الله عليه وسلم فان القرآن نفسه آية بينة ومعجزة قاهرة ٭ وتكون بأفعاله وهو ما يحدثه من

نبي اي لا يعلمها ابتداء بدون تعليم بشر الا نبي ويدل على ان المشركين وأهل الكتاب كانوا جميعاً متفقين على انه لم يتعلم من بشر مع انتشار اخباره ومع اطلاع قومه على اسراره ومع ظهور ذلك لو وجد ومع انهم لو جوزوا تجويزاً ان يكون قد تعلمها من بشر في الباطن ٠ لم يجز ان يستدل بها على نبوته فيدل على انهم كانوا قاطعين بانه لم يتعلم ذلك من بشر لافي الباطن ولا في الظاهر وهذا طريق بين يدل على انه لم يتعلم ذلك من بشر سوى الطرق المذكورة هنا

(فصل) ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا الى جميع الثقيلين جنهم وانسهم عربهم وعجمهم وهو خاتم الانبياء لا نبي بعده كان من نعمة الله على عباده ومن تمام حجته على خلقه ان تكون آيات نبوته وبراهين رسالته معلومة لكل الخلق الذي بعث اليهم وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته ماليس عند هؤلاء وكان يظهر لكل قوم من الآيات النفسية والافقية مايبين به ان القرآن حق كما قال تعالى (قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) اخبر سبحانه انه سيري العباد الآيات في انفسهم وفي الآفاق حتى يتبين لهم ان القرآن حق فان الضمير عائد اليه اذ هو الذي تقدم ذكره كما قال (قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد) والضمير في كان عائد الى معلوم يقول ارأيتم ان كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد فانه على هذا التقدير يكون الكافر في

عاداه وهــذا لايفعله من يقصد ان يصدقه الناس فمن قصد ان يصدقه الناس لايقول مثل هذا ويظهره هذا الاظهار ويشيعه هذه الاشاعة ويخلده هذا التخليد الا وهو جازم عند نفسه بصدقه ولا يتصور ان بشراً يجزم بهذا الخبر الا ان يعلم ان هذا مما يعجز عنه الخلق اذ علم العالم بعجز جميع الانس والجن الى يوم القيامة هو من اعظم دلائل كونه معجزاً وكونه آية على نبوته فهذا من دلائل نبوته في أول الامر عند من سمع هذا الكلام وعلم انه من القرآن الذي امر ببلاغه الى جميع الخلق وهو وحده كافٍ في العلم بأن القرآن معجز . دع ماسوى ذلك من الدلائل الكثيرة على انه معجز مثل عجز جميع الامم عن معارضته مع كمال الرغبة والحرص على معارضته . وعدمُ الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة فلما كان دواعي العرب وغيرهم على المعارضة تامة وانتفت المعارضة، علم عجز جميع الامم عن معارضته وهذا برهان بيّنٌ يعلم به صدق هذا الخبر وصدقُ هذا الخبر آية لنبوته غير العلم بأن القرآن معجز فذلك آية مستقلة لنبوته وهي آية ظاهرة باقية الى آخر الدهر معلومة لكل أحد وهي من أعظم الآيات فان كونه معجزا يعلم بأدلة متعددة والاعجاز فيه من وجوه متعددة فتنوعت دلائل اعجازه وتنوعت وجوه اعجازه وكل وجه من الوجوه فهو دليل على اعجازه وهذه جُمل لبسطها تفصيل طويل ولهذا قال تعالى (وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) فهو كاف في الدعوة والبيان وهو كاف في الحجج والبرهان

الآيات والبراهين الدالة على صدق رسله فانه صدقهم بها فيما اخبروا به عنه وشهد لهم بأنهم صادقون • والقرآن نفسه هو قول الله وفيه شهادة الله بما اخبر به الرسول وانزاله على محمد صلى الله عليه وسلم واتيان محمد به هو آية وبرهان وذلك من فعل الله اذ كان البشر لا يقدرون على مثله ولا يقدر عليه احد من الانبياء ولا الاولياء ولا السحرة ولا غيرهم كما قال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ومحمد صلى الله عليه وسلم اخبر بهذا في اول امره اذ كانت هذه الآية في سورة سبحان وهي مكية صدرها بذكر الاسراء الذي كان بمكة باتفاق الناس وقد اخبر خبرا واكده بالقسم عن جميع الثقلين انسهم وجنهم انهم اذا اجتمعوا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله بل يعجزون عن ذلك وهذا فيه آيات لنبوته • منها اقدامه علي هذا الخبر العظيم عن جميع الانس والجن الى يوم القيامة بأنهم لا يفعلون هذا بل يعجزون عنه وهذا لا يقدم عليه من يطلب من الناس ان يصدقوه الا وهو واثق بأن الامر كذلك اذ لو كان عنده شك في ذلك لجواز ان يظهر كذبه في هذا الخبر فيفسد عليه ما قصده وهذا لا يقدم عليه عاقل مع اتفاق الامم المؤمن بمحمد والكافر به على كمال عقله ومعرفته وخبرته اذ ساس العالم سياسة لم يسسهم احد بمثلها ثم جعله هذا في القرآن المتلو المحفوظ الي يوم القيامة الذي يقرأ به في الصلوات ويسمعه العام والخاص والولي والعدو دليل على كمال ثقته بصدق هذا الخبر • والا لو كان شاكا في ذلك لخاف ان يظهر كذبه عند خلق كثير بل عند اكثر من اتبعه ومن

وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) وقول
فرعون له (فات بآية ان كنت من الصادقين) وقال قوم صالح فات بآية
ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم
وقال هذه ناقة الله لكم آية. وقال المسيح قد جئتكم بآية من ربكم اني
اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله
وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون
وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) وقال
في حق محمد (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها
معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به
يستهزؤن وقال أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وقال
اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر وقال ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان
يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك
يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وقال تعالى
وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى
لقوم يؤمنون وقال (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم
انه الحق) وقال تعالى (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في
سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من
يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار) وقال تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون

(فصل) في اظهار معجزاته ، والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة وهي اكثر واعظم من آيات غيره من الانبياء ويسميها من يسميها من النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة واعلام النبوة ونحو ذلك وهذه الالفاظ اذا سميت بها آيات الانبياء كانت ادل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب والسنة وانما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان كما قال تعالى في قصة موسى (فذانك برهانان من) ربك في العصى واليد وقال الله تعالى في حق محمد (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبينا) وقد قال في مطالبة اهل الدعاوي الكاذبة بالبرهان وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) وقال تعالى (ام من يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) وقال (ومن يدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقال تعالى (ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون) . واما لفظ الآيات فكثير في القرآن كقوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسئل بني اسرائيل اذ جاءهم وقال تعالى

فكذلك ما كان آية وبرهاناً وهو الدليل والعلم على نبوة النبي يمتنع ان يكون لغير النبي . وقد يقال انهم سموها معجزات لان كرامات الاولياء دليل على نبوة النبي الذي اتبعوه ولهذا سموها آيات ايضاً او لانها تعجز غيرهم وهي آية على صحة طريقهم . وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا ان دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة كما قد تكلمنا على ذلك في غير هذا الكتاب وبينا ان من يخصص دلائل النبوة بنوع فقد غلط بل هي انواع كثيرة لكن الآيات نوعان منها ما مضى وصار معلوماً بالخبر كمعجزات موسى وعيسى ومنها ما هو باق الى اليوم كالقرآن الذي هو من اعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكالعلم والايمان اللذين في اتباعه فانه من اعلام نبوته وكشريعته التي أتى بها فانها ايضاً من أعلام نبوته وكالآيات التي يظهرها الله وقتاً بعد وقت من كرامات الصالحين من أمته ووقوع ما أخبر بوقوعه كقوله لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك وقوله لاتقوم الساعة حتى تخرج نار بارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى وقد خرجت هذه النار سنة خمس وخمسين وستماية وشاهد الناس اعناق الابل في ضوء النار ببصرى وظهور دينه وملته بالحجة والبرهان واليد والسنان ومثل المثلات والعقوبات التي تحيق باعدائه وغير ذلك وكنعته الموجود في كتب الانبياء قبله وغير ذلك

(فصل) في معجزات القرآن . والقرآن كلام الله وفيه الدعوة والحجة فله به اختصاص على غيره كما ثبت عنه في الصحيح انه قال ما من نبي من الانبياء الا وقد اوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما كان

لي ان ابدله من تلقاء نفسي) وقال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) وقال لما ذكر قصص الانبياء في سورة الشعراء قال في آخر كل قصة ان في ذلك لآية وماكان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقال لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين) الى ان قال في آخرها ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون) الى قوله (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وقال تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين) وقال (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين)

واما لفظ المعجز فانما يدل على انه أعجز غيره كما قال تعالى (وماهم بمعجزين) وقال (وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء) ومن لايثبت فعلا الا لله يقول المعجز هو الله وانما سمى غيره معجزاً مجازاً وهذا اللفظ لايدل على كون ذلك آية ودليلا اذا فسر المراد به وذكر شرائطه ولهذا كان كثير من أهل الكلام لايسمى معجزاً الا ما كان للانبياء فقط . وما كان للاولياء ان أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة والسلف كاحمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزاً ويقولون لخوارق الاولياء أنها معجزات اذا لم يكن في اللفظ مايقتضي اختصاص الانبياء بذلك بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوة النبي فان هذا يجب اختصاصه وقد يسمون الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي فان الدليل مستلزم المدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول

يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا إله الا هو) وهـذا
اصل دعوته وهو الشهادة بانه لا إله الا الله والشهادة بان محمدا رسول
الله وقال تعالى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله كما قال
(لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله
شهيدا) اى هو يعلم انه منزل لا يعلم انه مفترى كما قال(وما كان هـذا
القرآن ان يفـترى من دون الله) اى ما كان لان يفترى يقول ما كان
ليفعل هذا فلم ينف مجرد فعله بل نفى احتمال فعله واخبر بأن مثل هذا
لا يقع بل يمتنع وقوعه فيكون المعنى ما يمكن ولا يحتمل ولا يجوز ان
يفترى هذا القرآن من دون الله فان الذى يفتريه من دون الله مخلوق
والمخلوق لا يقدر على ذلك وهذا التحدى كان بمكة فان هذه السور
مكية سورة يونس وهود والطور ثم اعاد التحدى في المدينة بعد
الهجرة فقال فى البقرة وهى سورة مدنية (وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان
كنتم صادقين) ثم قال (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) فذكر امرين احدهما قوله
(فان لم تفعلوا فاتقوا النار) يقول اذا لم تفعلوا فقـد علمتم انه حق
فخافوا الله ان تكذبوه فيحيق بكم العـذاب الذى وعد به المكذبين
هذا دعاء الى سبيل ربه بالموعظه الحسنة بعد ان دعاهم بالحكمة وهو
جدالهم بالتي هى احسن ٠ والثانى قوله ولن تفعلوا ولن لنفى المستقبل
فثبت للخبر انهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بسورة من مثـله كما
اخبر قبل ذلك وامره ان يقول في سورة سبحان وهى سورة مكية

الذى أوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعاً يوم القيامة. والقرآن يظهر كونه آية وبرهاناً له من وجوه جملة وتفصيلا اما الجملة فانه قد علمت الخاصة والعامة من عامة الامم علماً متواتراً انه هو الذي اتى بهذا القرآن وتواترت بذلك الاخبار اعظم من تواترها بخبر كل احد من الانبياء والملوك والفلاسفة وغيرهم. والقرآن نفسه فيه تحدى الامم بالمعارضة والتحدى هو ان يحدوهم اى يدعوهم ويبعثهم الى ان يعارضوه فيقال فيه حداني على هذاالامر أى بعثني عليه ومنه سمي حادى العيس لانه بحداه يبعثها على السير وقد يريد بعض الناس بالتحدى دعوى النبوة ولكن أصله الاول قال تعالى في سورة الطور (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) فهنا قال فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين في انه تقوله فانه اذا كان محمد قادراً على ان يتقوله كما يقدر الانسان على ان يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر كان هذا ممكناً للناس الذين هم من جنسه فامكن الناس ان يأتوا بمثله ثم انه تحداهم بعشر سور مثله فقال تعالى (ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) ثم تحداهم بسورة واحدة منه فقال تعالى (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) فطلب منهم ان يأتوا بعشر سور مثله مفتريات هم وكل من استطاعوا من دون الله ثم تحداهم بسورة واحدة هم ومن استطاعوا قال (فان لم

يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة وبغير حيلة وهذا ابلغ من الآيات التي يكرر جنسها كاحياء الموتى فان هـذا لم يأت أحد بنظيره وكون القرآ ن انه معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط أو نظمه واسلوبه فقط ولا من جهة اخباره بالغيب فقط ولا من جهـة صرف الدواعي عن معارضته فقط ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة من جهة اللفظ ومن جهة النظم ومن جهة البلاغة فى دلالة اللفظ على المعنى ومن جهة معانيه التي أمر بها ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى واسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ومن جهة معانيه التى أخبر بها عن الغيب الماضى وعن الغيب المستقبل ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية والاقيسة العقليـة التى هي الامثال المضروبة كما قال تعـالى (ولقد ضربنا في هـذا القرآ ن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا) وقال تعالى (ولقد ضربنا للناس فى هـذا القرآن من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا) وقال (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) وكل ما ذكره الناس من الوجوه فى اعجاز القرآن هو حجة على اعجازه ولا يناقض ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له ومن أضعف الاقوال قول من يقول من أهل الكلام انه معجز بصرف الدواعى مع قيام الموجب لها أو بسلب القدرة الجازمة وهو ان الله صرف قلوب الامم عن معارضته مع قيام المقتضى التام أو سلبهم القـدرة المعتادة فى مثله سلباً عاما مثل قوله تعالى لزكريا (آيتك الا تكلم الناس ثلاث

افتتحها بذكر الاسراء وهو كان بمكة بنص القرآن والخبر المتواتر وذكر فيها من مخاطبته للكفار بمكة ما يبين ذلك بقوله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) فعم بأمره له ان يخبر بالخبر جميع الخلق معجزاً لهم قاطعاً بأنهم اذا اجتمعوا كلهم لايأتون بمثل هذا القرآن ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك وهذا التحدى والدعاء هو لجميع الخلق وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن وعرفه الخاص والعام وعلم مع ذلك انهم لم يعارضوه ولا اتوا بسورة مثله ومن حين بعث والى اليوم الامر على ذلك مع ما علم من ان الخلق كلهم كانوا كفاراً قبل ان يبعث ولما بعث انما تبعه قليل وكان الكفار من أحرص الناس على ابطال قوله مجتهدين بكل طريق يمكن. تارة يذهبون الى اهل الكتاب فيسئلونهم عن امور من الغيب حتى يسئلوه عنها كما سألوه عن قصة يوسف واهل الكهف وذى القرنين كما تقدم. وتارة يجتمعون فى مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه وصاروا يضربون له الامثال فيشبهونه بمن ليس بمثله لمجرد شبه ما مع ظهور الفرق فتارة يقولون مجنون وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون شاعر الى امثال ذلك من الاقوال التي يعلمونها هم وكل عاقل سمعها انها افتراء عليه فاذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد مرة وهي تبطل دعوته فمعلوم انهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها فانه مع وجود هذا الداعى التام المؤكد اذا كانت القدرة حاصلة وجب وجود المقدور ثم هكذا القول فى سائر اهل الارض فهذا القدر يوجب علماً بيناً لكل أحد بعجز عن جميع اهل الارض عن ان

كونه خارقا للعادة على تقدير النقيضين النفي والاثبات فثبت انه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الامر فهذا غاية التنزل والا فالصواب المقطوع به ان الخلق كلهم عاجزون عن معارضته لايقدرون على ذلك ولا يقدر محمد نفسه من تلقاء نفسه على ان يبدل سورة من القرآن بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدني تدبر كما قد اخبر به في قوله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)وايضاً فالناس يجدون دواعيهم الى المعارضةحاصلة لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة ولو كانوا قادرين لعارضوه وقدانتدب غيرواحد لمعارضته لكن جاء بكلام فضح به نفسه وظهر به تحقيق ما اخبر به القرآن من عجز الخلق عن الاتيان بمثله مثل قرآن مسيلمة الكذاب كقوله ياضفدع بنت ضفدعين نقي كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين رأسك في الماء وذنبك في الطين.وكذلك ايضاً يعرفون انه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه فلا يجدون انفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه كما وجد زكريا عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه وأيضاً فلا نزاع بين العقلاء المؤمنين بمحمد والمكذبين له انه كان قصده ان يصدقه الناس لا يكذبوه وكان مع ذلك من أعقل الناس وأخبرهم واعرفهم بما جاء به ينال مقصوده سواء قيل انه صادق او كاذب فان من دعى الناس الى مثل هذا الامر العظيم ولم يزل حتى استجابوا له طوعا وكرها وظهرت دعوته وانتشرت ملته هذا الانتشار هو من عظماء الرجال على اي حال كان • فاقدامه مع هذاالقصد في أول الامر وهو بمكة واتباعه قليل على

ليال سويا) فان هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل وهو انه اذا قدر ان هذا الكلام يقدر الناس على الاتيان بمثله فامتناعهم جميعهم عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة الى المعارضة من أبلغ الآيات الخارقة للعادات بمنزلة من يقول اني آخذ أموال جميع أهل هذا البلد العظيم وأضربهم جميعهم وأجوعهم وهم قادرون على ان يشكوا الى الله أو الى ولي الامر وليس فيهم مع ذلك من يشتكي فهذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة ولو قدر ان واحداً صنف كتابا يقدر أمثاله على تصنيف مثله أو قال شعراً يقدر أمثاله على ان يقولوا مثله وتحداهم كلهم فقال عارضوني وان لم تعارضوني فانتم كفار مأويكم النار ودماؤكم لي حلال امتنع فى العادة ان لا يعارضه أحد فاذا لم يعارضوه كان هذا من العجائب الخارقة للعادة والذي جاء بالقرآن قال للخلق كلهم انا رسول الله اليكم جميعاً ومن آمن بي دخل الجنة ومن لم يؤمن بي دخل النار وقد أبيح لي قتل رجالهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم ووجب عليهم كلهم طاعتي ومن لم يطعني كان من أشقى الخلق ومن آياتي هذا القرآن فانه لا يقدر أحد على ان يأتي بمثله وانا أخبركم ان أحدا لا يأتي بمثله • فيقال لا يخلو إما ان يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين فان كانوا قادرين ولم يعارضوه بل صرف الله دواعي قلوبهم ومنعها ان تريد معارضته مع هذا التحدى العظيم أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه فان سلب القدرة المعتادة ان يقول رجل معجزتي انكم كلكم لا يقدر احد منكم على الكلام ولا على الاكل والشرب فان المنع من المعتاد كاحداث غير المعتاد فهذا من أبلغ الخوارق • وان كانوا عاجزين ثبت انه خارق للعادة فثبت

وكذلك ما أخبر به عن الملائكة والعرش والكرسي والجن وخلق آدم وغير ذلك ونفس ما أمر به القرآن من الدين والشرائع كذلك ونفس ما أخبر به من الامثال وبينه من الدلائل هو أيضاً كذلك ومن تدبر ماصنفه جميع العقلاء في العلوم الالهية والخلقية والسياسية وجد بينه وبين ماجاء في الكتب الالهية التوراة والأنجيل والزبور وصحف الانبياء تفاوتاً عظيما ووجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه وبين سائر الفاظ العرب ونظمهم. فالاعجاز في معناه أعظم واكثر من الاعجاز في لفظه وجميع عقلاء بني آدم عاجزون عن الاتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الاتيان بمثل لفظه وما في التوراة والانجيل لو قدر انه مثل القرآن لايقدح في المقصود فان تلك كتب الله أيضاً ولا يمتنع ان يأتي نبي بنظير آية نبي كما اتى المسيح باحياء الموتى وقد وقع احياء الموتى على يد غيره فكيف وليس مافي التوراة والانجيل مماثلا لمعاني القرآن لافي الحقيقة ولا في الكيفية ولا في الكمية بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن وتدبر الكتب وهذه الامور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له اعجازه من هذا الوجه • ومن لم يظهر له ذلك اكتفى بالامر الظاهر الذي يظهر له ولامثاله كعجز جميع الخلق عن الاتيان بمثله مع تحدي النبي وأخباره بعجزهم فان هذا أمر ظاهر لكل أحد ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية فيها الظاهر البين لكل أحد كالحوادث المشهودة مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وانزال المطر وغير ذلك. وفيها مايختص به من عرفه مثل دقائق التشريح ومقادير الكواكب

ان يقول خبرا يقطع به انه لو اجتمع الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله لافي ذلك العصر ولافي سائر الاعصار المتأخرة لا يكون الا مع جزمه بذلك وتيقنه له والا فمع الشك والظن لا يقول ذلك من يخاف ان يظهر كذبه فيفتضح فيرجع الناس عن تصديقه واذا كان جازما بذلك متيقنا له لم يكن ذلك الا عن اعلام الله له بذلك وليس في العلوم المعتادة ان يعلم الانسان ان جميع الخلق لايقدرون ان يأتوا بمثل كلامه الا اذا علم العالم انه خارج عن قدرة البشر والعلم بهذا يستلزم كونه معجزاً فانا نعلم ذلك وان لم يكن علمنا بذلك خارقا للعادة ولكن يلزم من العلم ثبوت المعلوم والا كان العلم جهلا فثبت انه على كل تقدير يستلزم كونه خارقا للعادة ولو قال مفتر بل انا اقول الذى اخبر بهذه الغيوب واتي بهذه العجائب كان جاهلا اخرق لايدري مايقوله قيل له فهذا ابلغ في الاعجاز وخرق العادة ان يكون مجنونا قد اتى بهذه الغيوب والعجائب التي لا يقدر عليها احد من العقلاء ولا المجانين . واما التفصيل فيقال نفس نظم القرآن واسلوبه عجيب بديع ليس من جنس اساليب الكلام المعروفة ولم يأت احد بنظير هذا الاسلوب فانه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الرسائل ولا الخطابة ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة ليس له نظير فى كلام جميع الخلق وبسط هذا وتفصيله طويل يعرفه من له نظر وتدبر ونفس ما أخبر به القرآن فى باب توحيد الله وأسمائه وصفاته أمر عجيب خارق للعادة لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر لانبي ولا غير نبي

بني ابراهيم ثم من بني هاشم صفوة قريش ومن مكة ام القرى وبلد البيت الذى بناه ابراهيم ودعى الناس الى حجه ولم يزل محجوجا من عهد ابراهيم مذكورا في كتب الانبياء باحسن وصف وكان من أكمل الناس تربيــة ونشأة لم يزل معروفا بالصــدق والبر والعدل ومكارم الاخلاق وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة وممن آمن به وكفر بعد النبوة لا يعرف له شيء يعاب به لا فى أقواله ولا فى أفعاله ولا فى أخــلاقه ولا جرت عليــه كذبة قط ولا ظلم ولا فاحشة وكان خلقــه وصورته من أكمل الصور واتمهــا واجمعها للمحاسن الدالة على كماله وكان اميا من قوم اميين لا يعرف لاهو ولا هم مايعرفه أهل الكتاب التوراة والإنجيــل ولم يقرأ شيئاً من علوم الناس ولا جالس أهلها ولم يدع نبوة الى ان اكمل الله له أربعين سنة فاتي بامر هو أعجب الامور وأعظمها وبكلام لم يسمع الاولون والآخرون بنظــيره وأخبرنا بامر لم يكن فى بلده وقومه من يعرف مثله ولم يعرف قبله ولا بعده لا فى مصر من الامصار ولا فى عصر من الاعصار من اتى بمثل ما اتى به ولا من ظهر كظهوره ولا من اتى من العجائب والآيات بمثــل ما اتى به ولا من دعى الى شريعــة أكمل من شريعته ولا من ظهر دينه على الاديان كلها بالعــلم والحجة وباليد والقوة كظهوره ثم انه اتبعه اتباع الانبياء وهم ضعفاء الناس وكذبه أهل الرياسة وعادوه وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق كما كان الكفار يفعلون بالانبياء واتباعهم والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة فانه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جهات يوليهم

وحركاتها وغير ذلك فان الخلق كلهم محتاجون الى الاقرار بالخالق والاقرار برسله وما اشتدت الحاجة اليه فى الدين والدنيا فان الله يجود به على عباده جوداً عاماً ميسراً فلما كانت حاجتهم الى النفس اكثر من حاجتهم الى الماء وحاجتهم الى الماء اكثر من حاجتهم الى الاكل كان سبحانه قد جاد بالهواء جوداً عاماً في كل زمان ومكان لضرورة الحيوان اليه ثم الماء دونه ولكنه يوجد اكثر مما يوجد القوت وايسر لان الحاجة اليه أشد فكذلك دلائل الربوبية حاجة الخلق اليها فى دينهم أشد الحاجات ثم دلائل النبوة • فلهذا يسرها الله وسهلها اكثر مما يحتاج اليه العامة مثل تماثل الاجسام واختلافها وبقاء الاعراض أو فنائها وثبوت الجوهر الفرد أو انتفاؤه ومثل مسائل المستحاضة وفوات الحج وفساده ونحو ذلك مما يتكلم فيه بعض العلماء

(فصل) وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من آياته واخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته وأمته من آياته وعلم امته ودينهم من آياته وكرامات صالح امته من آياته وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد الى أن بعث ومن حين بعث الى ان مات وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله فانه كان من أشرف أهل الارض نسباً من صميم سلالة ابراهيم الذى جعل الله في ذريته النبوة والكتاب فلم يأت نبي من بعد ابراهيم الا من ذريته وجعل له ابنين اسماعيل واسحاق وذكر في التوراة هذا وهذا وبشر فى التوراه بما يكون من ولد اسماعيل ولم يكن في ولد اسماعيل من ظهر فيما بشرت به النبوات غيره ودعي ابراهيم لذرية اسماعيل بان يبعث فيهم رسولا منهم ثم من قريش صفوة

اعلم هل الارض وادينهم وأعدلهم وأفضلهم حتى ان النصارى لما رأوهم
حين قدموا الشام قالوا ما كان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء
وهـذه آثار علمهم وعملهم في الارض وآثار غيرهم يعرف العقلاء
فرق مابين الامرين وهو صلى الله عليه وسلم مع ظهور أمره وطاعة
الخلق له وتقديمهم له على الانفس والاموال مات صـلى الله عليه وسلم
ولم يخلف درهماً ولا ديناراً ولا شاة ولا بعيراً الا بغلته وسلاحه ودرعه
مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقا(١) من شعير ابتاعها لاهله وكان بيده
عقار ينفق منه على اهله والباقي يصرفه في مصالح المسلمين فحكم بانه
لايورث ولا يأخذ ورثته شيئاً من ذلك وهو في كل وقت يظهر على
يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه ويخبرهم
بخبر ما كان وما يكون ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل
لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويشرع الشريعة شيئاً بعـد شيء
حتى اكمل الله دينه الذى بعث به وجاءت شريعته اكمل شريعة لم
يبق معروف تعرف العقول انه معروف الا امر به ولا منكر تعرف
العقول انه منكر الا نهى عنه لم يأمر بشيء فقيل ليته لم يأمر به ولا نهى
عن شيء فقيل ليته لم ينه عنه واحل الطيبات لم يحرم شيئاً منها كما حرم
فى شرع غـيره وحرم الخبائث لم يحل منها شيئاً كما استحله غـيره
وجمع محاسن ماعليه الأمم فلا يذكر فى التوراة والانجيل والزبور نوع
من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر الا وقد جاء به
على اكمل وجه واخبر بأشياء ليست في هـذه الكتب فليس في تلك
الكتب ايجاب لعـدل وقضاء بفصل وندب الى الفضائل وترغيب

(١) صاعاً ـ نسخة

اياها ولا كان له سيف بل كان السيف والمال والجاه مع أعدائه وقد آذوا اتباعه بانواع الاذى وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الايمان والمعرفة وكانت مكة يحجها العرب من عهد ابراهيم فتجتمع في الموسم قبائل العرب فيخرج اليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم الى الله صابراً على ما يلقاه من تكذيب المكذب وجفاء الجافى واعراض المعرض الى ان اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود قد سمعوا أخباره منهم وعرفوه فلما دعاهم علموا انه النبي المنتظر الذى تخبرهم به اليهود وكانوا قد سمعوا من أخباره ماعرفوا به مكانته فان أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة فآمنوا به وتابعوه على هجرته وهجرة أصحابه الى بلدهم وعلى الجهاد معه فهاجر هو ومن اتبعه الى المدينة وبها المهاجرون والانصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة الا قليلا من الانصار اسلموا في الظاهر ثم حسن اسلام بعضهم ثم اذن له فى الجهاد ثم أمر به ولم يزل قائما بأمر الله على اكمل طريقة واتمها من الصدق والعدل والوفاء لا يحفظ له كذبة واحدة ولا ظلم لاحد ولا غدر بأحد بل كان اصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الاحوال عليه من حرب وسلم وامن وخوف وغنى وفقر وقلة وكثرة وظهوره على العدو تارة وظهور العدو عليه تارة وهو على ذلك كله ملازم لاكمل الطرق واتمها حتى ظهرت الدعوة فى جميع ارض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الاوثان ومن أخبار الكهان وطاعة المخلوق فى الكفر بالخالق وسفك الدماء المحرمة وقطيعة الارحام لا يعرفون آخرة ولا معاداً فصاروا

من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثـل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وقال تعالى (آمن الرسول بما انزل اليـه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسـله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليـك المصير لايكلف الله نفساً الا وسعها لهـا ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنـا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وأمته لايستحلون ان يأخذوا شيئاً من الدين من غير ماجاء به ولايبتدعون بدعة ما انزل الله بهـا من سلطان ولا يشرعون من الدين مالم يأذن به الله لكن ما قصه عليهم من أخبار الانبياء واممهم اعتبروا به وما حدثهم به أهل الكتاب موافقاً لما عندهم صدقوه ومالم يعلموا صدقه ولا كذبه امسكوا عنه وما عرفوا انه باطل كذبوه ومن ادخل في الدين ما ليس منه من اقوال متفلسفة الهند والفرس أواليونان أو غيرهم كان عندهم من أهل الالحاد والابتداع وهـذا هو الدين الذى كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وهو الذى عليه أئمة المسلمين الذين لهم في الامة لسان صدق وعليـه جماعة المسلمين وعامتهم ومن خرج عن ذلك كان مذموما مدحوراً عند الجماعة وهو مذهب اهل السنة والجماعة وهم الظاهرون الى قيام الساعة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم

فى الحسنات الا وقد جاء به وبما هو احسن منه واذا نظر اللبيب فى العبادات التي شرعها وعبادات غيره من الامم ظهر فضلها ورجحانها وكذلك في الحدود والاحكام وسائر الشرائع وأمته اكمل الامم فى كل فضيلة فاذا قيس علمهم بعلم سائر الامم ظهر فضل علمهم وان قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر انهم أدين من غيرهم واذا قيس شجاعتهم وجهادهم فى سبيل الله وصبرهم على المكاره في ذات الله ظهر انهم اعظم جهادا واشجع قلوباً واذا قيس سخاؤهم وبذلهم وسماحة انفسهم بغيرهم تبين انهم اسخى واكرم من غيرهم وهذه الفضايل به نالوها ومنه تعلموها وهو الذى امرهم بها لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة فكانت فضائل اتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة وبعضها من الزبور وبعضها من النبوات وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده كالحواريين ومن بعد الحواريين وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى ادخلوا لما غيروا دين المسيح في دين المسيح امورا من امور الكفار المناقضة لدين المسيح. واما امة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يكونوا قبله يقراؤن كتاباً بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والانجيل والزبور الا من جهته فهو الذي امرهم ان يؤمنوا بجميع الانبياء ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ونهاهم ان يفرقوا بين احد من الرسل فقال تعالى في الكتاب الذي جاء به(قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون

فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن متعمداً للكذب ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم واذا انتفى هذا وذاك تعين انه كان صادقاً عالماً بانه صادق ولهذا نزهه الله عن هذين الامرين بقوله تعالى (والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وقال تعالى عن الملك الذى جاء به (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين) ثم قال عنه (وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين)أى بمتهم او بخيل كالذى لا يعلم الا بجعل او لمن يكرمه (وماهو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين) وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) الى قوله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك أثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون) بين سبحانه ان الشيطان انما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه فان الشيطان يقصد الشر وهو الكذب والفجور لايقصد الصدق والعدل فلا يقترن الا بمن فيه كذب وفجور اما عمداً واما خطأ فان الخطأ فى الدين من الشيطان ايضاً كما قال ابن مسعود لما سئل عن مسئلة ، اقول فيها برأى فان يكن صواباً فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه فالرسول برىء من تنزل الشيطان عليه فى العمد والخطأ بخلاف غير الرسول فانه قد يخطئ ويكون خطاؤه من الشيطان وان كان خطاؤه مغفوراً له فاذا لم يعرف له خبر اخبر به كان فيه مخطئاً ولا أمر به كان فيه فاجراً ، علم ان الشيطان لم ينزل وانما ينزل عليه ملك كريم

ولا من خذلهم حتي تقوم الساعة وقد تنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم علي هذا الأصل الذى هو دين الرسل عموما ودين محمد خصوصاً ومن خالف هذا الاصل كان عندهم ملحداً مذموما ليسو كالنصارى الذين ابتدعوا ديناً قام به اكابر علمائهم وعبادهم وقاتل عليه ملوكهم وكان به جمهورهم وهو دين مبتدع ليس هودين المسيح ولا دين غيره من الانبياء والله سبحانه وتعالى أرسل رسله بالعلم النافع والعمل الصالح فمن اتبع الرسل حصل له سعادة الدنيا والآخرة وانما دخل في البدع من قصر في اتباع الانبياء علماً وعملاً ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق تلقى ذلك عنه المسلمون أمته فكل علم نافع وعلم صالح عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم آخذوه عن نبيهم مع مايظهر لكل عاقل ان أمته اكمل الامم فى جميع الفضائل العلمية والعملية ومعلوم ان كل كمال في الفرع المتعلم فهو من الاصل المعلم وهذا يقتضي انه كان اكمل الناس علماً وديناً وهذه الامور توجب العلم الضروري بانه كان صادقاً في قوله انى رسول الله اليكم جميعاً لم يكن كاذباً مفترياً فان هذا القول لايقوله الا من هو من خيار الناس واكملهم ان كان صادقاً او هو من شر الناس واخبثهم ان كان كاذباً وما ذكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر والخبث والجهل فتعين انه متصف بغاية الكمال فى العلم والدين وهذا يستلزم انه كان صادقاً في قوله انى رسول الله لان الذي لم يكن صادقاً اما ان يكون متعمداً للكذب او مخطئاً ، والاول يوجب انه كان ظالماً غاوياً ، والثاني يقتضى انه كان جاهلا ضالا وكمال علمه ينافي جهله وكمال دينه ينافي تعمد الكذب

ازهر اللون كان عرقه اللؤلؤ اذا مشى تكفأ وما مسست ديباجة ولا حريرة الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عنبرة اطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الدارمي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابلج الثنيتين اذا تكلم رئي النور يخرج من ثناياه • وروى عن ابن عمر قال مارأيت احداً أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا اضوء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ما هذا الذى تصنعين؟ قالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وانه أطيب من الطيب • أخرجاه وروى الدارمي عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسلك طريقاً فيتبعه احد الاعرف انه قد سلكه من طيب عرفه • وفى حديث أم معبد المشهور لما مر بها النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة هو وابو بكر ومولاه ودليلهم وجاء زوجها فقال صفيه لي يا أم معبد فقالت رجلا ظاهر الوضاءة حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظم يتحدرن • وروى ابو زرعة باسناده عن محمد بن عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ بن عفرا صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقالت يا بني لو رأيته رأيت الشمس طالعة • وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وكان اجود الناس وكان اشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله

ولهذا قال في الآية الاخرى عن النبي (انه لقول رسول كريم الى آخر الآية

(فصل) في صفاته وقد نقل الناس صفاته الطاهرة الدالة على كماله ونقلو اخلاقه من حلمه وشجاعته وكرمه وزهده وغير ذلك ونحن نذكر بعض ذلك ففي الصحيحين عن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين عظيم الجمة الى شحمة اذنيه عليه حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه. وفي البخاري وسئل البراء اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال لا بل مثل القمر • وفي الصحيحين من حديث كعب بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كانه فلقة قمر • وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ضخم الرأس والقدمين لم ار قبله ولا بعده مثله وكان بسيط الكفين ضخم اليدين • وسئل عن شعره فقال كان شعراً رجلا ليس بالجعد ولا بالسبط بين اذنيه وعاتقه • وفي الصحيحين عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم أشكل العينين منهوس العقبين وفسرهما سماك بن حرب فقال واسع الفم طويل شق العين قليل لحم العقب وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وليس بالابيض الامهق ولا بالادم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط وفي الصحيحين عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

عبد الله بن عمرو وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وروى البخاري عن أنس قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً كان يقول لاحد عند المعتبة ماله تربت جبينه • وفي صحيح مسلم عن عائشة انها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار ايسرهما مالم يكن اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا ان تنتهك محارم الله وعنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئاً قط لا امرأة ولا خادماً الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله وروى مسلم فى صحيحه عنها وقد سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وروى ابوداود الطيالسي عن شعبة حدثنا ابو اسحاق حدثنا ابو عبدالله الجدلي قال سمعت عائشة وسألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لم يكن فاحشاً ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولايجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أو يغفر شك أبو داود • ورواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين . وفي الصحيحين عن علقمة قال سألت عائشة كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل كان يخص شيئاً من الايام قالت لا كان عمله ديمة وايكم يستطيع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع • وروى مسلم فى صحيحه عن سعد بن هشام وقد سأل عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرأ القرآن ؟ قال بلي • قالت فان خلق نبي الله القرآن وفى صحيح الحاكم

عليه وسلم راجعاً وقد سبقهم الى الصوت وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لابي طلحة عُري في عنقه السيف وهو يقول لم تراعوا وقال وجدناه بحراً وكان الفرس قبل ذلك بطيئاً فعاد لايجارى ٠ وفى الصحيحين عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسولُ الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة ٠ وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال كنا اذا احمر الباس يتقى به وان الشجاع منا الذي يحادى به يعني النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي بن أبي طالب قال لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس بأساً وما كان احد اقرب الى العدو منه ذكره البيهقي باسناد صحيح ٠ وفي الصحيحين عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي أف قط ولا قال لشيء لم فعلت وهلا فعلت كذا وفى رواية في الصحيحين ايضاً قال خدمته في السفر والحضر والله ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا وكان أحسن الناس خلقاً وفي الصحيحين عن جابر قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئاً الا أعطاه قال فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال ياقوم اسلموا فان محمداً يعطي عطاء من لايخاف الفاقة ٠ وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئاً عرفناه فى وجهه ٠ وفي الصحيحين عن

عليه وسلم فقال اتشهد ان لا اله الا الله؟ فنظر الغلام الى أبيه فقال له أبوه اطع أبا القاسم فاسلم • فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي انقذه بى من النار وعن ابى حازم ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم رجلا فارعد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن أمرأة من قريش كانت تأكل القديد رواه ابن الجوزي من طرق بعضها متصلا عن ابن مسعود وجرير قال ابن الجوزى وروى متصلا والصواب ارساله كما تقدم • وفي الصحيح عن انس بن مالك ان امرأة كان في عقلها شيء فقالت يارسول الله ان لى اليك حاجة • قال ياأم فلان خذي في أي الطرق شئت قومي فيه حتى أقوم معك فخلا معها يناجيها حتى قضت حاجتها رواه مسلم • وعن انس قال كانت الامة من اماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدور به في حوائجها حتى تفرغ ثم يرجع رواه البخارى في الادب وروى عن ابن ابى اوفي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى مع الارملة والمسكين فيقضى له حاجته وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ولا يستنكف ان يمشى مع العبد ولا مع الارملة حتى يفرغ من حاجتهم رواه الدارمي والحاكم في صحيحه وروى ابو داود الطيالسى عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويجيب دعوة المملوك ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه ليف وروى مسلم في صحيحه عن انس قال مارأيت ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البخارى عنه قال مر رسول الله صلي الله عليه

عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم صالح الاخلاق • وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل يارسول الله اليس قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً؟ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال ماعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط إن اشتهاه أكله والا تركه • وروى الامام أحمد وأبو داود والترمذي وأبو الشيخ الاصبهاني من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ان أخاه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال جيراني على ما اخذوا فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الناس يزعمون انك نهيت عن البغي ثم تستحلي به فقال لان كنت افعل ذلك انه لعلي وما هو عليهم خلوا له جيرانه وروى الامام أحمد عن انس بن مالك قال ما كان شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك • رواه عن عبد الرحمن ابن مهدي • حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عنه ورواه أبو داود والترمذى وروى أبو نعيم وأبو الشيخ وغيرهما عن ابن عباس ان الله أرسل الى نبيه صلى الله عليه وسلم ملكا من الملائكة معه جبريل فقال الملك ان الله خيره بين ان يكون عبداً نبياً وبين ان يكون ملكاً نبياً قال فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل كالمستشير فاشار جبريل بيده ان تواضع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بل أكون عبداً نبياً ورواه النساىء والبخارى فى تاريخه وفي صحيح مسلم عن أنس قال كان غلام يهودى يخدم النبى صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده النبي صلى الله

صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها وسألها الاسود ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في اهله؟ فقالت كان يكون في مهنة اهله يعني خدمة اهله فاذا حضرت الصلاة خرج وفي رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة قال سأل رجل عائشة هل كان يعمل في بيته؟ قالت كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل احدكم في بيته • وروى الطيالسي ثنا شعبة ثنا الاغر قال سمعت انسا يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويجيب دعوة المملوك ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه من ليف • وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام من خبز بر تباعا حتي مضى لسبيله وعنها قالت كنا آل محمد صلى الله عليه وسلم يمر بنا الهلال والهلال مانوقد بنار لطعام الا انه التمر والماء الا انه حولنا اهل دور من الانصار فيبعث اهل كل دار بغريزة شاتهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب من ذلك اللبن اخرجاه في الصحيحين وفي صحيح البخاري قال أنس مارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفاً مرققا حتي لحق بالله ولا راي شاة سميطا بعينه قط وفي صحيح البخاري عنه ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق • فقيل له على ما كانوا يأكلون؟ قال على السفر وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب انه خطب وذكر ما فتح على الناس فقال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتوي يومه من الجوع ما يجد من الدقل ما يملاء به بطنه • وفي صحيح البخاري عن انس انه

وسلم على صبيان فسلم عليهم • وروى ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على الارض ويأكل على الارض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك وعن قدامة بن عبد الله قال رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم على بغلة شهباء لاضرب ولا طرد ولا اليك رواها أبو الشيخ وعن عائشة قالت مارأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم قط مستجمعاً ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم وكان اذا رأى غيما او ريحاً عرف ذلك فى وجهه فقلت يارسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر واراك اذا رايته عرف فى وجهك الكراهية • قال ياعائشة وما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد اتى العذاب قوما وتلا قوله تعالى (فلما راوه عارضاً مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) اخرجاه في الصحيحين وفي الصحيحين ايضاً عن انس قال كنت امشى مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذ بردائه جبذا شديدا حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلي الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يامحمد مر لى من مال الله الذى عندك • قال فالتفت اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم فضحك ثم امر له بعطاء وفى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقوم من مصلاه الذى يقوم فيه حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون في امر الجاهلية فيضحكون ويتبسم وفي رواية اخرى صحيحة كان طويل الصمت قليل الضحك وكان اصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر والشيء من امورهم فيضحكون ويتبسم وفى

تحت شجرة ثم راح وتركها رواه أحمد وروى الحاكم في صحيحه عن ابن عباس ان عمر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وفي الترمذى عن انس بن مالك قال حج النبي صلى الله عليه وسلم على رحل رث وقطيفة ورواه البخاري عن انس ايضاً في كتاب الحج قال حج انس على رحل رث ولم يكن شحيحاً وحدث ان النبى صلى الله عليه وسلم حج على رحل وكانت زاملته • وفى صحيح الحاكم عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم لبس خشناً واكل خشناً ولبس الصوف واحتذى المخصوف قيل للحسن ما الخشن؟ قال غليظ الشعير ما كان يسيغه الا بجرعة ماء

(فصل) في المعاد ومما يبين به فضل أمته على جميع الامم وذلك مستلزم لكونه رسولا صادقاً كما تقدم وهو آية وبرهان على نبوته فان كل ملزوم فانه دليل على لازمه اعلم ان الامم نوعان نوع لهم كتاب منزل من عند الله كاليهود والنصارى • ونوع لا كتاب لهم كالهند واليونان والترك وكالعرب قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما من أمة الا ولابد لها من علم وعمل بحسبهم يقوم به مايقوم من مصالح دنياهم وهذا من الهداية العامة التي جعلها الله لكل انسان بل لكل حيوان كما يهدي الحيوان الى جلب ماينفعه بالاكل والشرب ودفع مايضره باللباس والكن وقد خلق الله فيه حباً لهذا وبغضاً لهذا قال تعالى (سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذي قدر فهدى) وقال موسى لفرعون (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقال الخليل (الذى خلقني فهو يهدين) وقال في اول ما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم

مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز شعير واهالة سنخة ولقد رهن درعه عنـد يهودي فاخذ لاهله شعيراً ولقد سمعته يقول ما امسى عند آل محمـد صاع بر ولا صاع حب وانهم يومئذ تسعة أبيات • وفيه عن عائشة قالت كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادم حشوه ليف • وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما ذكر اعتزال رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزانته فاذا هو مضطجع على حصير فادنى اليه ازاره وجلس واذا الحصير قد اثر بجنبه وقلبت عيني في بيته فلم أجد شيئاً يرد البصر غير قبضة من شعير وقبضة من قرض نحو الصاعين واذا افق معلقة فابتدرت عيناي • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت يارسول الله ومالي لا ابكي وانت صفوة الله ورسوله وخيرته من خلقه وهذه خزانتك وهـذه الاعاجم • وفي رواية كسرى وقيصر في الثمار والانهار فقال أو في شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا وفي رواية أو ماترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال بلى قال فاحمد الله عز وجل • قال فقلت استغفر الله وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وروي الطيالسي باسناد صحيح عن ابن مسعود قال اضطجع النبي صلى الله عليه وسلم على حصير فاثر الحصير بجلده فجعلت امسحه عنه واقول بابي انت وأمي يارسول الله الا اذنتنا فنبسط لك شيئاً يقيك منه تنام عليه ؟ فقال مالي وللدنيا ما انا والدنيا الا كراكب استظل

منبثاً وكنتم أزواجاً ثلاثة فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم) ثم ذكر سبحانه حال الاصناف الثلاثة في القيامة الكبرى وقال في آخر السورة فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) وكذلك قال في سورة القيامة (لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم) بالنفس اللوامة أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسأل ايان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) فذكر القيامة الكبرى ثم قال فى آخر السورة (كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق) وبسط هذا له موضع آخر فان ذكر ماتناله الروح عند فراق البدن من النعيم والعذاب كثير في النصوص النبوية واما وصف القيامة الكبرى فى الكتاب والسنة فكثير جداً لان محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وقد بعث بين يدى الساعة فلذلك وصف القيامة بما لم يصفه به غيره كما ذكر المسيح فى صفته فقال انه يخبركم بكل ما يأتى ويعرفكم جميع ما للرب. والقول الثانى قول من

(اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وقال تعالى (الم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين) ثم الامم متفاضلون في معرفة الخالق تعالي وفى الاقرار بمعاد بعد الموت اما للارواح فقط واما للابدان فقط واما لمجموعهما كما هو قول سلف المسلمين وائمتهم وعامتهم أهل السنة والجماعة ومتفاضلون فيما يجدونه ويستحسنونه من الافعال والصفات ومايذمونه ويستقبحونه من ذلك لكن عامة بنى آدم على ان العدل خير من الظلم والصدق خير من الكذب والعلم خير من الجهل فان المحسن الى الناس خير من الذى لايحسن اليهم • واما المعاد فهو اما للارواح أو للابدان وان الناس بعد الموت يكونون سعداء أو أشقياء فيقر به كثير من الامم غير أهل الكتاب وان كان على وجه قاصر كحكماء الهند واليونان والمجوس وغيرهم وذلك ان أهل الارض في المعاد على أربعة أقوال أحدها وهو مذهب سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم باحسان وائمة المسلمين المشهورين وغيرهم من أهل السنة والحديث من الفقهاء والصوفية والنظار وهو اثبات معاد الروح والبدن جميعاً وان الانسان اذا مات كانت روحه منعمة أو معذبة ثم تعاد روحه الى بدنه عند القيامة الكبرى ولهذا يذكر الله في كثير من السور أمر القيامتين القيامة الصغرى بالموت والقيامة الكبرى حين يقوم الناس من قبورهم وتعاد أرواحهم الى ابدانهم كما ذكر الله القيامتين في سورة الواقعة حيث قال فى أولها (اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجاً وبست الجبال بساً فكانت هباء

والمتفلسفة اتباع ارسطو كالفارابي واتباعه لهم في معاد الارواح ثلاثة اقوال قيل بالمعاد للانفس العالمة والجاهلة وقيل بانكار الاثنين والفارابي نفسه قد قال الاقوال الثلاثة وبسط الكلام على هذه الامور له موضع آخر اذ المقصود هنا ان كل ما عند اهل الكتاب بل وسائر أهل الارض من علم نافع وعمل صالح فهو عند المسلمين وعند المسلمين ما ليس عند غيرهم في جميع المطالب التي تنال بها السعادة والنجاة وعقلاء جميع الامم تأمر بالعدل ومكارم الأخلاق وتنهى عن الظلم والفواحش ولهم علوم الهيئة وعبادات بحسبهم ويعظمون أهل العلم والدين منهم • والهند والفرس واليونان في ذلك اكمل من كفار الترك والبربر ونحوهم مع ان هؤلاء فيهم ايضاً قسط من ذلك بحسبهم ومعلوم عند الاعتبار ان الامم الذين لهم كتاب كاليهود والنصارى اكمل من الامم الذين لا كتاب لهم في الفضائل العلمية والعملية فان مالم يأخذه الناس عن الانبياء يعلم بالعقل والاعتبار وبالمنام والالهام وأخبار الجن ونحو ذلك من طرق الامم • وكل طريق صحيح من الطرق العقلية والالهامية وغيرها يشارك أهل الكتاب فيه من لا كتاب له ويمتاز أهل الكتاب بعلوم وأعمال اخذوها عن الانبياء ليس في قوة من ليس بنبي ان يعلمها وهذا ظاهر في الاخلاق والسياسات الملكية والمدنية فان جنس اهل الكتاب ولو كان منسوخاً مبدلا هم احسن حالا من لا كتاب له اما في العبادات والايمان بالله واليوم الآخر فرجحانهم فيه ظاهر • واما علوم واعمال يكون ضررها راجحاً كالسحر والطلسمات وما يتوسل به من الشرك الى استخدام الشياطين ونحو ذلك فهذا وان

يثبت معاد الابدان فقط كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية والمعتزلة المبتدعين من هذه الامة وبعض المصنفين يحكي هـذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين أو جمهور المسلمين وذلك غلط فانه لم يقل ذلك أحد من ائمة المسلمين ولا هو من قول جمهور نظارهم بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة الذين ذمهم السلف والائمـة والقول الثالث المعاد للنفس الناطقة بالموت فقط وان الابدان لا تعاد وهـذا لم يقله أحد من أهل الملل لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى بل هؤلآء كلهـم متفقون على اعادة الابدان وعلى القيامـة الكبرى ولكن من تفلسف من هؤلآء فوافق سلفه من الصابئة والفلاسفة المشركين على ان المعاد للروح وحـده فانه يزعم ان الانبياء خاطبوا الجمهور بمعـاد الابدان وان لم يكن له حقيقة وخاطبوهم باثبات الصفات لله وليس لها حقيقة وان الانبياء لم يظهروا الحقائق للخلق وانه لا يستفاد من أخبارهم معرفة شيء من صفات الله ولا معرفة شيء من أمر المعاد . وحقيقة قولهم ان الانبياء كذبوا للمصلحة وهؤلآء ملاحدة كفار عند المتبعين للانبياء من المسلمين واليهود والنصارى وان كان هؤلآء كثيرين موجودين فيمن يتظاهر بانه من أهل الملل لظهور اديانهم وهو في الباطن على هذا الرأى وهؤلآء القائلون بمعاد الارواح فقط منهـم من يقول بان الارواح تتناسخ اما في ابدان الآدميين أو ابدان الحيوان مطلقا أو في جميـع الاجسام النامية • ومنهم من يقول بالتناسخ في الانفس الشقية فقط وكثير من محققيهم ينكر التناسخ • والقول الرابـع انكار المعادين جميعاً كما هو قول اهل الـكفر من العرب واليونان والهنـد والترك وغـيرهم

سليمان وبين سبحانه ان سليمان لم يكفر ولكن الشياطين كفروا وانهم يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وان الملكين ما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفروا خبر سبحانه انهم لايضرون به أحداً الا باذن الله وانهم يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ثم قال (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) أي نصيب أى هؤلاء يعلمون ان صاحبه لا نصيب له فى الآخرة وانما يطلبون انهم يقضون به أغراضهم الدنيوية لما هم فى ذلك من الهوى وذلك ضار لهم لانافع كما قال في المشرك يدعو لمن ضره اقرب من نفعه ثم قال تعالى (ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عنــد الله خير لو كانوا يعلمون) فبين سبحانه انه بالايمان والتقوى يحصل من ثواب الله ماهو خير لهم من هذا فانهم انما يطلبونه لما يرجون به من الخير لهم وهذا خير لهم وهذا كقوله (اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم)فان ماتطلبه النفوس فيه لها لذة فجعل خيرا بذلك الاعتبار لكن اذا كان الالم زائدا على اللذة كان شره اعظم من خيره • والشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاســد وتقليلها فهى تأمر بما ترجح مصلحته وان كان فيه مفسدة مرجوحة كالجهاد وتنهى عما ترجحت مفسدته وان كان فيه مصلحة مرجوحة كتناول المحرمات من الخمر وغيره ولهذا أمر تعالى ان نأخذ بأحسن ما أنزل الينا من ربنا . فالاحسن اما واجب واما مستحب قال تعالى (فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا بأحسنها وقال واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم فامر باتباع الاحسن والاخــذ به وقال تعالى

كان غير أهل الكتاب أقوم به فانما ذاك لاستغناء أهل الكتاب بما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة ولهذا لما ذكر الله تعالى في قصة سليمان براءته عن ذلك وكانت الشياطين كتبت كتب كفر وسحر ودفنتها تحت كرسي سليمان فلما مات اظهروا ذلك وقالوا انما كان يسخر الجن بهذه الاسماء والعزائم فصدقهم فريقان فريق قدحوا في سليمان بل كفروه من اهل الكتاب وقالوا من فعل ذلك فهو كافر • وفريق قالوا نحن نقتدي بسليمان ونفعل كما كان يفعل وهم أهل العزائم والطلاسم التي يستخدمون بها الجن ويقولون ان سليمان كان يستخدمهم بها حتى يقولوا ان هذه الاسماء كانت مكتوبة على تاجه وهذا صورة خاتمه وهذا كلام آصف بن برخيا الى أمثال ذلك مما يضيفونه اليه وهو كذب على سليمان وقد ذكر ذلك علماء المسلمين في تفسير قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتي يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) فذم سبحانه من عدل عن اتباع كتاب الله ورسله واتبع ما تتلوه الشياطين على عهد

من فعل المأمور أو ترك المحظور وهو يتناول الامر بالواجب والمستحب فان كليهما احسن من المحرم والمكروه لكن يكون الامر امر ايجاب وأمر استحباب كما امر بالاحسان في قوله تعالى (واحسنوا ان الله يحب المحسنين) والاحسان منه واجب ومنه مستحب

(فصل) في وجوه العدل ومقصود العبادات وصفاتها واذا كان جنس اهل الكتاب اكمل في العلوم النافعة والاعمال الصالحة ممن لا كتاب له فمعلوم ان امته اكمل من طائفتي اهل الكتاب اليهود والنصارى واعدل وقد جمع لهم محاسن مافي التوراة وما في الانجيل فليس عند اهل الكتاب فضيلة علمية وعملية الا وامة محمد صلى الله عليه وسلم اكمل منهم فيها • فأما العلوم فهم احذق في جميع العلوم من جميع الامم حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا اخروية كعلم الطب مثلا والحساب ونحو ذلك هم احذق فيها من الامتين ومصنفاتهم فيها اكمل من مصنفات الامتين بل احسن علماً وبيانا لها من الاوائل الذى كانت هي غاية علمهم وقد يكون الحاذق فيها من هو عند المسلمين منبوذ بنفاق والحاد ولا قدرله عندهم لكن يحصل له بما يعلمه من المسلمين من العقل والبيان ماعانه على الحذق في تلك العلوم فصار حثالة المسلمين احسن معرفة وبيانا لهذه العلوم من اولئك المتقدمين • واما العلوم الالهية والمعارف الربانية وما اخبرت به الانبياء من الغيب كالعرش والملائكة والجن والجنة والنار وتفاصيل المعاد فكل من نظر في كلام المسلمين فيها وكلام علماء اليهود والنصارى وجد كلام المسلمين فيها اكمل واتم • ومعلوم ان علم اهل الكتاب والملل بذلك اتم من علم غيرهم واما العبادة والزهد والاخلاق

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله) فاقتضى ان غيرهم لم يهده وهـذا يقتضي وجوب الاخذ بالاحسن وهو مشكل وقد تكلم الناس فيه ونظيره قوله تعالى وقل لعبادى يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم) وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة مع قوله تعالى فى موضع آخر ويدرؤن بالحسنة السيئة وقال تعالى(وجادلهم بالتي هى أحسن وقال ولا تجادلوا اهـل الكتاب الا بالتي هى احسن) وقال(ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن) في موضعين وقد يقال هذا نظير قوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم) وقوله تعالى (آلله خير اما يشركون) وقوله تعالى (تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) وقوله (والله خير وابقى) وقوله (والآخرة خير وابقى) وقوله (فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) وقوله (أى الفريقين خير مقاما واحسن نديا) وقوله تعالى (ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخـذ الله ابراهيم خليلا) وقوله تعالى (اعدلوا هو اقرب للتقوي) وقوله (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا) ونظائر هذا كثيرة مما يذكر فيه ان المأمور به خير واحسن من المنهي عنه وان كان الاول واجباً والثاني محرماً وذلك لان المأمور به قد يشتمل على مصلحة مرجوحة فيكون باعتبار ذلك فى هذا خير وحسن وفي هذا شر وسيء لكن هذا خير واحسن وان كان واجباً فقوله تعالى (واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) هو أمر بالاحسن

الناقة من الهضبة وانشقاق القمر وامثال ذلك فلا يقرون به وقد علم بطرق متعددة ما يكون من الخوارق بسبب افعال الجن وبسبب افعال الملائكة . واحوال الجن معلومة عند عامة الامم مسلمهم وكافرهم لايجحد ذلك الا من هو من اجهل الناس وكذلك من فسرها بقوى النفس وهذا غير اخبار الله عنهم فيما انزله من الكتب واما الملائكة فامرهم اجل وهم رسل الله فى تدبير العالم كما قال تعالى (فالمدبرات أمرا) وقال (فالمقسمات أمرا) وقد ذكر الله تعالى في كتبه من اخبارهم واصنافهم مايطول وصفه وآثارهم موجودة في العالم يعرف ذلك بالاعتبار كما قد بسط في موضعه اذ المقصود هنا ذكر مذاهب الناس في العبادات وهؤلاء غاية ماعندهم في العبادات والاخلاق والحكمة العملية انهم رأوا النفس فيها شهوة وغضب من حيث القوة العملية ولها نظر من جهة القوة العلمية فقالوا كمال الشهوة فى العفة وكمال الغضب فى الحلم والشجاعة وكمال القوة النظرية فى العلم والتوسط في جميع ذلك بين الافراط والتفريط هو العدل وما ذكروه من العمل متعلق بالندب لم يثبتوا خاصية النفس الذى هو محبة الله وتوحيده بل ولا عرفوا كمال ذلك كما لم يكن عندهم من العلم بالله الا قليل مشتمل على كثير من الباطل كما قد بسط الكلام عليهم فى موضع آخر ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح النفس وهو عبادة الله وحده لاشريك له فلاصلاح للنفس ولا كمال لها الا فى ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لاصلاح لها كما قد بسط الكلام على ذلك فى موضع آخر ولهذا كان هو دين الاسلام الذى اتفقت عليه الرسل وهو جماع دعوة المرسلين قال الله تعالى (ولقد بعثنا في

والسياسة الملكية والمدنية فالكلام فيها مبني على أصل وهو معرفة المقصود بها وما به يحصل المقصود *فنقول للناس في مقصود العبادات مذاهب منهم من يقول المقصود بها تهذيب اخلاق النفوس وتعديلها ليستعد بذلك للعلم وليست هي مقصودة فى نفسها ويجعلونها من قسم الاخلاق وهذا قول متفلسفة اليونان وقول من اتبعهم من الملاحدة والاسماعيلية وغيرهم من المتفلسفة الاسلاميين كالفارابي وابن سينا وغيرهما ومن سلك طريقتهم من متكلم ومتصوف ومتفقه كما يوجد مثل ذلك فى كتب أبي حامد والسهروردى المقتول وابن رشد الحفيد وابن العربي وابن سبعين لكن ابو حامد يختلف كلامه تارة يوافقهم وتارة يخالفهم وهذا القدر فعله ابن سينا وامثاله ممن رام الجمع بين ماجاءت به الانبياء وبين فلسفة المشائين ارسطو وامثاله ولهذا تكلموا في الآيات وخوارق العادات وجعلوا لها ثلاثة أسباب القوى الفلكية والقوى النفسانية والطبيعية اذ كانت هذه هى المؤثرات في هذا العالم عندهم وجعلوا ما للانبياء وغير الانبياء من المعجزات والكرامات وما للسحرة من العجائب هو من قوى النفس لكن الفرق بينهما ان ذلك قصده الخير وهذا قصده الشر وهذا المذهب من افسد مذاهب العقلاء كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع فانه مبني على انكار الملائكة وانكار الجن وعلى ان الله لايعلم الجزئيات ولا يخلق بمشيئته وقدرته ولا يقدر على تغيير العالم ثم ان هؤلاء لايقرون من المعجزات الا بما جرى على هذا الاصل وامكن ان يقال فيه هذا مثل نزول المطر وتسخير السباع وامراض الغير وقتله ونحو ذلك • فاما قلب العصاة حية واحياء الموتى واخراج

مادون ذلك لمن يشاء وهذا في موضعين من كتابه وهذا اول الكلمات العشر التي انزلها الله على موسى حيث قال انا الله لا اله الا انا الملك الذي اخرجتك من ارض مصر من التعبد لا يكون لك اله غيري لا تتخذ صورا ولا تمثالا مافي السموات من فوق ومن في الارض من اسفل وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن انى انا ربك العزيز وقد شهد المسيح عليه السلام ان هذا هو اعظم وصية في الناموس فعبادة الله وحده لاشريك له وان يكون الله احب الى العبد من كل ماسواه هو اعظم وصية وكلمة جاء بها المرسلون كموسى والمسيح ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين وضد هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله تعالى قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حباً لله وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين ان النفس ليس لها نجاة ولا سعادة ولا كمال الا بان يكون الله معبودها ومحبوبها الذي لا احب اليها منه ولهذا كثر في الكتب الالهية الامر بعبادة الله وحده ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد ان يكون العابد محباً للاله المعبود كمال الحب ولا بد ان يكون ذليلا له كمال الذل فمن احب شيئاً ولم يذل له لم يعبده ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده • وكمال الذل والحب لا يصلح الا لله وحده فهو الاله المستحق للعبادة التي لا يستحقها الا هو وذلك يتضمن كمال الحب والذل والاجلال والاكرام والتوكل والعبادة • فالنفوس محتاجة الي الله من حيث هو معبودها الذي هو محبوبها ومنتهى مرادها وبغيتها ومن حيث هو ربها وخالقها فمن اقر بان الله رب كل شيء وخالقه ولم

كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال(وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا إله الا انا فاعبدون) وقال ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وقال تعالى (واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون) وقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) وقال لما ذكر قصص الانبياء(ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون) وقال تعالى(شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى(فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) وقد قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا اله الا الله وبهذا بعث الله جميع الرسل وانزل جميع الكتب فلا تصلح جميع النفوس وتزكو وتكمل الا بهذا كما قال تعالى وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكوة اى لايؤتون ماتزكوا به نفوسهم من التوحيد والايمان وكل من لم يحصل له هذا الاخلاص لم يكن من اهل النجاة والسعادة كما قال تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر

يحرم في حال ويباح في حال واما الاربعة فهي محرمة مطلقا فالفواحش متعلقة بالشهوة • والبغي بغير الحق يتعلق بالغضب والشرك بالله فساد أصل العدل فان الشرك ظلم عظيم والقول على الله بلا علم فساد العلم فقد حرم سبحانه هذه الاربعة وهي فساد الشهوة والغضب وفساد العدل والعلم وقوله (وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) يتضمن تحريم أصل الظلم في حق الله وذلك يستلزم ايجاب العدل فى حق الله تعالى وهو عبادته وحده لاشريك له فان النفس لها القوتان العلمية والعملية وعمل الانسان عمل اختياري والعمل الاختيارى انما يكون بارادة العبد وكل انسان له ارادة وعمل بارادته فان الانسان حساس متحرك بالارادة ولهذا قال النبى صلي الله عليه وسلم اصدق الاسماء الحارث وهمام والارادة لابد لها من مراد وكل مراد فاما ان يراد لنفسه واما ان يراد لغيره والمراد لغيره لابد ان ينتهى الى مراد نفسه فالقوة العملية تستلزم ان يكون للانسان مراد وذلك المراد لنفسه هو المحبوب لنفسه وهو الاله الذي يستحق ان يكون محبوباً لذاته وهذا هو العلة الغائية الذى هو علة فاعلية للعلة الفاعلية ولهذا قيل العامة تقول قيمة كل امرئ ما يحسن والعارفون يقولون قيمة كل امرئ ما يطلب وفى بعض الكتب المتقدمة انى لا أنظر الى كلام الحكيم وانما انظر الى همته وهؤلاء المتفلسفة لم يذكروا هذا في كمال النفس وانما جعلوا كلامها العملي في تعديل الشهوة والغضب بالعفة والحلم وهذا غايته ترك الاسراف في الشهوة والغضب والشهوة هي جلب ما ينفع البدن ويبقى النوع والغضب دفع ما يضر البدن ولم يتعرضوا لمراد الروح الذي يحبه كدأبه

يعبد الله وحده بحيث يكون الله احب اليه من كل ماسواه واخشى عنده من كل ماسواه واعظم عنده من كل ماسواه وارجى عنده من كل ماسواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل مايدعوه فهو مشرك الشرك الذى لايغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفاً في طعامه ونكاحه وكان حليما شجاعا فما ذكره المتفلسفة من الحكمة العملية ليس فيها من الاعمال ماتسعد به النفوس وتنجو من العذاب كما ان ما ذكروه من الحكمة النظرية ليس فيها الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فليس عندهم من العلم ماتهتدى به النفوس ولا من الاخلاق ما هو دين حق ولهذا لم يكونوا داخلين فى أهل السعادة فى الآخرة المذكورين في قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) وهذه الفضائل الاربع التي ذكرتها المتفلسفة لابد منها فى كمال النفس وصلاحها وتزكيتها والمتفلسفة لم يجدوا ما يحتاج اليه بحد يبين مقدار ما تحصل به النجاة والسعادة ولكن الانبياء بينوا ذلك وقد قال سبحانه (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون) فهذه الانواع الاربعة هى التي حرمها تحريماً مطلقاً لم يبح منها شيئاً لاحد من الخلق ولا فى حال من الاحوال بخلاف الدم والميتة ولحم الخنزير وغير ذلك فانه

العلة الاولى فانه يتحرك للتشبه بها فجعلوا قوام العالم كله بالعلة الاولى من حيث هو متشبه به لان المتحرك باختياره لابد له من مراد ومعلوم ان الحركة الارادية تطلب مرادًا محبوباً لنفسه وتستلزم ذلك أعظم من استلزامها تشبها به فان كل متحرك بالارادة لابد له من مراد محبوب لنفسه فان الارادة لابد لها من مراد والمراد يكون اما مرادًا لنفسه واما مرادًا لغيره والمراد لغيره انما يراد لذلك الغير فلا بد أن يكون ذلك الغير مراداً لنفسه او ينتهي الى مراد لنفسه والا لزم التسلسل في العلل الغائية وذلك باطل كبطلان التسلسل في العلل الفاعلية بصريح العقل واتفاق العقلاء • وبسط هذا له موضع آخر واذا كان الفاعل بالاختيار يستلزم مراداً لنفسه محبوبا فلا بد ان يكون لما يتحرك في السموات بارادته سواء كان هؤلاء الملائكة او ما يسمونه هم نفسا من محبوب مراد لذاته يكون هو الاله المعبود المراد بتلك الحركات وكذلك نفس الانسان حركتها بالارادة من لوازم ذاتها فلا بد لها من محبوب مراد لذاته وهو الاله وهذا المحبوب المراد لذاته هو الله تعالى ويمتنع ان يكون غيره كما قد بسط هذا في موضع آخر وبين انه كما يمتنع ان يكون موجوداً بغيره بل هو واجب الوجود بنفسه فيمتنع ان يكون مراداً لغيره بل هو مراد لنفسه وكما يمتنع ان يكون للعالم ربان قادران يمتنع ان يكون للعالم إلهان معبودان فان كون احدهما قادراً يناقض كون الآخر قادراً لامتناع اجتماع القادرين على مقدور واحد وامتناع كون أحدهما قادراً على الفعل حين يكون الآخر قادراً عليه وامتناع ارتفاع قدرة أحدهما بقدرة الآخر مع

مع انهم انما تكلموا فيما يعود الى البدن وجعلوا ذلك اصلاحا للبدن الذي هو آلة النفس وجعلوا كمال النفس في مجرد العلم وقد بسطنا غلطهم في هذا الاصل من وجوه في غير هذا الموضع وبينا ان النفس لها كمال في العلم والارادة كما ان لها كمالا في العلم وان العلم المجرد ليس كمالا لها ولا صلاحا ولو كان كمالا لم يكن ما عندهم من العلم ما هو كمال للنفس وبينا غلط الجهمية الذين قالوا الايمان هو مجرد العلم وان الصواب قول السلف والأئمة ان الايمان قول وعمل أصله قول القلب وعمل القلب المتضمن عمل القلب وارادته واذا كان لابد للنفس من مراد محبوب لذاته لاتصلح الا به ولا تكمل الا به وذلك هو آلهها فليس لها إله يكون به صلاحها الا الله ولهذا قال الله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وليس ذلك للانسان فقط بل والملائكة والجن فانهم كلهم احياء عقلاء ناطقون لهم علم وعمل اختيارى ولا صلاح لهم الا بمرادهم المحبوب لذاته وهو معبودهم ولا يجوز ان يكون معبوداً محبوباً لنفسه الا الله فلو كان في السموات والارض اله الا الله لفسدتا فلهذا كان دين جميع الرسل عبادة الله وحده لاشريك له وهؤلاء المتفلسفة لايعرفون ذلك فليس عندهم من صلاح النفس وكمالها في العلم والعمل ما تنجو به من الشقاء فضلا عما تسعد به . ومما يبين ذلك ان ارسطو معلمهم الاول هو واتباعه انما أثبتوا العلة الاولى بالحركة الفلكية فقالوا الحركة الدورية حركة اختيارية نفسانية فقوامه بحركته الاختيارية وفساده بعدمها وقوام حركته بما يتحرك لاجله فان الفاعل بالاختيار انما قوامه بعلته الغائية التي يتحرك لاجلها وغايته التي يتحرك لاجلها هو

لذاتهـا وان الله سبحانه محبوب مستحق للعبادة لذاته لااله الا هو ولا يجوز ان يكون غيره معبودا محبوبا لذاته وانه سبحانه يحب عباده الذين يحبونه ويرضى عنهم ويفرح بتوبة التائب ويبغض الكافرين ويمقتهم ويغضب عليهم ويلعنهم ويذمهم وان في ذلك من الحكم البالغة وكذلك من الاسباب مايطول وصفه فى هذا الخطاب كما قد بسط فى موضعه اذ المقصود هنا التنبيه على ان المسلمين اكمل من غيرهم في العلوم النافعة والاعمال الصالحة واذا عرف مذاهب الناس في مقاصد العبادات فهم أيضا مختلفون في صفاتها فمن الناس من يظن ان كل ما كان اشق على النفس واشد اماتة لشهواتها فهو أفضل وهذا مذاهب كثير من المشركين والهند وغيرهم وكثير من أهل الكتاب اليهود والنصارى وكثير من مبتدعة المسلمين • والقول الثاني قول من يقول ان افضلها ما كان ادعى الى تحصيل الواجبات العقلية. والثالث قول من يقول فضل بعضها على بعض لاعلة له بل يرجع الى محض المشيئة • والرابع وهو الصواب ان افضلها ما كان لله اطوع وللعبد انفع فما كان صاحبه اكثر انتفاعاً به وكان صاحبه اطوع لله من غيره فهو افضل كما جاء في الحديث خير العمل انفعه • وعلى كل قول فعبادات المسلمين أكمل من عبادات غيرهم • اما على الاول فاولئك يقولون كلما كانت الاعمال اشق على النفس فهى افضل ثم هؤلاء قد يفضلون الجوع والسهر والصمت والخلوة ونحو ذلك كما يفعل ذلك من يفعله من المشركين الهند وغيرهم ومن النصارى ومبتدعة هذه الامة ولكن يقال لهم الجهاد اعظم مشقة من هذا كله فانه بذل النفس وتعريضها للموت ففيه غاية الزهد المتضمن لترك

التكافي كذلك يمتنع ان يكون الهان معبودان محبوبان لذاتهما لان
كون احدهما هو المعبود لذاته يناقضه ان يكون غيره معبوداً لذاته فان
ذلك يستلزم ان يكون بعض المحبة والعمل لهذا وبعض ذلك لهذا وذلك
يناقض كون الحب والعمل كله لهذا فان الشركة نقص في الحب ولا تكون
حركة المتحرك بارادته له فلا يكون أحدهما معبوداً معمولا له الا اذا
لم يكن الآخر كذلك فان العمل لهذا يناقض ان يكون له شريك فضلا عن
ان يكون لغيره وكل من احب شيئين فاما يحبهما لثالث غيرهما والا فيمتنع
ان يكون كل منهما محبوباً لذاته إذ المحبوب لذاته هو الذى تريده النفس
وتطلبه وتطمئن اليه بحيث لا يبقى لها مراد غيره وهذا يناقض ان يكون له
شريك . والقول الثاني في مقصود العبادات قول من يقول ان الله عرض
الناس بالتكليف بالعبادات ليثيبهم على ذلك بعد الموت فان الانعام بالثواب
لا يحسن بدون التكليف لما فيه من الاجلال والتعظيم الذى لا يستحقه
الا مكلف كما يقول ذلك القدرية كالمعتزلة ومن وافقهم من الشيعة وأهل
الكتاب من المسلمين وغيرهم وهؤلاء قد يجعلون الواجبات الشرعية
لطفا في الواجبات العقلية وقد يقولون ان الغاية المقصودة التي بها يحصل
الثواب هو العمل والعلم ذريعة اليه حتى يقولوا مثل ذلك في معرفة الله
تعالى يقولون انما وجبت لانها في اداء الواجبات العقلية العملية والقول
الثالث قول من يقول بل الله امر بذلك لا بحكمة مطلوبة ولا سبب
بل لمحض المشيئة وهذا قول الجبرية المقابلين للقدرية كالجهم والاشعرى
وخلق كثير من المتكلمين والفقهاء والصوفيه وغيرهم • والقول الرابع
قول سلف الامة وأئمتها وهو ان نفس معرفة الله تعالى ومحبته مقصودة

واما حكم المسلمين في الحدود والحقوق .فلا يخفى على عاقل فضله حتى ان النصارى في طائفة من بلادهم ينصبون لهم من يقضي بينهم بشرع المسلمين اذ لم يكن لهم شرع عام يحكم به بين الناس وليس فى الانجيل حكم عام بل عامته الامر بالزهد ومكارم الاخلاق وهو مما يامر به المسلمون ايضاً وقد ذكرنا في كون المسلمين معتدلين متوسطين بين اليهود والنصارى فى التوحيد والنبوات والحرام والحلال وغير ذلك مما يبين انهم اكمل من الامتين مع ان دلائل هذا كثيرة جدا وانما المقصود التنبيه على ذلك وحينئذ ففضل الامة يستلزم فضل متبوعها

(فصل) ومما يبين امر محمد صلى الله عليه وسلم ان من دعى الى مثل مادعي اليه لا يخلو من ثلاثة اقسام.اما ان يكون نبياً صادقاً مرسلا من الله كما اخبر عن نفسه بمنزلة نوح وابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الانبياء الذين ذكرهم الله فى قوله (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوحٍ والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسي وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسي تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا)واما ان يكون ملكا عادلا وضع ناموسا سياسيا وقانونا عدليا ينتفع به الخلق ويحملهم به على السيرة العادلة ليبلغ عامه كما كان للامم من يضع لهم النواميس مثل واضعى النواميس من اليونان والهند والفرس وغيرهم

الدنيا كلها وفيه جهاد النفس في الباطن وجهاد العدو في الظاهر وتلك العبادات توجد من الضعفاء ومعلوم ان المسلمين اعظم جهادا من اليهود والنصارى فان اليهود خالفوا موسى في الجهاد وعصوه والنصارى لايجاهدون على دين. واما على قول من يجعل العبادات الشرعية لطافى الواجبات العقلية فلا ريب ان عبادات المسلمين كصلاتهم وصيامهم وحجهم ادعى الى العدل الذى هو جماع الواجبات العقلية من عبادات غيرهم التي ابتدعوها فانها متضمنة للظلم المنافي للعدل. واما على قول نفاة التعليل ورد ذلك الى مشيئة الله فيكون الامر في ذلك راجعاً الى محض مشيئة الله وتعبد للخلق وحينئذ فمن تكون عباداته تابعة لامر الله الذي جاءت به الرسل يكون متعبدا بما امر الله به بخلاف من تكون عباداته قد ابتدعها اكابرهم من غير ان يأتيهم بها رسول من عند الله واما على القول الرابع فايما علم ان الله امر به يتضمن طاعة الله. وهذا انما يكون في عبادات أمر الله بها وهي عبادات المسلمين دون من ابتدع كثيراً من عباداتهم اكابرهم. واما انتفاع العباد بها فهذا يعرف بثمراتها ونتائجها وفوائدها ومن ذلك آثارها في صلاح القلوب فليتدبر الانسان عقول المسلمين واخلاقهم وعدلهم يظهر له الفرق بينهم وبين غيرهم. ثم صفات عباداتهم فيها من الكمال والاعتدال كالطهارة والاصطفاف والركوع والسجود واستقبال بيت ابراهيم الذى هو امام الخلائق والامساك فيها عن الكلام وما فيها من الخشوع وتلاوة القرآن واستماعه الذى يظهر الفرق بينه وبين غيره من الكتب لكل متدبر منصف الى امثال ذلك من الامور التي يظهر بها فضل عبادات المسلمين على عبادات غيرهم

الوجوه • واما ان لا يكون جازما بذلك فان كان جازما بذلك كان هذا هو النبي المعصوم الذى لا يخبر الا بحق وصدق ولا يأمر الا بعدل وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) بخلاف القسم الذى يتحرى العدل والصدق باجتهاده ورائه فان هذا قد يأمر باشياء يجوز ان تكون المصلحة والعدل فى خلافها ويخبر باشياء باجتهاده يجوز ان تكون المصلحة والعدل في خلافها ويخبر باشياء باجتهاده يجوز ان يكون الامر فيها بخلاف ذلك ولا بد ان يغلط في بعض مايخبر به من العلميات ومايأمر به من العمليات فانه لا معصوم الا الانبياء ولهذا لم يجب الايمان بكل مايقوله بشر الا ان يكون نبياً فان الايمان واجب بكل مايأتى به النبي قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسي وعيسى وماأوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقال تعالى (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين الآية واذا كان كذلك فمعلوم بالتواتر ان محمدا ذكر انه رسول كابراهيم وموسي وعيسى بل اخبر انه سيد ولد آدم وان آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة وانه لما اسرى به وعرج الى ربه علا على الانبياء كلهم على ابراهيم وموسى وهرون وعيسى ويحيي وغيرهم واخبر انه لانبي بعده وان امته هم الآخرون في الخلق السابقون يوم القيامة وان الكتاب الذى انزل اليه احسن الحديث وانه مهيمن على مابين يديه من الكتب مع تصديقه لذلك • وحينئذ فاذا كان عالماً بصدق نفسه فهو نبي رسول ومن قال هذا

وان كان واضع الناموس مختصا بقوة قدسية ينال بها العلم بسهولة له وقوة نفسه يتصرف فيها تصرفات خارجة عن المادة ويكون له قوة تخيلية تمثل له في نفسه اشكالا نورانية واصواتاً يسمعها في داخل نفسه فان هذه الخواص الثلاثة هي التي يقول ابن سينا وامثاله من المتفلسفة انها خواص النبي ومن قامت به كان نبياً ٠ والنبوة مكتسبة عندهم ولكن لما كانت هذه موجودة لكثير من الخلق ولم يصل بها الى قريب من درجة الصديقين اتباع الانبياء كالخلفاء الراشدين وحوارى عيسى واصحاب موسى جعلناها من هذا القسم اذ صاحب هذا قد يكون فيه عدل وسياسة بحسب ما معه من العلم والعدل فهذا القسم الثاني ٠ واما ان يكون رجلا كاذبا فاجراً افاكا اثيما يتعمد الكذب والظلم أو يتكلم بلا علم فيخطئ خطأ من يتكلم بلا علم ومن يظن الكذب صدقا والباطل حقاً والضلال هدى والغي رشداً والظلم عدلا والفساد صلاحا وكل من دعى الخلق الي متابعته وطاعته على سبيل الحتم والايجاب بان يصدقوه فيما أخبر ويطيعوه فيما اوجبه وأمر به باطناً وظاهراً من غير ان يخبر احدا على اتباعه وتصديقه وطاعته ولا يسوغ له مخالفته بوجه من الوجوه لافي الباطن ولافي الظاهر ٠ لم يخرج عن هذه الاقسام الثلاثة وذلك لانه اما ان يكون قصده الاثم والعدوان او قصده البر والعدل فان كان قصده الاول فهو ظالم فاجر ومثل هذا لايكون الا كاذبا عمداً او خطأ ٠ وان كان قصده البر والعدل فلا يخلو مع ذلك اما ان يكون عالما بكل ما يخبر به من الغيوب جازما بصدق نفسه جزما لايحتمل النقيض عالما بان ما يأمر به هو عدل لايجوز من أمره ان يعصيه بوجه من

محمد صلى الله عليه وسلم قد علم بالاضطرار من سيرته انه كان يتحرى الصدق والعدل وانه ماجرت عليه كذبة قط وعلم انه كان جازما بمايخبر به مع عظم الاخبار وكثرتها وانه هو وحده قام يدعو الناس الى ماجاء به ومن عادة طالب الملك والرياسة ولو كان عادلا ان يستعين بمن يعينه كاقاربه واصدقائه ونحوهم وان يبذل للنفوس من العاجل مايرغبها به كالمال والرياسة ويرهب من خالفه ومحمد صلى الله عليه وسلم دعا الناس وحده وهو بمكة فآمن به المهاجرون ثم آمن به الانصار بالمدينة ثم آمن به أهل البحرين ولم يعط أحداً منهم درهما ولا كان معه مايخيفهم به لا سيف ولا غيره بل اقام بمكة بضع عشرة سنة وهو والمؤمنون به مستضعفون لم يكن له مال يبذله لهم ولا سيف يخيفهم به وكان أعظم من آمن به أبو بكر الصديق مع كمال عقله وخلقه ودينه في قومه ومحبتهم له وعلو قدره فيهم انفق ماله كله في سبيل الله حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك ؟ قال تركت لهم الله ورسوله ولم يعطه النبي صلى الله عليه وسلم درهما واحدا يخصه به ثم تولى الامر بعده وترك ما كان معه للمسلمين واكتفى كل يوم بدرهمين له ولعياله ومات وهو فقير من فقراء المسلمين وتولى بعده عمر بن الخطاب وفتح أعظم ممالك العالم مملكة فارس والروم فقهر الروم على بلاد الشام والجزيرة ومصر وأميره الكبير أبو عبيدة أزهد الخلق في ولايته الاموال وأعبدهم للخالق وأرحمهم للمخلوق وابعدهم عن هوى النفس ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه ٠ ان لكل أمة اميناً وأمين هذه الامة أبو عبيدة ابن الجراح وأميره على فارس سعد بن أبي وقاص الذي كان مستجاب الدعوة

القول وهو يعلم انه كاذب فهو من اظلم الناس وأفجرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً او قال اوحى الي ولم يوح اليه شيء ٠ وان كان يظن صدق نفسه وليس كذلك فهو مخطئ غالط ملبوس عليه واذا كان كذلك فلا بد ان يخطئ فيما يخبر به من الغيوب ويظلم فيما أمر به من العدل ولا يتصور استمراره على هذا بل لابد ان يتبين له ولغيره انه صادق او كاذب ٠ فان من ظن صدق نفسه في مثل هذه الدعوى وليس بصادق يكون من اجهل الناس واظلمهم وابعدهم عن التمييز بين الحق والباطل والصدق والكذب والخير والشر فان هذا بمنزلة من اشتبه عليه النبي الصادق بالنبي الكاذب وهذا من اجهل الناس واذا اشتبه عليه حال غيره فكيف بمن اشتبه عليه حال نفسه ولم يعلم هو مايقوله أصدق او كذب ٠ ومن كان جاهلا مع هذه الدعوى العظيمة التي لم يدع بشر مثلها ومع كثرة ما يخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة ويأمر به وينهى عنه من الامور الكلية والسنن العامة والشرائع والنواميس فلا بد ان يكون فيها من الضلال والغي مايبين لأكثر الحاق فاذا كان اخباره عن الماضي والمستقبل يصدق بعضها بعضاً والذي يأمر به هو الطريق الاقوم والكتاب الذي جاء به كتاب متشابه مثاني يشبه بعضه بعضا في الصدق قال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فانه لو كان من عند غير الله لوجب ان يكون فيه تناقض لامتناع قدرة البشر على ان تخبر بهذه الاخبار وما فيها من الغيوب ويأمر بهذه الاوامر مع سلامة ذلك من التناقض ٠ وهذا لا يوجد بشر غير نبي يسلم من ذلك فاذا كان

والمشركون ليسوا خيرا من النصارى فتعين ان امة محمد صلى الله عليه
وسلم خير من النصارى وذلك يستلزم ان نبيهم صادق والا فمن كانو
متبعين لنبي كاذب فليسوا خيرا من النصارى بل هم من شرار الخلق
كاتباع مسيلمة الكذاب والاسود العنسي وغيرهما وقال في القرآن (ا
تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل
عليهم طيراً أبابيل) والابابيل جماعات في تفرقة فوج بعد فوج ترميهم
بحجارة من سجيل أي من طين مستحجر وهي كلمة معربة أصلها بالفارسية
سنك وكل بالفارسية هي الطين ويقولون في الجمع كيلان اى اطيان لان
الالف والنون في الفارسية للجمع فيقولون مسلمان وفقيهان وعالمان
اى مسلمون وعلماء وفقهاء ولما عربتها العرب صارت عربية ينطقون
بها ويعرفون معناها والقرآن نزل بلغتهم العربية والمعرب عربي فجعلهم
كعصف مأكول كالتبن الذى اكل وقوله الم تر استفهام في معنى التقرير
وهذا يقتضي ان هـذا قد وقع وعلم به الناس ورواه وقد قررهم على
ذلك لما فيه من الدلالة والبيان والاعلام على الخلق

(فصل) ومن آياته الظاهرة التي في القرآن ما ذكره من ان السماء
ملئت حرسا شديدا وشهبا بخلاف ما كانت العادة جارية به قال تعالى
(قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا
يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحـداً) الى قوله (وانا
لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شـديداً وشهبا وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً وانا لا ندرى أشر
أريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشداً) وقال تعالى (وما تنزلت

وكان من ازهد الخلق وكان آخر من بقي من أهل الشورى والناس يتنازعون في الولاية وهو معتزل في قصره بالعقيق لايزاحم أحداً فقال له بن عمر تركت الناس يتنازعون في الملك وجلست ههنا ؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول • ان الله يحب العبد التقي النقي الخفي

(فصل)ومن آيات محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته في القرآن قصة الفيل قال تعالى (ألم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) وقد تواترت قصة أصحاب الفيل وان اهل الحبشة النصارى ساروا بجيش عظيم معهم فيل ليهدموا الكعبة لما أهان بعض العرب كنايسهم التي باليمن فقصدوا اهانة الكعبة وتعظيم كنايسهم فارسل الله عليهم طيرا أهلكهم عامتهم وكان ذلك عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان جيران البيت مشركين يعبدون الاوثان ودين النصارى خير من دينهم فعلم بذلك ان هذه الاية لم تكن لاجل جيران البيت حينئذ بل كانت لاجل البيت أو لاجل النبي صلى الله عليه وسلم الذي ولد في ذلك العام عند البيت اولمجموعهما وأي ذلك كان فهو من دلائل نبوته فانه اذا قيل انما كانت آية للبيت وحفظاً له وذبا عنه لانه بيت الله الذي بناه ابراهيم الخليل • فقد علم انه ليس من اهل الملل من يحج الى هذا البيت ويصلي اليه الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي فرض حجه والصلاة اليه فاذا كان هذا البيت عند الله خيرمن الكنائس التي للنصارى حتى ان الله أهلك أهل الكنائس لما أرادوا تعظيم الكنائس واهانة البيت • علم ان دين اهل هذا البيت خير من دين النصارى

الارض ومغاربها فانظروا ماهذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا (انا سمعنا قرآنا عجباً يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) فانزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً) وفى لفظ البخارى بنخلة قريباً من مكة وهو الصواب. وقد ظن بعض الناس ان الشهب لم يكن يرمى بها قبل ذلك بحال والصواب انه كان يرمى بها كما هو الآن احياناً كما ثبت فى صحيح مسلم عن ابن عباس ورواه ايضاً أحمد في مسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو في نفر فى الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال لهم ما كنتم تقولون في هذا النجم الذى يرمي به في الجاهلية؟ قالوا كنا نقول حين رأيناها يرمى بها مات ملك ولد مولود . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله اذا قضى في خلقه أمرا يسمعه أهل العرش فيسبحون فيسبح من تحتهم بتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلم يزل التسبيح يهبط حتي ينتهى الى السماء الدنيا حتي يقول بعضهم لبعض لم سبحتم ؟ فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم. فيقولون ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا؟ فيسألون فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا الامر الذى كان فيهبط به الخبر من سماء الى سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا فيتحدثون به فتسترقه الشياطين بالسمع على

به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون) وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأه على الناس وهم يقرأونه ولم ينكره احد ولا ارتاب به مؤمن ولا احتج به عليه كافر فدل على ان الناس علموا صدق ما اخبرت به الجن من ان السماء ملئت حرسا شديداً وشهبا وانهم لم يتمكنوا حينئذ مما كانوا يتمكنون منه قبل ذلك من الاستماع ومعلوم ان هذا امر يراه الناس بابصارهم فان امتلاء السماء بالشهب امر يراه الناس كلهم فلو لم يكن كذلك لكان الناس يكذبون بهذا مؤمنهم وكافرهم فان الجماعة العظيمة الذين لم يتواطئوا يمتنع اتفاقهم على الكذب وعلى التصديق بما يعلمون انه كذب وعلى كتمان مايعلمونه وعلى ترك انكار مايعلمون انه كذب وقد سمع القرآن الوف مؤلفة ادركوا مبعثه وشاهدوا احوال السماء فلو لم يكن هذا كان موجودا مع ان عامتهم كانوا مكذبين له ولما آمنوا كانوا طوائف متباينين يمتنع اتفاقهم على كذب او كتمان او سكوت فلما لم ينكر ذلك احد بل تظاهرت الاخبار بمثل ما اخبر به القرآن من الرمي العظيم بالشهب الذي لم يعهد مثله حتى صاروا يشكون هل ذلك في الكواكب التي في الفلك او في غيرها وقالوا ان كان في كواكب الافلاك فهو خراب العالم فلما راوه فيما دونها علموا انه لامر حدث • ففي الصحيحين من حديث ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم ؛ قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء ارسلت علينا الشهب • قالوا ماذاك الا من شيء حدث فاضربوا مشارق

قال غلظت واشتد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الطبري عن داود ثنا عاصم بن علي ثنا علي بن عاصم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان للجن مقاعد في السماء يستمعون الوحي وكان الوحي اذا أوحى سمعت الملائكة كهيئة الحديدة يرمي بها على الصفوان فاذا سمعت الملائكة صلصلة الوحي خر لجباههم من في السماء من الملائكة فاذا نزل عليهم اصحاب الوحي قالوا ماذا قال ربكم ؟ قال فينادون قال ربكم الحق وهو العلي الكبير قال فاذا نزل الى السماء الدنيا قالوا يكون في الارض كذا وكذا موتاً كذا وكذا حياة وكذا وكذا جدوبة وكذا وكذا خصباً وما يريد ان يصنع وما يريد ان يبتدي تبارك وتعالى فنزلت الجن فاوحوا الى أوليائهم من الانس مما يكون في الارض فبينماهم كذلك اذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم فزجرت الشياطين عن السماء ورموهم بالكواكب فجعل لا يصعد احد الا احترق وفزع اهل الارض لما رأوا في الكواكب ولم يكن قبل ذلك فقالوا اهلك من في السماء. وكان اهل الطائف اول من فزع فينطلق الرجل الى ابله فنحر كل يوم بعيرا لآلهتهم فينطلق صاحب الغنم فيذبح كل يوم شاة فينطلق صاحب البقر فيذبح كل يوم بقرة فقال لهم رجل ويلكم لا تهلكوا أموالكم فان معالمكم من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها شيء. فاقلعوا وقد اسرعوا في أموالهم وكان ابليس قال حدث في الارض حدث فاتى من كل الارض بتربة فجعل لا يؤتى بتربة أرض الا شمها فلما أتى بتربة تهامة قال ههنا حدث الحدث فصرف الله اليه نفرا من الجن وهو يقرأ القرآن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً

توهم منهم واختلاف ثم يأتون به الكهان من اهل الارض فيحدثونهم فيخطئون ويصيبون فيتحدث به الكهان • وفى الصحيحين عن عائشة قالت قلت يارسول الله ان الكهان قد كانوا يحدثوننا بالشيء فيكون حقاً • قال تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقذفها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة وروي البخاري في صحيحه عن عائشة انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضى في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند انفسهم وفي صحيح البخاري ايضاً عن أبى هريرة قال ان نبي الله صلي الله عليه وسلم قال اذا قضي الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعاً لقوله كأنه سلسلة على الصفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا الكلمة التى سمعت من السماء فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء ورواه محمد ابن اسحاق عن الزهرى وقال فى آخره ثم ان الله عز وجل حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم فانقطعت الكهانة فلا كهانة ورواه معمر عن الزهري وقال فقلت للزهري أو كان يرمي بها في الجاهلية؟ قال نعم قلت يقول الله انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية

جدا لايمكن احصاؤها وهي مشتملة على جنسى العلم والقدرة على انواع من الاخبار بالغيوب المستقبلة مفصلة كانما رآها بعينه لم يأت منها خبر الا كما اخبر به وهذا أمر لم يكن قط الا لنبي اما الكاهن والمنجم ونحو هؤلاء فيكذبون كثيرا كما يصدقون احياناً ويخبرون بجمل غير مفصلة واما أهل الولاية والصلاح فاعظمهم كشفاً يخبر من ذلك بامور قليلة لاتبلغ عشر معشار ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخبرون بها مفصلة كخبره وعلى انواع من القدرة والتصرف الخارق للعادة والآيات اما من باب العلم والخبر والمكاشفة • واما من باب القدرة والتأثير والتصرف وفي القرآن من الاخبار بالمستقبلات شيء كثير كقوله تعالى (الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد) فغلبت الروم فارس في بضع سنين وقد ذكرنا تفصيل ذلك فيما مضى وكقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لايشركون بي شيئاً) وكان كما اخبر وروى الدارمي عن ابي بن كعب قال لما قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه المدينة واواهم الانصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لايبيتون الا في السلاح ولا يصبحون الا فيه فقالوا ترون انا نعيش حتى نبيت مطمئنين لانخاف الا الله عز وجل؟ فنزلت (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الى آخر الآية وكان كذلك استخلف الله المؤمنين في الارض ومكن لهم دينهم في مشارق الارض ومغاربها وقال تعالى (هو الذى ارسل

حتى ختم الآية فولوا الى قومهم منذرين ورواه ابو زرعة عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة عن عطاء بنحوه ورواه البيهقى عن حماد بن سلمة عن عطاء ايضاً فقد تبين انه لما كان في زمن المبعث ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً وقبل ذلك لم يكن الحرس شديداً بل كانت السماء مملوءة حرسا وشهباً كما هي الآن ترمي بها احياناً وكانوا يقعدون بها مقاعد للسمع أي يسترق احدهم مايسمعه كما يستمع المستمع الى حديث غيره مختفياً بسماعه مسترقا له فكانت الشياطين تسترق أي تستمع ماتقوله الملائكة فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم صار احدهم اذا استمع وجد الشهاب قد ارصد له فلم يستطع ان يقعد ويستمع كما كان قبل ذلك

(فصل) وقد ذكرنا بعض آياته التي فى القرآن لان من اهل الكتاب من يقول لا نصدق الا بما فى القرآن كما في التوراة والانجيل مافيهما من آيات موسى والمسيح اذ كان نقل القرآن عنه متواترا لا يستريب فيه احد فنبهنا على بعض مافي القرآن مع ان آياته التى ليست فى القرآن كثيرة جدا وليس من شرط المنقول المتواتر ان يكون فى القرآن بل كما تواتر عنه من شريعته ماليس في القرآن وهو من الحكمة التي انزلها الله عليه كذلك تواتر عنه من دلائل نبوته ماليس فى القرآن وهو من آياته وبراهينه وقد قال تعالى فى غير موضع (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة) فالحكمة منزلة عليه وهي منقولة في غير القرآن وقد تواتر عنه كون الصلاة خمسا والفجر ركعتين والمغرب ثلاثا والباقي اربع اربع والرباعية فى السفر ركعتان وتواتر عنه سجود السهو كذلك تواتر عنه انواع من المعجزات والاخبار المأثورة فى اصناف آياته وبراهينه كثيرة

حتى ظهر على اهل المشرق والمغرب وقال تعالى خطابا(لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب) وقال (قل ياايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين) فاخبر عن اليهود انهم لن يتمنوا الموت أبدا وكان كما اخبر فلا يتمنى اليهود الموت أبدا وهذا دليل من وجهين من جهة اخباره بانه لايكون أبدا ومن جهة صرف الله لدواعي اليهود عن تمني الموت مع ان ذلك مقدور لهم وهذا من اعجب الامور الخارقة للعادة وهم مع حرصهم على تكذيبه لم تنبعث دواعيهم لاظهار تكذيبه باظهار تمني الموت وقال في سورة المدثر (ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا الى قوله سأصليه سقر وما ادريك ماسقر لا تبقي ولا تذر) وقال عن ابي لهب عمه تبت يدا أبي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب) فكان كما اخبر به مات الوليد كافرا ومات ابو لهب كافراً وقال في سورة الفتح وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين)وقال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون)فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريباً وقال (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله

رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) وكان كما اخبر ووعد وقال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) وكان كما اخبر وقال تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) فاخبر انهم لن يفعلوا وكان كما اخبر واخبر انه قال للمسيح (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وكان كما اخبر وانزل في مكة (أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكان كما اخبر هزم الجمع وولوا الدبر وقال (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيرا) فكان كما اخبر وقال (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وكان كما اخبر وقال (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفرا الى قوله كلما أوقدوا ناراً للحرب اطفاها الله) وكان كما اخبر وقال (لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وقال (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار) وقال (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) وكان كذلك فلم يقاتلوهم بعد نزول الآية الا انتصر عليهم المسلمون وما زال الاسلام في عز وظهور

غير النبيين ففي القرآن من اخباره عن الغيوب شيء كثير كما تقدم بعض ذلك وكذلك في الاحاديث الصحيحة مما اخبر بوقوعه فكان كما اخبر ففي الصحيحين عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ماترك شيئاً يكون من مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء قد نسيته فاراه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه وفي صحيح مسلم عن ابي زيد عمرو بن أحطب قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر ثم صعد المنبر فخطبنا حتي حضرت الظهر ثم نزل فصلى بنا ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلي بنا ثم صعد المنبر فخطبنا حتي غابت الشمس قال واخبرنا بما كان وبما هو كائن فاحفظنا اعلمنا وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم قال بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل فشكي اليه الفاقة ثم أتى آخر فشكى اليه قطع السبيل فقال ياعدى هل رأيت الحيرة فقلت لم ارها وقد انبئت عنها قال فان طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف احدا الا الله قال قلت فيما بيني وبين نفسي فاين دعارطي الذين سعروا البلاد ولان طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب اوفضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احدا يقبله منه وليلقين الله احدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولن له الم ابعث اليك

جرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً اليما) وهذا كله وقع كما اخبر فحصلت لهم الغنائم الكثيرة ودخلوا المسجد الحرام آمنين ودعيت الاعراب الي قتال الروم والفرس يقاتلونهم أو يسلمون فلا بد من القتال او الاسلام ليس هناك هدنة بلاقتال ولا اسلام كما كان يكون قبل نزول آية الجزية وقال تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً) فدخل الناس فى دين الله افواجا بعد الفتح فما مات النبي صلى الله عليه وسلم وفى بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام وقال تعالى عن المنافقين (الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا ليخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون وكذلك كان فروى اهل التفسير والمغازي والسير ان هذه الآية نزلت في المنافقين كعبد الله بن ابى وعبد الله ابن نبتل ورفاعة بن تابوت ونحوهم كانوا يقولون لبنى النضير وهم اليهود حلفاؤهم لئن اخرجتم لنخرجن معكم الآية فاخبر الله عنهم انهم لن يفعلوا ذلك وكذلك كان وضرب الله لهم مثلا بالشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين) كذلك المنافقون وبنو النضير

(فصل) وآياته صلى الله عليه وسلم قد استوعبت جميع انواع الآيات الفعلية والخبرية فاخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بامور باهرة لايوجد مثلها لاحد من النبيين قبله فضلا عن

تحت ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر الفا • قلت ففتح بيت المقدس بعد موته في خلافة عمر ابن الخطاب ثم بعد ذلك وقع الطاعون العظيم بالشام طاعون عمواس في خلافة عمر أيضاً ومات فيه معاذ بن جبل وابو عبيدة بن الجراح وخلق كثير وكان ذلك أول طاعون وقع في الاسلام فكان مما أخبر به حيث أخذهم طاعون كعقاص الغنم ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان حتي كان أحدهم يعطى ماية دينار فيسخطها حتي كانت الفرس تشترى بوزنها ثم وقعت الفتنة العامة التى لم يبق من العرب بيت الا دخلته لما قتل عثمان واتسعت الفتنة بين المسلمين يوم الجمل وصفين وفي الصحيحين عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلنا الا تدعو الله لنا الا تستنصر لنا • قال فجلس محمراً وجهه ثم قال والله ان من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيمشط بامشاط الحديد ما بين لحم وعصب مايصرفه ذلك عن دينه ويؤخذ فيحفر له الحفيرة فيوضع المنشار على رأسه فيشق باثنتين مايصرفه عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخشى الا الله عز وجل أو الذئب على غنمه ولكنكم تعجلون • وفي الصحيحين واللفظ للبخارى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتي تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانف كان وجوههم المجان المطرقة ولا تقوم الساعة حتي تقاتلون قوما نعالهم الشعر • قلت وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما اخبر صلى الله عليه وسلم وأمر هذه الطوائف معروف فان قتال الترك من التتار وغيرهم الذين

رسولا فيبلغك ٠ فيقول بلى ٠ فيقول الم اعطك مالا وافضل عليك ٠
فيقول بلى ٠ فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى
الا جهنم ٠ قال عدى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار
ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة. قال عدى فرأيت الظعينة ترتحل
من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز
كسري بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ٠ قلت وهذا الذى أخبر
به من خروج الرجل ملء كفه من ذهب او فضة فلا يجد من يقبله
ظهر كما أخبر في زمن عمر بن عبد العزيز ٠ وفى صحيح مسلم عن جابر بن
سمرة عن نافع بن عتبة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
غزوة فاتي النبي صلى الله عليه وسلم قوم من قبل المغرب عليهم ثياب
الصوف فوافقوه عند اكمة فانهم لقيام ورسول الله صلى الله عليه وسلم
قاعد ٠ قال فقالت لى نفسي آتيهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه قال ثم قلت
لعله يجيء معهم فأتيتهم فقمت بينه وبينهم قال فحفظت منه أربع كلمات
اعدهن في يدى ٠ قال تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم تغزون فارس
فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ٠ ثم تغزون الدجال فيفتحه الله ٠
وروى البخارى عن عوف بن مالك قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك وهو في قبة ادم ٠ فقال اعدوا اشياء بين يدى الساعة ٠
موتى وفتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة
المال ثم يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لايبقى بيت من
العرب الادخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الاصفر فيغدرون فيأتونكم

به بعد موت الرسول بنحو ثلاثين سنة وهو سنة أربعين من الهجرة لما اصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين اللتين كانتا متحاربتين نصف عسكر على ونصف عسكر معاوية • وفي الصحيحين عن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني رأيت الليلة فى المنام ظلة تنطف السمن والعسل فارى الناس يتكففون منها بأيديهم فمنهم المستكثر والمستقل ثم اذا سبب واصل من الارض الى السماء فأراك أخذت به فعلوت ثم اخذ به رجل بعدك فعلا ثم اخذ به رجل آخر فعلا ثم اخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل له فعلا قال ابو بكر يارسول الله بابي انت وامي لتدعني فلاعبره فقال اعبر • فقال ابو بكر اما الظلة فظلة الاسلام • واما الذي تنطف من السمن والعسل فهو القرآن حلاوته ولينه • واما ما يتكفف فالمستكثر من القرآن والمستقل • واما السبب الواصل من السماء الى الارض فالحق الذى انت عليه فاخذت به فيعليك الله ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلوا ثم يأخذ به رجل فيعلو ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به فاخبرني يارسول الله اصبت ام اخطأت • فقال أصبت بعضاً واخطأت بعضاً قال فوالله يارسول الله لتخبرني بالذي اخطأت . قال لاتقسم • وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ماشاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها ذنوبا او ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فاخذ ابن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتي ضرب الناس بعطن . وفي رواية فاستحالت الدلو غربا فى يد عمر

هذه صفتهم معروف مشهور وحديثهم فى اكثر من عشر آلاف نسخة كبار وصغار من كتب المسلمين قبل قتال هؤلاء الذين ظهروا من ناحية المشرق الذين هذه صفتهم التي لو كلف من رآهم بعينه ان يصفهم لم يحسن مثل هذه الصفة • وفى الصحيحين عن ابى هريرة عن النبي صلى الله علية وسلم انه قال لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها اعناق الا بل ببصري • وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستمائة ورآها الناس ورأوا اعناق الابل قد اضاءت ببصرى وكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم • وفي الصحيحين عن ابى سعيد واسماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية وفي الصحيحين عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم هلك كسرى ثم لايكون كسرى بعده وقيصر ليهلكن ثم لايكون قيصر بعده ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله • وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذى نفسي بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله • وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتفتحن عصابة من المسلمين أو قال المؤمنين كنز آل كسرى الذي في الابيض • والابيض قصر كان لكسرى وفتح هذا الكنز سعد فى خلافة عمر بن الحطاب رضي الله عنهما • وفى صحيح البخارى عن ابى بكرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عن الحسن ابن ابنته وهو يخطب على المنبر ان ابنى هـذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين • فوقع هذا كما أخبر

لى منها . وفي صحيح مسلم عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان امتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها واعطيت الكنزين الأحمر والابيض واني سألت ربى لأمتي ان لايهلكهم بسنة عامة وان لايسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربى قال لي يامحمد اذا قضيت قضاء فانه لايرد واني اعطيتك لامتك ان لااهلكهم بسنة عامة ولا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين اقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا . وهذا اخبر به في اول الامر واصحابه في غاية القلة قبل فتح مكة وكان كما اخبر فان ملك امته انتشر في الشرق والغرب ولم ينتشر في الجنوب والشمال كانتشاره فى الشرق والغرب اذ كانت امته اعدل الامم فانتشرت دعوته فى الاقاليم التي هى وسط المعمور من الارض كالثالث والرابع والخامس وقد تقدم قوله هلك كسرى فلا يكون كسرى بعده وذلك كسرى بن هرمز آخر الاكاسرة المملكين ثم ولى بعده ولاة مستضعفون فكان آخرهم يزدجرد واليه الاشارة باللفظ الآخر اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله . وهذا اخبر به وملك كسرى وقيصر اعز ملك في الارض وصدق الله خبره فى خلافة عمر وعثمان فهلك كسرى وهو آخر الاكاسرة في خلافة عثمان بارض فارس ولم يبق بعده كسري ولم يبق للمجوس والفرس ملك وهلك قيصر الذي بارض الشام وغيرها ولم يبق بعده من هو ملك على الشام ولا مصر ولا الجزيرة من النصارى وهو الذي يدعى قيصر . قال الشافعي كانت قريش

قال الشافعي رؤيا الانبياء وحي وقوله في نزعه ضعف قصر مدته وعجلة موته وشغله بالحرب مع اهل الردة عن الافتتاح والمزيد الذى بلغه عمر في طول مدته . وفى الصحيحين عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه ان امرأة سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم شيئاً فأمرها ان ترجع اليه فقالت يارسول الله ارايت ان جئت فلم اجدك قال اى كانها تعنى الموت قال فان لم تجديني فائتي ابا بكر • وروى ابو داود الطيالسى عن ابى ثعلبة الخشني وعن ابي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بدا هذا الامر نبوة ورحمة وكائناً خلافة ورحمة وكائناً ملكا عضوضاً وكائناً عتوة وجبرية وفساداً في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون أبداً حتى يلقوا الله عز وجل . وروى ابو داود الطيالسى عن سمرة بن جندب ان رجلا قال يارسول الله انى رأيت كان دلوا دلي من السماء فجاء ابو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شرباً ضعيفاً ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتي تضلع ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتي تضلع ثم جاء على فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منه شيء . وفى السنن عن سفينة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تصير ملكا . فكان هذا العام تمام الثلاثين سنة من موته ودخل في ذلك خلافة ابى بكر وعمر وعثمان وعلى . قات وتمامها ستة أشهر التي استخلف فيها سيدنا الحسن السبط رضوان الله عليه وعلى سائر اصحاب رسول الله واهل بيته الطاهرين . وفي الصحيحين عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي مازوى

رجلين يقتتلان على موضع لبنة فاخرج منها قمر ابو ذر بعد فتح مصر بمدة بابني شرحبيل بن حسنه وهما يتنازعان فى موضع لبنة فخرج منها وفي صحيح البخاري عن سليمان ابن صرد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلي الاحزاب عنه الآن نغزوهم ولا يغزونا وكذلك كان . وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا فتحت عليكم فارس والروم اى قوم انتم ، قال عبد الرحمن بن عوف نقول كما امرنا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم او غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتحملون بعضهم على رقاب بعض وفي صحيح البخارى عن ابى هريرة انه لما انزل الله (هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الآخرين فقال لو كان الدين معلقاً بالثريا لناله رجال من ابناء فارس . وفي لفظ لو كان الايمان وفي لفظ العلم وكان كما اخبر فانه حصل في التابعين وتابعيهم وهلم جرا من ابناء فارس مثل الحسن البصري ومحمد بن سيرين وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد ابن جبر واضعاف هؤلاء من نالوا ذلك ولما نزل قوله تعالى (فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) سئل عنهم . فقال هم قوم هذا واشار الى ابى موسى الاشعرى وقال اني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن وفي الصحيحين عنه انه قال اتاكم أهل اليمن هم ارق قلوباً والين افئدة

تنتاب الشام انتيابا كثيراً وكان كثير من معايشها منه وتأتي العراق فيقال لما دخلت في الاسلام ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم خوفها من انقطاع معايشها بالتجارة بين الشام والعراق اذ فارقت الكفر ودخلت في الاسلام وخلاف ملك الشام والعراق لاهل الاسلام . فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسري فلا كسرى بعده فلم يبق بارض العراق كسرى يثبت له امر بعده وقال اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده فلم يكن بارض الشام قيصر فاجابهم على ما قالوا وكان كما قال قطع الله الاكاسرة عن العراق وفارس وقيصر عن الشام وقال في كسرى مزق الله ملكه فلم يبق للاكاسرة ملك وقال في قيصر ثبت ملكه فثبت ملكه ببلاد الروم وتنحى عن الشام وكل هذا يصدق بعضه بعضاً . وفي الصحيحين عن سفيان بن زهير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون باهليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . ثم تفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون باهليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم تفتح العراق فيأتي قوم فيتحملون باهليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . وفي رواية فيخرج من المدينة فاخبر صلى الله عليه وسلم بفتح اليمن والشام والعراق قبل ان يكون واخبر انه يخرج من المدينة اقوام يتحملون باهليهم ومن اطاعهم الى هذه الامصار ويصابون الشريف وسعة الرزق قال والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ستفتح مصر وهي ارض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيراً وفي رواية فاحسنوا الى اهلها فان لهم ذمة ورحماً فاذا رأيتم

ان اكرهت حتى ينطلق بي الى احد الصفين أو احـد الفئتين فضربني رجل بسيفه أو يجي سهم فيقتلني قال يبوء بإثمه وإثمك ويكون من اصحاب النار . وفي صحيح ابي حاتم قال النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب أو فتنة عمياء صماء بكماء القاعد فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي ويل الساعة فيها من الله يوم القيامـة . وفي الصحيحين عنه انه قال اني لارى الفتن تقع خـلال بيوتكم كمواقع القطر . وفي الصحيحين من غير وجه انه لما قال له ذو الخويصرة يا محمد اعدل فانك لم تعدل فقال ويحك قد خبت وخسرت ان لم اعدل . فقال بعض اصحابه دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه يخرج من ضئضىء هذا اقوام يحقر احـدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقراؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية آيتهم ان فيهم رجلا مخدج اليـد على عضده مثل البضعة من اللحـم تدور عليها شعرات وفي رواية في الصحيحين تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أدنى الطائفتين الى الحق وهؤلاء ظهروا بعـد موته ببضع وعشرين سنة في أواخر خلافة علي لما افترق المسلمون وكانت الفتنة بين عسكر علي وعسكر معاوية وقتلهم علي ابن أبي طالب واصحابه وهم ادنى الطائفتين الى الحق والطائفة الاخرى قتلوا عمار بن ياسر وهي الطائفة الباغية وكان علي قد اخبرهم بهذا الحديث وبعلامتهم وطلبوا هذا المخدج فلم يجـدوه حتى قام علي بنفسه ففتش عليه فوجده مقتولا فسجد شكرا لله وفي الصحيح عنـه انه قال ستكون بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة

الايمان يماني والفقه يماني والحكمة يمانية فلما ارتد من ارتد عن الاسلام أتى الله بهؤلاء الذين يحبهم ويحبونه فقاتل الصديق بهم أهل الردة وغلب بهم ابو بكر وعمر كسرى وقيصر وقال لعثمان بن عفان ان الله مقمصك قميصاً فان ارادوك على خلعه فلا تخلعه • وفي الصحيحين عن ابي موسى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط من حوائط المدينة وهو متكيء يركز بعود في الماء والطين اذا استفتح رجل فقال افتح وبشره بالجنة فاذا هو ابو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح رجل آخر فقال افتح له وبشره بالجنة فذهبت فاذا هو عمر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح رجل آخر فقال افتح له وبشره بالجنة على بلوي تصيبه فذهبت فاذا هو عثمان ففتحت وبشرته بالجنة وقلت له الذي قال فقال اللهم صبرا والله المستعان • وفي الصحيحين حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفتن التي تموج موج البحر وقال لعمران بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك ذلك الباب ان يكسر فسأله مسروق من الباب فقال عمر • وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها استشرفه ومن وجد فيها ملجأً فليعذ به رواه أبو بكرة وقال فيه فاذا وقعت فمن كان له أبل فليلحق بابله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه • قال فقال رجل يارسول الله أرأيت ان لم يكن له أبل ولا غنم ولا أرض • قال يعمد الى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج ان استطاع النجا اللهم هل بلغت • فقال رجل يارسول الله ارأيت

المبير فكان هو الحجاج بن يوسف الثقفي وكان مبيرا سفاكا للدماء بغير حق انتصارا الملك عبدالملك بن مروان الذي استنابه. وفي الصحيحين عن ابي هريرة انه قال لقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يوما أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي فيجمعه الى صدره فانه لن ينسى شيئاً سمعه • فبسطت بردة علي حتى فرغ من حديثه ثم جمعتها الى صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً سمعته منه • وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال الاسلام عزيزا الى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش وفي لفظ الى اثنى عشر اميرا وفي رواية لابي داود الطيالسي كلهم يجتمع عليهم الامة وفي رواية فقالوا ثم يكون ماذا؟ قال ثم يكون الهرج قال ابو بكر البيهقي وفي الرواية بيان العدد وفي الثانية بيان المراد بالعدد وقد بين وقوع الهرج وهو القتل بعدهم وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة الى وقت الوليد بن يزيد بن عبدالملك ثم وقع الهرج والفتنة العظمى وانما يزيدون على العدد المذكور اذا تركت الصفة المذكورة فيه اوعد معهم من كان بعد الهرج وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من انماط ؟ قلت يارسول الله وانى يكون لي انماط فانا اقول اليوم لامراتي نحي عنك انماطك فتقول الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ستكون لكم انماط ؟ وفي الصحيحين عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم أُريت انه وضع في يدي سواران من ذهب فقطعتهما فكرهتهما فاذن لي في نفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان بعدي • قال عبد الله احدهما العنسي الذي قتله فيروز الديلمي

عنه في الصحيحين انه قال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة • وهذا اخبر به حين كانت أمته أقل الامم فانتشرت الامة فى مشارق الارض ومغاربها وكان كما اخبر به فان هذه الامة ولله الحمد والمنة لم يزل فيها طائفة ظاهرة بالعلم والدين والسيف لم يصبها ما اصاب من قبلها من بني اسرائيل وغيرهم حيث كانوا مقهورين مع الاعداء بل ان غلبت طائفة فى قطر من الارض كان فى القطر الآخر أمة ظاهرة منصورة ولم يسلط علي مجموعها عدوا من غيرهم ولكن وقع بينهم اختلاف وفتن • وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من اهل النار لم أرهما بعد قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كاسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا وهؤلاء ظهروا بعده بمدة طويلة وظهر النسوة بعد ذلك بسنين كثيرة وعلى رؤسهن عمائم كاسنمة الجمال البخاتي يسمون العمامة سنام الجمل وفي صحيح مسلم عن اسماء بنت ابى بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون فى ثقيف كذاب ومبير وظهر الكذاب من ثقيف وهو المختار بن أبى عبيد الثقفي الذى اظهر التشيع والانتصار للحسين وقتل عبيد الله بن زياد وغيره من قتلة الحسين ثم اظهر انه يوحى اليه وانه ينزل عليه حتى قيل لابن عمر وابن عباس عنه قيل لاحدهما انه يوحى اليه وللآخر انه ينزل عليه • فقال احدهما وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال الآخر هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك اثيم) واما

فقال أريت ان لم اترك؟ قال فائت من انت منه فكن فيهم قال فان اخذ سلاحي قال اذا تشاركهم فيه ولكن ان خشيت ان يروعك شعاع السيف فالق طرف ردائك على وجهك يبوء باثمك واثمه وفيه عن ابن مسعود قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة من آدم فيها أربعون رجلا فقال انكم مفتوحون ومنصورون فمن ادرك ذلك الزمان منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . واما الفتوح التي فتحت عليهم والنصرة التي نصروا فقد اخبر به في اوائل مبعثه كما تقدم ذكره ووقع ما اخبر به وروى ابو حاتم في صحيحه عن ابن عباس قال مرض ابو طالب فأتته قريش واتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده وعند رأسه مقعد رجل فقام ابو جهل فقعد فيه فشكوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الي ابى طالب فقالوا ان ابن اخيك يقع في آلهتنا • قال ماشان قومك يشكونك يابن اخي؟ قال ياعم انما اردتهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي لهم بها العجم الجزية فقال وما هي؟ قال لااله الا الله فقاموا فقالوا اجعل الآلهة الهاً واحدا ؟ قال ونزلت (صٓ والقرآن ذي الذكر الى قوله ان هذا لشيء عجاب وفى صحيح بن حبان عن اسمعيل بن ابى خالد عن قيس بن ابى حازم قال لما اقبلت عائشة مرت ببعض مياه بني عامر طرقتهم ليلا فسمعت نباح الكلاب فقالت اى ماء هذا ؟ قالوا ماء الحؤب قالت ماأظنني الا راجعة قالوا مهلا يرحمك الله تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله بك • قالت ما اظنني الا راجعة انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كيف باحداكن ينبح عليها كلاب الحؤب وفيه

باليمن والآخر مسيلمة . وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو مستقبل المشرق ها ان الفتنة هاهنا ها ان الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان وفي بعض طرق البخارى قام خطيباً فاشار بيده نحو مسكن عائشة فقال وذكر الحديث فالمشرق عن مدينته فيه البحرين ومنها يخرج مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة وهو أول حادث حدث بعده واتبعه خلائق وقاتله خليفته الصديق . وروى ابو حاتم في صحيحه عن جابر ابن عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان بين يدى الساعة كذابين منهم صاحب اليمامة . ومنهم صاحب صنعا العنسى . ومنهم صاحب حمير . ومنهم الدجال وهو اعظمهم فتنة وصاحب اليمامة هو مسيلمة قال وقال اصحابى قال هم قريب من ثلاثين كذابا . وفي صحيح مسلم عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يفيض المال وتظهر الفتن ويكثر الهرج . قالوا وما الهرج يارسول الله ؟ قال القتل القتل وفي صحيح ابن حبان عن ابى ذر قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا واردفني خلفه ثم قال يا ابا ذر ارأيت ان أصاب الناس جوع شديد حتى لاتستطيع ان تقوم من فراشك الى مسجدك كيف تصنع ؟ فقال الله ورسوله اعلم قال تعفف قال ياابا ذر ارأيت ان اصاب الناس موت شديد حتى يكون البيت بالعبد كيف تصنع ؟ قل الله ورسوله اعلم قال اصبر ياابا ذر ارأيت ان قتل الناس بعضهم بعضاً حتي تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع ؟ قال الله رسوله اعلم قال اقعد فى بيتك واغلق عليك بابك

. والزبير بن العوام والمقداد وكلنا فارس فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها امرأة من المسلمين معها كتاب من حاطب الى المشركين فادركناها تسير على بعير لها حيث فقلنا لها اين الكتاب ؟ فقالت ما معي كتاب قال فانخنا بها فالتمسنا الكتاب في رحلها فلم نر كتابا قال قلنا ما كذب رسول الله صلي الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنجردنك قال فلما رأت انى اهويت الى حجزتها وهى محتجزة بكساء اخرجت الكتاب من عقاصها فاخذنا الكتاب فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياحاطب ماهذا ؟ قال لاتعجل على انى كنت امرأ ملصقا في قريش ولم اكن من انفسها وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهلهم بمكة فاحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ان اتخذ يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاء بالكفر بعد الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم . فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق . فقال انه قد شهد بدرا ومايدريك لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فكان في هــذا الكتاب أخبار المشركين بان النبي صلي الله عليه وسلم يريد غزوهم فاعلمه الله بذلك . وفى الصحيحين عن ابى هريرة قال نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس النجاشى فى اليوم الذى مات فيه فخرج الى المصلي وكبر اربع تكبيرات وفي رواية عن جابر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على اصحمة النجاشى وفى لفظ

ايضاً عن على ابن ابي طالب قال قال لي عبد الله ابن سلام وقد وضعت رجلي في الغرز وانا أريد العراق لاتات العراق فانك ان تأتهم اصابك ذنب السيف. قال علي وايم الله لقد قالها رسول الله صلي الله عليه وسلم قال أبو الاسود فقلت في نفسي ما رأيت كاليوم رجلا محارباً يحدث الناس بمثل هذا . وهذا وأمثاله مما اخبر به صلي الله عليه وسلم من المستقبلات فوقع بعده كما اخبر ورأى الناس ذلك. وأما ما أخبر به مما لم يقع الى الآن فكثير وقد اخبر باشياء من المغيبات ووقعت فى زمانه ووجدت كما اخبر كما فى الصحيحين عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين هذه الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فكان كذلك • وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال شهدنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم حنينا فقال لرجل ممن يدعى الاسلام هذا من أهل النار فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراحة فقيل يارسول الله الرجل الذى قلت له آنفاً انه من اهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا فاصابته جراحة وقد مات فقال النبي صلي الله عليه وسلم الى النار فكاد بعض المسلمين ان يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل فانه لم يمت ولكن به جرحا شديدا فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبي صلي الله عليه وسلم بذلك فقال الله أكبر أشهد أنى عبد الله ورسوله ثم أمر بلالا فنادى فى الناس انه لايدخل الجنة الا نفس مسلمة وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر • ورواه سهل بن سعد وفى الصحيحين عن على رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلي الله عليه وسلم وأبا مرثد الغنوى

عقبة في تمام حديثه وكان ابو طالب اذا اخـذ الناس مضاجعهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من اراد مكرا به واغتياله فاذا نوم الناس امر احد بنيه او اخوته او بنى عمه فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتي بعض فرشهم فينام عليه فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن بني قصى ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء بنى هاشم وراوا انهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق واجتمع امرهم من ليلتهم على نقض ماتعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه وبعث الله عز وجل على صحيفتهم التي فيها المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم الارضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق ٠ ويقال كانت معلقة في سقف البيت فلم تترك اسما لله عز وجل فيها الا لحسته وبقى مافيها من شرك او ظلم او قطيعة رحم واطلع الله رسوله على الذى صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طالب فقال ابو طالب لا والثواقب ما كذبني فانطلق يمشى بعصابة من بني عبد المطلب حتى اتي المسجد وهو حافل من قريش فلما راوهم عامدين بجماعتهم انكروا ذلك وظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء فأتوهم ليعطوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم ابو طالب فقال قد حدثت امور بينكم ٠ لم نذكرها لكم فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فلعله ان يكون بينكم وبيننا صلح ٠ وانما قال ذلك خشية ان ينظروا فى الصحيفة قبل ان يأتوا بها فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لايشكون ان الرسول مدفوعا اليهم فوضعوها بينهم وقالوا قد آن لكم ان تقبلوا وترجعوا الى امر يجمع

من رواية ابي هريرة قال قد مات اليوم عبد الله الصالح اصحمة فامنا وصلى عليه وفي رواية عمران بن حصين قال ان اخالكم قد مات فصلوا عليه يعني النجاشي • وروى موسى بن عقبة عن ابن شهاب قصة الصحيفة ورواها عروة ابن الزبير ومحمد بن اسحاق بمعناه قال ثم ان المشركين اشتدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كاشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد واشتد عليهم البلاء واجتمعت قريش في مكرها ان يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية فلما رأى ابو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وامرهم ان يدخلوا رسول الله صلي الله عليه وسلم شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية • ومنهم من فعله ايمانا ويقينا . فلما عرفت قريش ان القوم قد منعوا الرسول صلى الله عليه وسلم واجتمعوا على ذلك واجتمع المشركون من قريش اجمعوا امرهم ان لايجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتي يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق لايقبلوا من بني هاشم ابداً صلحاً ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل فلبث بنوا هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الاسواق فلم يتركوا طعاما يقدم مكة ولابيعاً الا بادروهم اليه فاشتروه يريدون بذلك ان يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد ابن اسحاق في روايته قال حتي كان تسمع اصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع وغدوا على من اسلم فاوثقوهم وآذوهم واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديدا • قال قال موسى بن

قضى بايل وانشأ ابو طالب يقول فى ذلك الشعر في شأن صحيفتهم ويمتدح
النفر الذى تبرؤا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي قال
موسى ابن عقبة فلما افسد الله صحيفة مكرهم خرج النبي صلى الله عليه وسلم
فعاشوا وخالطوا الناس • وفى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود
قال انطلق سعد ابن معاذ معتمرا فنزل على أمية بن خلف ابي صفوان وكان
أمية بن خلف اذا انطلق الى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ
فقال سعد لامية انظر لى ساعة خلوة لعلي ان اطوف بالبيت قال انتظر
حتى اذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت • قال فخرج به قريباً
من نصف النهار فلقيهما ابو جهل فقال ياابا صفوان من هذا الذي معك
قال هذا سعد فقال له ابو جهل الا اراك تطوف بالبيت آمنا وقد آويتم
الصباه وزعمتم انكم تنصرونهم وتعينونهم اما والله لولا انك مع ابى
صفوان مارجعت الي اهلك سالما • فقال له سعد وقد رفع صوته عليه
لئن منعتنى من هذا لامنعنك ماهو اشد عليك منه طريقك على المدينة
قال فقال له امية لاترفع صوتك على ابى الحكم سيد اهل الوادى
فقال سعد دعنا منك يا امية فوالله لقد سمعت رسول الله صلي الله عليه
وسلم يقول انه قاتلك. قال بمكة؛ قال لا أدرى ففزع لذلك أمية. فزعا شديدا
وقال والله مايكذب محمد فلما رجع أمية الى اهله قال يا أم صفوان ألم
ترى الى ماقال لى سعد؟ قالت وما قال لك؟ قال زعم ان محمدا اخبرهم
انه قاتلي فقلت له بمكة؟ فقال لا أدري . فقالت والله مايكذب محمد فقال
أمية والله لا أخرج من مكة فلما كان يوم بدر استنفر ابو جهل الناس
فقال ادركوا عيركم قال فكره أمية ان يخرج فاتاه ابو جهل فقال ياابا

قومكم فانما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطر الهلكة قومكم وعشيرتكم وفساد دينكم . فقال ابو طالب انما آتيتكم لاعطيكم امرا فيه نصف فان ابن اخي اخبرني ولم يكذبني ان الله عز وجل برىء من هذه الصحيفة التي في ايديكم ومحى كل اسم هو له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم ايانا وتظاهركم علينا بالظلم فان كان الحديث الذي قال ابن اخي كما قال فأفيقوا فوالله لانسلمه ابدا حتي نموت من عند آخرنا وان كان الذي قال باطلا دفعناه اليكم فقلتموه او استحييتموه . قالوا قد رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قد اخبر خبرها فلما رآها قريش كالذي قال ابو طالب . قالوا والله ان كان هذا الا سحر من صاحبكم فارتكسوا وعادوا شر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وعلى رهطه والقيام بما تعاهدوا عليه فقال اولئك النفر من بني عبد المطلب ان اولى بالسحر والكذب غيرنا كيف ترون فانا نعلم ان الذي اجتمعتم علينا من قطيعتنا اقرب الى الخبث والسحر من امرنا ولولا انكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في ايديكم طمس الله ما كان فيها من اسم وما كان فيها من بغي تركه . افنحن السحرة ام انتم ؟ فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم . منهم ابو البحتري والمطعم بن عدي وزهير بن ابي امية ابن المغيرة وزمعة بن الاسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده وهو من بني عامر بن لؤى في رجال من اشرافهم ووجوههم نحن براء مما في هذه الصحيفة . فقال ابو جهل هذا امر قد

أمية في الحجر. فقال صفوان قبح الله العيش بعد قتلى بدر • قال اجل والله مافي العيش خير بعدهم ولولا دين عليّ لااجد له قضاء وعيال لاادع لهم شيئاً لرحلت الى محمد فقتلته ان ملأت عيني منه فان لى عنده علة اعتل بها اقول قدمت على اني أفدي هذا الاسير • ففرح صفوان بقوله وقال له على دينك وعيالك اسوة عيالى في النفقة فحمله صفوان وجهزه وامر بسيف عمير فصقل وسم فاقبل عمير حتي قدم المدينة فنزل بباب المسجد وعقل راحلته واخذ السيف فعمد لرسول الله صلي الله عليه وسلم فنظر اليه عمر ابن الخطاب وهو فى نفر من الانصار يتحدثون فقال عمر عندكم الكلب هذا عدو الله الذى حرش بيننا يوم بدر وحذرنا للقوم ثم قام عمر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث الى ان قال له رسول الله صلي الله عليه وسلم ما اقدمك ؟ قال اسيرى عندكم ففادنا فى اسرائنا فانكم العشيرة والاهل • قال فما بال السيف في عنقك ؟ قال عمير قبحها الله من سيوف فهل أغنت عنا شيئاً انما نسيته في عنقي حين نزلت • فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم اصدقني ما أقدمك ؟ قال ما قدمت الا فى اسيرى • قال فماذا شرطت لصفوان بن أمية في الحجر؟ ففزع عمير وقال ماذا شرطت؟ قال تحملت له بقتلي على ان يعول بيتك ويقضى دينك والله حائل بينك وبين ذلك • فقال عمير اشهد انك رسول الله وان لااله الا الله كنا نكذبك بالوحى وبما يأتيك من السماء وهذا الحديث كان بينى وبين صفوان في الحجر لم يطلع عليه احد غيرى وغيره فاخبرك الله به وذلك بقية الحديث • وفي صحيح البخارى عن انس قال بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم

صفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وانت سيد أهل الوادي تخلفوا معك فلم يزل ابو جهل حتى قال اذ غلبتني فوالله لاشترين اجود بعير بمكة . قال أمية يا أم صفوان جهزيني فقالت له يا أبا صفوان وقد نسيت ماقال لك أخوك اليثربي؟ قال لا وما اريد ان اجوز معهم الا قريباً . قال فلما خرج أمية جعل لا ينزل منزلا الا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر وعن كعب بن مالك قال كان أبي بن خلف اخو بني جمح قد حلف وهو بمكه ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انا اقتله ان شاء الله عز وجل فاقبل أبي مقنعاً في الحديد وهو يقول لانجوت ان نجى محمد فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير اخو بني عبدالدار يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فقتل مصعب بن عمير وابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة ابي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها بحربته فوقع أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم فاتاه اصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور . فقالوا له ما اجزعك انما هو خدش. فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اقتل ابيا ثم قال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي باهل ذي المجاز لماتوا اجمعون فمات الى النار ورواه موسي بن عقبة عن ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب وذكره الواقدي باسناده وهذا لفظه وهو مما ذكره عروة بن الزبير في مغازيه وابن اسحاق وغيرهما وذكر موسى بن عقبة في مغازيه ان عمير بن وهب الجمحي لما رجع فل المشركين الى مكة وقد قتل الله من قتل منهم . اقبل عمير حتي جلس الى صفوان بن

عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل هيئته كذا وكذا • فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم • وقال للعباس ياعباس افد نفسك وابنى أخيك عقيل ابن ابي طالب ونوفل بن الحارث بن فهر قال فانى قد كنت مسلماً قبل ذلك وانما استكرهوني . قال الله اعلم بشانك ان يك ما تدعى حقاً فالله يجزيك بذلك واما ظاهر امرك فقد كان علينا فافد نفسك . وقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين اوقية ذهباً . فقال يارسول الله احسبها لي من فداى . قال لا ذلك شيء اعطانا الله منك • قال فانه ليس لى مال . قال فاين المال الدى وضعته بمكة حين خرجت عند ام الفضل وليس معك احد غيركما فقلت ان أصبت فى سفري هذا فللفضل كذا ولقثم كذا ولعبد الله كذا قال فوالذي بعثك بالحق ما علم بهذا احد من الناس غيري وغيرها واني اعلم انك لرسول الله • وفي صحيح البخارى عن نافع عن ابن عمر قال امرّ رسول الله صلي الله عليه وسلم في غزوة موتة زيد بن حارثة فان قتل زيد فجعفر وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة • قال بن عمر كنت معهم ففتشته يعنى بن رواحة فوجدنا فيها اقبل من جسده بضعاً وسبعين مابين طعنة ورمية . وروى البخارى عن انس ابن مالك قال نعى رسول الله صلي الله عليه وسلم زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل ان ياتيهم خبرهم فقال اخذ الراية زيد فاصيب ثم أخذها جعفر فاصيب ثم اخذها عبد الله ابن رواحة فاصيب وان عينى رسول الله صلي الله عليه وسلم لتذرفان ثم أخذها خالد بن الوليد سيف من سيوف الله حتي فتح الله عليهم

(فصل) واياته صلي الله عليه وسلم المعلقة بالقدرة والفعل والتاثير

اقواماً من بنى سليم الى بنى عامر في سبعين • فلما قدموا قال لهم خالى اتقدمكم فان امنوني حتي ابلغهم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم والا كنتم منى قريباً • فتقدم فامنوه فبينما هو يحدثهم عن النبي صلي الله عليه وسلم إذ اومأوا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال فذت ورب الكعبة • ثم مالوا على بقية اصحابه فقتلوهم الا رجلا اعرج صعد الجبل وآخر معه فاخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد لقوا ربهم فرضى الله عنهم وارضاهم فكنا نقراء ان بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضى عنا وارضانا ثم نسخ بعد فدعى عليهم اربعين صباحا على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان الذين عصوا الله ورسوله وكان في هؤلآء عامر بن فهيرة قال عنه عامر بن الطفيل لقد رأيته بعد ما قتل رفع الى السماء حتي انى لانظر الى السماء بينه وبين الارض • وفي الصحيحين من حديث ابى حميد الساعدى قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فاتينا وادى القرى على حديقة لامرأة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرصوها نخرصناها وخرصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق • قال احصها حتى نرجع اليك ان شاء الله تعالى فانطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال النبى صلى الله عليه وسلم ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها احد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله . فهب ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى القته بجبل طي • وروي الامام احمد عن ابن عباس قال كان الذى أسر العباس بن عبد المطلب ابو اليسر بن عمرو وهو كعب بن عمرو احد بنى سلمة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اسرته ياابا اليسر؟ فقال لقد اعانني

القمر . ومعلوم بالضرورة في مطرد العادة انه لولم يكن انشق لاسرع المؤمنون به الى تكذيب ذلك فضلا عن اعدائه الكفار والمنافقين ومعلوم انه كان من احرص الناس على تصديق الخلق له واتباعهم اياه فلولم يكن انشق لما كان يخبر به ويقرأه على جميع الناس ويستدل به ويجعله آية له .وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال ان أهل مكة سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر فرقتين وعنه قال ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فانشق القمر فرقتين زاد الترمذى فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ذاهب . وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا .وعن ابن مسعود أيضاً قال رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل مخرج النبى صلى الله عليه وسلم شقة على جبل أبى قبيس وشقة على السويدا فقال كفار قريش أهل مكة هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انظروا السفار فان كانوا رأوا مثل مارأيتم فقد صدق وانّ لم يكونوا رأوا مثل مارأيتم فهو سحر .قال فسئل السفار وقدموا من كل وجه فقالوا رأينا رواه البخارى ومسلم .وروى البخارى عن ابن عباس انه قال انشق القمر على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم عن ابن عمر في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم انشق القمر فلقتين فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر

انواع • الاول منها ما هو في العالم العلوي كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة لما بعث وكمعراجه الى السماء فقد ذكر الله انشقاق القمر وبين ان الله فعله واخبر به لحكمتين عظيمتين احداهما كونه من ايات النبوة لما ساله المشركون آية فاراهم انشقاق القمر والثانية انه دلالة علي جواز انشقاق الفلك وان ذلك دليل على ما اخبرت به الانبياء من انشقاق السموات ولهذا قال تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر) فذكر اقتراب الساعة وانشقاق القمر وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لانه اقرب الى الارض من الشمس والنجوم وكان الانشقاق فيه دون سائر اجزاء الفلك اذ هو الجسم المستنير الذي يظهر الأنشقاق فيه لكل من يراه ظهوراً لايمارى فيه وانه نفسه اذا قبل الانشقاق فقبوله محله اولى بذلك وقد عاينه الناس وشاهدوه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بهذه السورة فى المجامع الكبار مثل صلاة الجمعة والعيدين ليسمع الناس مافيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار بما فيها وكل الناس يقر بذلك ولا ينكره فعلم ان انشقاق القمر كان معلوما عند الناس عامة . وفي صحيح مسلم ان عمر ابن الخطاب سال اباواقد الليثى ما كان يقرا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاضحى والفطر فقال كان يقراء فيها بقاف والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق

في الطريق فظهر لهم صدقه وكان صدقهم في هذا آية على صدقه فيما غاب عنهم وكان قطع المسافة البعيدة في الزمن اليسير لاجل ما رآه من الآيات التي تختص برؤيتها الانبياء وبهذا تميز عمن يقطع المسافة كرامة لولي أو تسخيرا الجن كما في قصة بلقيس حيث قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك)فان قطع الجسم الثقيل للمسافة البعيدة انما كان لما أوتيه سليمان من الملك كما كانت الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد وهذا تسخير ملكي وقطع محمد صلى الله عليه وسلم كان لما أراه الله من الآيات التي ميزه بها على سائر النبيين وكان ذلك فتنة أى محنة وابتلاء للناس ليتبين من يؤمن به ممن يكذبه وأحاديث المعراج وصعوده الى مافوق السموات وفرض الرب عليه الصلوات الخمس حينئذ ورؤيته لما راه من الآيات والجنة والنار والملائكة والانبياء فى السموات والبيت المعمور وسدرة المنتهى وغير ذلك معروف متواتر في الاحاديث وهذا النوع لم يكن لغيره من الانبياء مثله. يظهر به تحقيق قوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) فالدرجات التى رفعها محمد ليلة المعراج وسيرفعها فى الآخرة كالمقام المحمود الذى يغبطه به الاولون والآخرون الذي ليس لغيره مثلها ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن مالك ابن صعصعة وأبى ذر ومن رواية ابن عباس وأبي حبة الانصارى

ونحن بمكة حتى صار فرقتين على هذا الجبل فقال وعلى هذا الجبل فقال الناس سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال رجل ان كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم رواه الترمذى ٠ وكذلك صعوده ليلة المعراج الى مافوق السموات وهذا مما تواترت به الاحاديث وأخبر به القرآن أخبر بمسراه ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس وفي موضع أخر بصعوده الى السموات فقال تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) فاخبر هنا بمسراه ليلا بين المسجدين وأخبر انه فعل ذلك ليريه من آياته. ومعلوم ان الارض قد رأى الناس مافيها من الآيات فعلم ان ذلك ليريه آيات لم يرها عموم الناس كما قال فى السورة الاخرى (أفتمارونه على مايرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشي السدرة مايغشى مازاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وفى الصحيحين عن ابن عباس في قوله تعالى (وماجعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) قال هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان فى أخباره بالمسرى ليريه من آياته بيان انه رأى من آياته مالم يره الناس وقد بين ذلك في السورة الاخرى وانه رأي جبريل عند السدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة مايغشى وانه رأى بالبصر آيات ربه الكبرى وذكرى فى تلك السورة المسرى لانه أمكنه ان يقيم عليه برهانا فانه لما أخبرهم به فكذبه من كذبه وتعجبوا من ذلك سألوه عن نعته وصفاته فنعته لهم لم يخرم من النعت شيئاً وأخبر خبر عيرهم التي كانت

ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم فقيل أوقد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهارون عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أوقد بعث اليه ؟قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا ؟قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أوقد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسند ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فأوحى الله الي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى عليه السلام فقال مافرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة . قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم. قال فرجعت الى ربي فقلت رب خفف عن أمتي فحط عني خمساً فرجعت الى موسى عليه السلام فقلت حط عني خمسا. قال فان أمتك لايطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل ارجع بين يدي ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال لي يامحمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له

وغيرهم فروى أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى بصره قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أوقد بعث اليه؟ قال قد بعث اليه قال ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من أنت؟ قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أوقد بعث اليه؟ قال قد بعث اليه قال ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام فرحبا بي ودعوا لي بالخير ثم عرج بي الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أوقد بعث اليه؟ قال أقد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام واذا هو قد أعطي شطر الحسن قال فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا؟ قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أوقد بعث اليه؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعى لي بخير. قال الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا قال جبريل قيل

مسعود قال لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى في السماء السابعة اليها ينتهى مايعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي مايهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة مايغشى قال فراش من ذهب قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً. أعطى الصلوات الخمس واعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من امته المقحمات وعنه في قوله عز وجل فكان قاب قوسين أو ادنى ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته وله ستماية جناح • وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وانا انظر اليه • وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني فى الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله الى انظر اليه مايسألونى عن شيء الا انبأتهم به. قلت وصعود الآدمي ببدنه الى السماء قد ثبت في أمر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فانه صعد الى السماء وسوف ينزل الى الارض وهذا مما يوافق النصارى عليه المسلمين فانهم يقولون ان المسيح صعد الى السماء ببدنه وروحه كما يقوله المسلمون ويقولون انه سوف ينزل الى الارض ايضاً كما يقوله المسلمون وكما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة لكن كثيراً من النصارى يقولون انه صعد بعد ان صلب وانه قام من القبر • وكثير من اليهود يقولون انه

حسنة فان عملها كتبت له عشر ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فان عملها كتبت سيئة واحدة. قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى عليه السلام فاخبرته .قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه وفي رواية قال فأتيت فانطلق بي الى زمزم فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم انزلت طست من ذهب مملوءة حكمة وايمانا فحشى بها صدرى وفى رواية فشق من النحر الى مراق البطن وقال عن البيت المعمور • فقلت ماهذا؟ فقال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك يقدسون الله ويسبحونه لايعودون اليه • وفى حديث أبي ذر فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فافرغها فى صدري ثم اطبقه ثم أخذ بيدى فعرج بى الى السماء الدنيا فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن سماء الدنيا افتح قال من هذا ؟ قال هذا جبريل قال هل معك أحد قال نعم معى محمد صلى الله عليه وسلم فلما علونا السماء فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى • قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح قال قلت ياجبريل من هذا ؟ قال آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين أهل الجنة والاسودة التى عن شماله أهل النار قال الزهرى وأخبرني ابن حزم ان ابن عباس واباحبة الانصارى يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام.وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن

وايضاً فمعلوم ان النار والهوى الخفيف تحركه حركة قسرية فيهبط والتراب والماء الثقيلان يحركان حركة قسرية فيصعد وهذا مما جرت به العادة • والشبهة الثانية ظن بعض المتفلسفة كارسطو وشيعته ان الافلاك لاتقبل الانشقاق وحجتهم على ذلك في غاية الضعف فانهم قالوا لو كانت تقبل الانشقاق لكان المحدد للافلاك المحرك لهـا يتحرك حركة مستقيمة والحركة المستقيمة تحتاج الى خلاء خارج العالم ولا خلاء هناك وهذه الحجة فاسدة من وجوه • منها انها تدل على ذلك فى الفلك الاعلى لا فيا دونه كفلك القمر وغيره وهـذا مما اجابهم به الرازى وغيره • ومنها ان وجود الاجسام نخارج الفلك كوجود الفلك فى حيزه فقول القائل ان ذلك يحتاج الى خـلاء كقوله ان وجود الفلك فى حيزه يحتاج الى خلاء وقوله بنفى الخلاء عن حيزه فان كان الخلاء عدما محضا فهو منتف في الجانبين. وان قيل انه أمر وجودى لزم ان يحتاج اليه في الموضعين وحينئذ فيبطل القول بنفيه وبهذا يظهر جوابهم عن انكارهم انشقاق القمر فان عمدتهم فيه ان الفلك لايقبل الانشقاق وقد عرف فساد ذلك عقلا وسمعا وتواترت عن الانبياء انهم اخبروا بانشقاق السموات . وايضاح الرد على هؤلاء ان مايثبتونه من ان الحركة لابد لها من جهة ومحدد يحدد الجهات انما يدل على الافتقار الى جنس المحدد لايدل على الاحتياج الى محدد معين فاذا قدر انه خلق وراء المحدد محددا آخر وخرق الاول حصل به المقصود وهكذا عامة ادلتهم انمـا تدل على شيء مطلق لكن يعينونه بلا حجة فيغلطون في التعيين كدليلهم على دوام الفاعلية أو الحركة أو زمانها فان ذلك لا يدل

صلب ولم يقم من قبره • وأما المسلمون وكثـير من النصارى فيقولون انه لم يصلب ولـكن صعد الى السماء بلا صلب والمسلمون ومن وافقهم من النصارى يقولون انه ينزل الى الارض قبل القيامة وان نزوله من اشراط الساعة كما دل على ذلك الكتاب والسنة • وكثير من النصارى يقولون ان نزوله هو يوم القيامة وانه هو الله الذى يحاسب الخلق وكذلك ادريس صعد الى السماء ببدنه وكذلك عند اهل الكتاب ان الياس صعد الى السماء ببـدنه ومن انكر صعود بدن الى السماء من المتفلسفة فعمدته شيئان • أحدهما ان الجسم الثقيل لا يصعد وهذا فى غاية الضعف فان صعود الاجسام الثقيلة الى الهواء مما تواترت به الاخبار فى امور متعددة مثل عرش بلقيس الذى حمـل من اليمن الى الشام فى لحظة لما قال سليمان يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبـل ان يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك وانى عليه لقوي امين قال الذى عنده علم من الـكتاب انا آتيك به قبـل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضـل ربي ليبـلونى أاشكر ام اكفر ومن شكر فانمـا يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غنى كريم قال نكروا لهـا عرشها ننظر أتهتدي ام تكون من الذى لا يهتدون) ومثل حمل الريح لسليمان عليه السلام وعسكره لمـا كان يحمل البساط في الهواء وهو جالس عليه باصحابه • ومثل حمل قرى قوم لوط ثم القائها فى الهواء • ومثل المسري الى بيت المقدس الذى ظهر صدق الرسول بخبره • ورجال كثيرون فى زماننا وغير زماننا يحملون من مكان الى مكان في الهواء وهذا مما تواتر عندنا وعند من يعرف ذلك

أخرى فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال فلا والله مارأيت الشمس سبتاً قال ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يخطب فاستقبله قائماً فقال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكها عنا • قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الا كام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر • قال فما يشير بيده الى ناحية الا تفرجت حتى رأيت المدينة فى مثل الجوبة وسال الوادى قناة شهراً ولم يجيء احد من ناحية الا أخبر بجود • ومن هذا الباب نصر الله له بالريح التي قال الله فيها (ياأيها الدين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذا جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً) قال مجاهد يعني ريح الصبا أرسلت على الاحزاب يوم الخندق حتى كفأت قدورها على أفواهها ونزعت فساطيطهم حتي اطعنتهم • وجنوداً لم تروها يعنى الملائكة. وفى صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفي المغازي والسير والتفسير قصة الاحزاب وكيف أرسلت عليهم الريح الملائكة وانهزموا بغير قتال معروف • والنوع الثالث تصرفه في الحيوان الانس والجن والبهائم فروى عن عبد الله بن جعفر قال اردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاسر الى حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس • قال وكان أحب ما استتر به هدف أو حائش نخل فدخل حائط رجل من الانصار فاذا جمل فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فاتاه

على الحركة الفلكية وان الزمان هو مقدار الحركة بل اذا كان الله قد خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام كما اخبرت به الرسل لم تكن تلك الايام التي خلق الله فيها السموات والارض هي مقدار حركة الشمس التي هي مما خلق في تلك الايام بل قد أخبر الله تعالى انه كان عرشه على الماء قبل ان يخلق السموات والارض واخبر انه خلق السموات من دخان وهو بخار الماء فاذا كان قبل هذه الحركات المشهودة حركات اخر لاجسام غير هذه الاجسام المشهودة لم يكن هذا منا قضاً لما دل عليه العقل • وكذلك مايذكرونه في قدم العالم فليس مع القوم دليل واحد عقلي صحيح يناقض ما اخبرت به الرسل ولكن قد تناقض مايظنه بعض أهل الكلام من دين الرسل كما قد بسط في غير هذا الموضع • والنوع الثاني آيات الجو كاستسقائه صلى الله عليه وسلم واستصحائه وطاعة السحاب في حصوله وذهابه بدعائه صلى الله عليه وسلم ونزول المطر بدعائه. ففي الصحيحين عن انس بن مالك ان رجلا دخل المسجد في يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ثم قال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا • قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا • قال انس ولا والله مانرى في السماء من سحاب ولا من قزعة وان السماء لمثل الزجاجة وما بيننا وبين سلع من دار فوالذى نفسي بيده ما وضع يديه حتي ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته • وفي رواية

النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله والله مارايت شيئاً يستر ك الا شجرتين مفرقتين ولو انهما اجتمعتا سترتاك • فقال النبي صلي الله عليه وسلم انطلق اليهما فقل لهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول اجتمعا . قال فخرجت فقلت لهما فاجتمعتا حتي كانهما في اصل واحد ثم رجعت فاخبرت النبي صلي الله عليه وسلم فخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي قضى حاجته ثم رجع فقال ائتهما فقل لهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لكما ارجعا كما كنتما كل واحدة الى مكانها فرجعت فقلت لهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكما ارجعا كما كنتما فرجعتا. ثم خرجنا فنزلنا في واد من اودية بنى محارب فعرض له رجل من بنى محارب يقال له غورث بن الحارث والنبي صلي الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يامحمد اعطني سيفك هذا فسله فناوله اياه ونظر اليه ساعة ثم اقبل على النبي صلي الله عليه وسلم فقال يامحمد من يمنعك مني؟ فارتعدت يده حتي سقط السيف من يده فناوله رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم قال ياغورث من يمنعك مني ؟ قال لااحد قال ثم اقبلنا راجعين فجاء رجل من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم بعش طير يحمله وفيه فراخ وابواه يتبعانه ويقعان على يد الرجل فاقبل النبي صلي الله عليه وسلم على من كان معه فقال اتعجبون بفعل هذين الطيرين بفراخهما؟ زاد في رواية فربكم ارحم بكم من هذا الطائر بفراخه ثم اقبلنا راجعين حتى اذا كنا بحرة واقم عرضت لنا المرأة التي جاءت بابنها برطب ولبن شاة فاهدته له فقال مافعل ابنك هل اصابه شيء مما كان يصيبه قالت لا والذي بعثك بالحق مااصابه شيء مما كان يصيبه

النبي صلى الله عليه وسلم فمسح رأسه وذفراه فسكن ثم قال لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الانصار فقال هو لي يارسول الله • فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكى الي انك تجيعه وتذيبه روا مسلم بعضه وبعضه على شرطه ورواه ابو داود وغيره وروى الامام احمد والدارمى وغيرهما عن جابر قال أقبلنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم من سفر حتي اذا دفعنا الى حائط من حيطان بنى النجار اذا فيه جمل لايدخل الحائط احد الاشد عليه فذكروا ذلك للنبي صلي الله عليه وسلم فجاء حتي اتى الحائط فدعى البعير فجاء واضعاً مشفره الى الارض حتي برك بين يديه • قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هاتوا خطامه فخطمه ودفعه الى صاحبه. قال ثم التفت الى الناس فقال انه ليس شيء بين السماء والارض الا يعلم أني رسول الله إلا عاصى الجن والانس . وروى الطبرانى عن جابر قال خرجنا فى غزوة ذات الرقاع حتي اذا كنا بحرة واقم عرضت إمرأة بدوية بابن لها فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله هذا ابني قد غلبني عليه الشيطان. قال فادنيه مني فادنته منه. فقال افتحي فمه ففتحته فبصق فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اخسء عدو الله وانا رسول الله قالها ثلاث مرات ثم قال شأنك بابنك ليس عليه بأس فان يعود اليه شيء مما كان يصيبه . وذكر قصة الشجرتين الى ان قال ثم خرجنا فنزلنا منزلا صحراء ديمومة ليس فيها شجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر ياجابر انطلق فانظر لى مكانا . يعني للوضوء فخرجت انطلق فلم اجد الا شجرتين مفرقتين لو انهما اجتمعتا سترتاه فرجعت الى

بعنيه فقال بل نهبه لك وهو لأهل بيت مالهم معيشة غيره . فقال أما اذ ذكرت هذا من امره فانه يشتكي الى كثرة العمل وقلة العلف فاحسنوا اليه . وفي رواية أنهم ارادوا نحره ثم سرنا من منزلنا فقال النبي صلي الله عليه وسلم انطلق الى هاتين الشجرتين فقل لهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لكما ان تجتمعا فانطلقت فقلت لهما ذلك فانتزعت كل واحدة منهما من اصلها فنزلت كل واحدة الى صاحبتها فالتقتا جميعاً فقضى رسول الله صلي الله عليه وسلم حاجته من ورائهما ثم لما فرغ عادت كل واحدة منهما مكانها بامره وأتته امرأة بصبي لها به لمم فقالت يارسول الله ان ابني هذا به لمم منذ سبع سنين يأخذه في كل يوم مرتين . فتفل النبي صلي الله عليه وسلم في فيه وقال اخرج عدو الله انا رسول الله فبرئ فلما رجعنا جاءت ام الغلام بكبشين وشيء من اقط قالت والذي بعثك بالحق مارأينا منه ريباً بعدك . فاخذ احد الكبشين والاقط ورد الكبش الآخر . وروى هذه القصة أبو يعلي الموصلي عن اسامة بن زيد رضي الله عنه ورواه الحاكم في صحيحه قال فيه سافرت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فرأيت منه عجباً وذكر الحديث . وفيه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال للمرأة لما اخرج الشيطان من ابنها اذا رجعنا فاعلمينا ماصنع ورواه الدارمي أيضاً وروى الدارمي عن ابن عباس ان امرأة جاءت بابن لها الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابني به جنون وانه ياخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا . فمسح رسول الله صلي الله عليه وسلم صدره ودعا فثع ثعة خرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي . وروى أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود قال كنا مع النبي صلي الله

وقبل هديتها ثم اقبلنا حتي اذا كنا بمهبط من الحرة اقبل جمل يرقل فقال اتدرون ماقال هذا الجمل. قالوا الله ورسوله اعلم . قال هذا جمل جاءني يستعدي على سيده يزعم انه كان يحرث عليه منذ سنين حتي اذا اجربه واعجفه وكبر سنه اراد نحره اذهب معه ياجابر الى صاحبه فائت به . فقلت ما اعرف صاحبه يارسول الله . قال انه سيدلك عليه قال فخرج بين يدي معنقا حتي وقف بي في مجلس بني خطمة فقلت اين رب هذا الجمل . قالوا فلان فجئته فقلت اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معي حتي جاء الى النبي صلي الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان جملك هذا يستعدي عليك يزعم انك حرثت عليه زماناً حتي اجربته واعجفته وكبر سنه ثم اردت نحره . فقال والذي بعثك بالحق ان ذلك لكذلك . فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم تبيعنيه ؟ قال نعم يارسول الله . فابتاعه منه ثم سيبه في الشجر حتي نصب سناما فكان اذا اعتل على بعض المهاجرين والانصار من نواضحهم شيء اعطاه اياه فمكث بذلك زماناً وهذا الحديث له شواهد اخرج اهل الصحيح منه قصة الشجرتين وقصة الذي شهر السيف على رسول الله عليه وسلم وقصة الطير رواه ابو داود الطيالسي وقصة الصبي ذكرها غير واحد وروى الامام احمد في مسنده عن يعلي ابن مرة الثقفي قال ثلاثة اشياء رأيتهن من رسول الله صلي الله عليه وسلم بينما نحن نسير معه اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه بالارض فوقف عليه النبي صلي الله عليه وسلم فقال اين صاحب هذا البعير ؟ فجاء فقال بعنيه . فقال بل اهبه لك يارسول الله . فقال لا بل

عدا الذئب على شاة فاخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فاقعى الذئب على ذنبه فقال الا تتقى الله تنزع مني رزقا ساقه الله الي؟ فقال ياعجباً ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الانس • فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بانباء ماقد سبق • قال فاقبل الراعي يسوق غنمه حتي دخل المدينة فزواها الى زاوية من زواياها ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي الصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق والذى نفس محمد بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه ما احدث اهله بعده • وروى الترمذى آخره وصححه قال البيهقى اسناده صحيح وله شاهد من وجه آخر ورواه احمد عن أبى هريرة قال وكان الراعى يهودياً فاسلم وقال فيه اعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم وفي الصحيحين عن أنس قال كان بالمدينة فزع فاستعار النبي صلي الله عليه وسلم فرساً لابي طلحة وكان يقطف فلما رجع قال ان وجدنا فرسكم هذا بحرا وكان بعد ذلك لايجارا • وفي الصحيحين عن سلمة بن الاكوع وسهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر انه ارسل الى على وهو ارمد العين فقال لاعطين الراية رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فبصق فى عينيه فبرىء كأن لم يكن به وجع قط واعطاه الراية فقال على يارسول لله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؛ قال انفذ على رسلك حتي تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى

عليه وسلم في سفر فدخل رجل غيطة فاخرج منها بيض حمرة فجاءت الحمرة ترف على رأس رسول صلى الله عليه سلم واصحابه • فقال ايكم فجع هذه؟ فقال رجل من القوم انا اخذت بيضها • فقال رده رحمة لها • وروى الحاكم في صحيحه عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ركبنا البحر في سفينة فانكسرت السفينة فركبت لوحا من ألواحها فطرحني في اجمة فيها اسد فلم يرعني الا به. فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطأطأ رأسه وغمز بمنكبه شقي فما زال يغمزني ويهديني الطريق حتى وضعني على الطريق فلما وضعني على الطريق همهم فظننت انه يودعني • وروى الامام احمد في مسنده وأبو يعلى الموصلي عن عائشة قالت كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد ولعب واقبل وادبر فاذا احس برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل ربض فلم يترمرم كراهية ان يؤذيه • ولفظه للامام احمد ورواه أبو نعيم وروى عنها احمد ايضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في نفر من المهاجرين والانصار فجاء بعير فسجد له فقال اعبدوا الله ربكم واكرموا اخاكم ولو كنت آمرا احداً ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها ولو امرها ان تنقل من جبل اصفر الى جبل اسود ومن جبل اسود الى جبل أبيض كان ينبغي لها ان تفعله رواه الامام احمد عن عفان وابن ماجه بعضه عن ابي بكر بن أبي شيبة عن عفان قال ثنا حماد بن سلمة ثنا ابي ثنا على بن يزيد ثنا سعيد عن عائشة وقصة هذا الجمل رواها جماعة من الصحابة وروي الامام احمد في مسنده عن ابى سعيد الخدري قال

الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس اغلق الباب ثم اغلق الاغاليق على ودخل قال فقمت الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده وكان في علالي له فلما ذهبت عنه اهل السمرة صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا اغلقت علي من داخل قلت ان القوم لو نذروا بي لم يخلصوا الي حتي اقتله فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا ادرى اين هو من البيت قلت ابا رافع. قال من هذا؟ فاهويت نحو الصوت فضربته ضربة بالسيف وانا دهش فما اغنت شيئاً وصاح فخرجت من البيت فمكثت غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف. قال فضربته ضربة أثخنته ولم اقتله ثم وضعت صبيب السيف في بطنه حتي أخذ في ظهره فعلمت انى قد قتلته فجعلت افتح الابواب باباً فبابا حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي وانا ارى انى قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامتى ثم انطلقت حتى جلست عند الباب فقلت لا ابرح حتى اعلم اقتلته املا فلما صاح الديك قام الناعي على السور ينعى ابا رافع فانطلقت الى اصحابى فقلت النجا النجا قتل الله ابا رافع. قال فانتهينا الى النبي صلى الله عليه وسلم وحدثناه فقال ابسط رجلك. فبسطها فمسحها فكأنما لم يشكها قط. وفي البخارى عن يزيد بن أبي عبيد قال رأيت في ساق سلمة بن الاكوع اثر ضربة فقلت يا أبا مسلم ماهذه الضربة؟ قال هذه ضربة اصابتنى يوم خيبر فقال الناس اصيب سلمة قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيت منها حتى الساعة. وفي الترمذى

الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم، وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه قتادة بن النعمان انه اصيبت عينه في الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فسالت على وجنته فارادوا ان يقطعوها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ودعاه وغمز حدقته براحته فكان لايدرى أى عينيه أصيبت فكانت احسن عينيه واحدهما وفي رواية فرفع حدقته حتى وضعها موضعها ثم غمزها براحته وقال اللهم اكسها جمالا فمات وما يدرى من لقيه اى عينيه اصيبت رواه عنه اهل المغازى وانشد ولده بحضرة عمر بن عبد العزيز وهو خليفة واقره من حضر ولم ينكروه

انا ابن الذي سالت على الخد عينه * وردت بكف المصطفى احسن الرد
فعادت كما كانت لاحسن حالها * فيا حسن ماعين ويا حسن مارد

فلولا انه كان معروفا عند التابعين لم يقروه وهم انما تلقوا هذا عن الصحابة • وفي صحيح البخارى عن البرآء ابن عازب قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي رافع اليهودى رجالا من الانصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكان فى حصن له بارض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس سرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي ادخل • قال فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كانه يقضى حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب ياعبد الله ان كنت تريد ان تدخل فادخل فانى اريد ان اغلق

به فاذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احدهما فاخذ بغصنين من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كذلك حتى اذا كان بالمنصف فيما بينهما فلأم بينهما حتى جمع بينهما فقال التئما علي باذن الله تعالى فالتأمتا عليه فخرجت احضر مخافة ان يحس رسول الله صلى الله عليه وسلم بقربي فتباعدت فجلست احدث نفسي فحانت مني لفتة فاذا انا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا واذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق وذكر الحديث • وعن ابن عباس قال جاء رجل من بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أرني الخاتم الذي بين كتفيك فاني من اطب الناس قال الا أريك آية؟ قال بلى • فنظر الى نخلة فقال ادع ذلك العذق فجاءه ينقر حتى قام بين يديه • فقال له ارجع فرجع • فقال العامري يا آل بني عامر ما رأيت اسحر منه • قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه الدارمي ايضاً قال فجاءت النخلة تنقر بين يديه ثم قال لها ارجعي فعادت الى مكانها • وفي رواية الترمذي جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بم اعرف انك نبي؟ قال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد اني رسول الله؟ قال نعم • فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابي وروى الدارمي عن عبد الله بن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاقبل اعرابي فلما

وغيره عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريراً اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله تعالى ان يعافيني • قال ان شئت صبرت فهو خير لك وان شئت دعوت الله • قال فادعه قال فامره ان يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء • اللهم انى اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه فتقضيها الى اللهم فشفعه فى • وفي رواية قال يارسول الله ليس لي قائد وقد شق على وذكر الحديث فقال عثمان والله ماتفرقنا ولا طال الحديث بنا حتي دخل الرجل وكانه لم يكن به ضر قط • قال الترمذى حديث صحيح • النوع الثالث اثاره في الاشجار والخشب وفى الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال كان المسجد مسقوفا على جزوع النخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع المنبر وكان عليه سمعنا لذلك الجزع صوتاً كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت • وفي رواية فصاحت النخلة صياح الصبي • وفى الصحيحين عن جابر ان امرأة من الانصار قالت يارسول الله الا اجعل لك شيئاً تقعد عليه فان لى غلاما نجارا؟ قال ان شئت. قال فعملت له المنبر فاما كان يوم الجمعة قعد النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر الذي صنع له فصاحت النخلة التى كان يخطب عليها حتى كادت ان تنشق فنزل النبى صلى الله عليه وسلم فضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبي الذى يسكت حتى استقرت • وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئاً يستتر

فوق المادة وهذا باب واسع لنذكر منه ماتيسر . أما الماء فى الصحيحين عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم دعي بماء فاتى بقدح رحراح فجعل القوم يتوضئون قال فحزرت مابين السبعين الي الثمانين وفي رواية عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في بعض مخارجه ومعه اناس من اصحابه فانطلقوا يسيرون فحضرت الصلاة فلم يجدوا مايتوضئون به فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح فيه ماء يسير فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم مد اصابعه الاربع على القدح ثم قال قوموا فتوضؤا وكانوا سبعين أو نحوه . وفيهما عن أنس ايضاً ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بالزوراء والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد ثمة دعا بقدح فيه ماء فوضع فيه كفه فجعل ينبع بين اصابعه فتوضأ جميع اصحابه قال قلت كم كانوا يا ابا حمزة؟ قال كانوا زهاء الثلاثمائة وفي رواية بماء لا يغمر اصابعه • وفى الصحيحين عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع فى ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من تحت اصابعه فتوضأ الناس حتي توضؤا من عند آخرهم • وفي الصحيحين عن جابر قال قد رأيتنى مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد حضرت صلاة العصر وليس معنا ماء غير فضلة فجعل في اناء فاتي النبي صلي الله عليه وسلم فادخل يده فيه وفرج اصابعه ثم قال حي على الوضوء والبركة من الله. فلقد رأيت الماء يتفجر من بين اصابعه فتوضأ الناس وشربوا فجعلت لا الو ماجعلت فى بطنى منه فعلمت انه بركة • قلت لجابر كم كنتم يومئذ؟ قال الفا واربعمائة

دنا منه قال له النبي صلى الله عليه وسلم أين تريد؟ قال الى اهلي . قال هل لك في خير؟ قال وما هو؟ قال تشهد ان لااله الا الله وان محمدا عبده ورسوله . قال ومن يشهد على ماتقول؟ قال هذه السلمة فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطيء الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثلاثا انه كما قال ثم رجعت الى منبتها ورجع الاعرابي الى قومه فقال ان اتبعوني اتيتك بهم والا رجعت فكنت معك . وفي الصحيحين عن معن بن عبد الرحمن قال سمعت ابي يقول سألت مسروقاً من آذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال حدثني ابوك يعني عبد الله ابن مسعود انه قال آذنته بهم شجرة . وفي الترمذي عن علي قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله رواه الحاكم في صحيحه . وروى الامام احمد عن أنس بن مالك قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض اهل مكة . فقال له ما لك؟ قال فقال فعل هؤلاء وفعلوا . قال فقال له جبريل أتحب اني اريك آية؟ قال نعم . فنظر الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها . فقال لها ارجعي فرجعت حتى عادت الى مكانها فقال النبي صلى الله عليه وسلم حسبي ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده

(فصل) والنوع الرابع الماء والطعام والثمار الذى كان يكثر ببركته

القوم من طهور؟ فجاء رجل يسعى باداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قدح ثم توضأ فاحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح فركب الناس ذلك القدح وقالوا تمسحوا تمسحوا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلكم حين سمعهم يقولون ذلك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه فى الماء والقدح وقال بسم الله ثم قال اسبغوا الطهور . فوالذى ابتلانى ببصرى لقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه فلم يرفعها حتى توضؤا أجمعون رواها الدارمي فى مسنده . وفى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فادخل يده في الاناء ثم قال حى على الطهر المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وروى مسلم في صحيحه عن معاذ بن جبل قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك فكان يجمع الصلاة فصلى الظهر والعصر جميعا والمغرب والعشاء جميعاً حتى اذا كان يوم اخر الصلاة ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ثم دخل ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعاً ثم قال انكم ستأتون غداً ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى اتى . فجئناها وقد سبقنا اليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من

وفي صحيح البخاري عن جابر ايضاً قال عطش النــاس يوم الحديبية والنبى صلي الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه قال مالـكم ؟قالوا ليس عندنا ماتتوضأ ولا نشرب الا مابين يديك. فوضع يده في الركوة فجعل المــاء يثور بين اصابعه كامثال العيون فشربنــا وتوضأنا • قلت كم كنتم ؟ قال لو كنا ماية الف لكفانا كنا خمس عشرة ماية • وفي البخاري عن البراء بن عازب قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلي الله عليه وسلم اربع عشرة ماية والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلي الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ماشئنا نحن وركابنا وكنا الفاً واربعماية أو اكثر من ذلك . وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع قال قدمنــا الحديبية مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن اربع عشرة ماية وعليها خمسون شاة لا ترويها فقعد رسول الله صلى الله عليــه وسلم على جبا الركية فاما دعا واما بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا وعن ابن عباس قال دعا النبي صــلى الله عليــه وسلم بلالا فطلب بلال الماء ثم جاء فقال لا والله ماوجدت الماء • فقال النبي صلي الله عليه وسلم فهل من شن ماء؟ فاتاه بشن فبسط كفيه فيه فانبعث بيده عين • قال فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ • وعن جابر بن عبد الله قال غزونا أو سافرنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن يومئذ بضع عشرة ومايتين فحضرت الصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل في

حتى امتلات • فقال ياجابر ناد من كانت له حاجة بماء. قال فاتى الناس فاستقوا حتى رووا قال فقلت هل بقي أحد له حاجة • فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى • وفي الصحيحين عن عمران بن حصين قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير له فادلجنا ليلتنا حتى اذا كان وجه الصبح عرسنا فغلبتنا أعيننا حتى بزغت الشمس فكان اول من استيقظ منا ابو بكر الصديق وكنا لانوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من منامه حتى يكون هو الذي يستيقظ لانا لاندري ما يحدث له في نومه ثم استيقظ عمر فجعل يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه ورأى الشمس قد بزغت قال ارتحلوا فسار بنا حتى ابيضت الشمس نزل فصلى بنا الغداة فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا فلما انصرف قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تصلي معنا ؟ قال أصابتني جنابة ولا ماء • قال له عليك بالصعيد فانه يكفيك فتيمم بالصعيد فصلى ثم عجلني في ركب بين يديه يطلب الماء وقد عطشنا عطشاً شديداً فبينما نحن نسير اذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فقلنا لها أين الماء؟ فقالت ايهاه أيهاه لا ماء لكم • فقلت كم بين اهلك وبين الماء؟ قالت مسيرة يوم وليلة قلنا انطلقي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • قالت وما رسول الله فلم نملكها من أمرها شيئاً حتى انطلقنا بها فاستقبلنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها فاخبرته مثل الذي اخبرتنا وأخبرته انها موتمة لها صبيان ايتام فأمر براويتها فانيخت فمج في العزلاوين العلياوين ثم بعث براويتها فشربنا ونحن أربعون رجلاً عطاشا حتى روينا وملأنا كل راوية وملأ

ماثها شيئاً ؟ قالا نعم فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما ماشاء الله ان يقول قال ثم غرفوا بايديهم من العين قليلا قليلا حتى اجتمع شيء قال وغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر او قال غزير فاستقى الناس ثم قال يوشك يامعاذ ان طالت بك حياة أن ترى ماء هاهنا قد ملاء جنانا .وفي صحيح مسلم من حديث جابر الذى رواه عبادة بن الوليد وقد تقدم أوله فى قصة الشجرتين وانقيادها ثم افتراقهما ووضع الغصن على القبرين وقال في آخره فاتينا العسكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد بوضوء. فقال الا وضوء الا وضوء ٠ قال قلت يارسول الله ما وجدت فى الركب من قطرة وكان رجل من الانصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء في اشجاب له فقال لي انطلق الى فلان الانصارى فانظر هل في اشجابه من شيء ٠ قال فانطلقت اليه فنظرت فيها فلم أجد الا قطرة فى عز لاشجب لو انى افرغه لشربه يابسه فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لم أجد فيها الا قطرة فى عزلا شجب لو انى افرغه لشربه يابسه ٠ قال اذهب فائتني به فاتيته به فاخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدرى ماهو ويغمزه بيده ثم أعطانيه ثم قال ياجابر ناد لجفنة الركب . فقلت ياجفنة الركب فاتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه ٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فى الجفنة هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة فقال خذ ياجابر فصب علي وقل بسم الله فصببت عليه وقلت بسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت

اشرب حتي تشرب يارسول الله. قال ان ساقي القوم آخرهم شربا فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال فأتى الناس الماء جامين رواء قال عبد الله بن رباح اني لأحدث بهذا الحديث في مسجد الجامع اذ قال لى عمران بن حصين انظر كيف تحدث فانا أحد الركب تلك الليلة فقلت أنت أعلم. فقال ممن أنت ؟ قلت من الانصار قال انتم أعلم بحديثكم قال عمران لقد شهدت تلك الليلة وما شعرت أحداً حفظه كما حفظته وفي مسند الامام ورواه أبو يعلى الموصلى عن البرآء بن عازب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتينا على ركي زمه قال فنزل ستة انا سابعهم أو سبعة انا ثامنهم. قال فادليت الى دلو ورسول الله صلى الله عليه وسلم على شفتي الركى فجعلنا فيها ونصفها أو قريب ثلثيها فرفعت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال فكدت باناىء آخذ سقياً اجعله في حاقى فما وجدت قال فغمس رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فيها فقال ما شاء الله ان يقول فاعيدت الينا الدلو وما فيها قال فقد رأيت آخرنا أخرج مخافة الغرق قال وساخت وفي الحديث الذى رواه الامام أحمد والترمذي وابو داود وابن ماجة طرف منه عن زيادة بن الحارث الصدأيء قال في آخره ثم قلنا يانبى الله ان لنا بئرا اذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها واذا كان الصيف قل ماؤها فتفرقنا على مياه حولنا وقد اسلمنا وكل من حوالينا عدو فادع الله فى بئرنا ان يسعنا ماؤها فنجتمع عليها ولا نتفرق فدعا بسبع حصيات فعركهن فى يده ودعا فيهن ثم قال اذهبوا بهذه الحصيات فاذا اتيتم البئر فالقوا واحدة واحدة واذكروا اسم الله عز وجل قال الصداى ففعلنا ماقال لنا فما استطعنا

كل قربة معنا واداوة وغسلنا صاحبنا غير انا لم نسق بعيراً وهى تكاد تتضرج من الماء يعني المزادتين ثم قال هاتوا ماعندكم فجمعنا لها من كسر وتمر وصر لها صرة وقال لها اذهبي فاطعمي عيالك واعلمي انا لم نرزأ من مائك شيئاً ه فلما أتت أهلها قالت لقد رأيت أسحر البشر أوانه لنبي كما زعم كان من أمره زيت وزيت فهدى الله عز وجل ذلك الصرم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا ه وفي الصحيحين عن أبي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء غداً ان شاء الله فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد وذكر حديث النوم في الوادى فقال ثم دعا بميضاة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضأ منها وضوء دون وضوء وبقى فيها شيء من ماء ثم قال لابى قتادة احفظ علينا ميضاتك فسيكون لها نبأ ثم قال أصبح الناس فقدوا نبيهم فقال ابو بكر وعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم لم يكن ليخلفكم وقال الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم فان تطيعوا أبا بكر وعمر ترشدوا . قال فانتهينا الى الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء وهم يقولون يارسول الله هلكنا عطشاً فقال لاهلك عليكم ثم قال اطلقوا لى غمرى قال ودعا بالميضاة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأبو قتادة يسقيهم فلم يعد ان رأى الناس ما في الميضاة تكابوا عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنوا الملاء كلكم سيروى. قال ففعلوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب واسقهم حتى ما بقى غيرى وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى اشرب .فقلت لا

هي وان عجيننا ليخبز كما هو. وفي رواية قال جابر انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت فقال انا نازل فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثاً لايذوق ذواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل فقلت يارسول الله ائذن لي الى البيت فقلت لامرأتي اني رأيت من رسول الله صلي الله عليه وسلم شيئاً مافي ذلك صبر • قالت عندي شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الاثافي قد كادت ان تنضج فقلت طعيم لي فقم أنت يارسول الله ورجل ورجلان • قال كم هو ؟ فذكرت له. فقال كثير طيب • قال قل لها لاتنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتي آتى • قال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما دخل على امرأته قال ويحك جاء النبي صلي الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم • قالت هل سألك؟ قلت نعم فقال ادخلوا ولاتضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور اذا أخذ منه ويقرب الى أصحابه ثم ننزع فلم يزل يكسر ويغرف حتي شبعوا وبقي بقية • قال كل هذا واهد فان الناس اصابتهم مجاعة • وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال قال ابو طلحة لام سليم قد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً اعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء؟ فقالت نعم. فاخرجت اقراصاً من شعير ثم اخذت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت ثوبي وردتني ببعضه ثم ارسلني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال فذهبت به فوجدته

بعد ان ننظر الى قعرها، وروى الامام احمد عن ابن عباس قال اصبح رسول الله عليه وسلم ذات يوم وليس في العسكر ماء فاتاه رجل فقال يارسول الله ليس في العسكر ماء قال هل عندك شيء؟ قال نعم. قال فائتني به قال فاتاه باناء فيه شيء من ماء قليل قال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابعه على فم الأناء وفتح اصابعه، قال فانفجرت من بين اصابعه عيون وامر بلالا فقال ناد في الناس الوضوء المبارك

(فصل) وأما تكثير الطعام ففي الصحيحين عن جابر قال لما حفر الخندق رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا فانكفات الى امرأتي فقلت لها هل عندك شيء فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً فاخرجت لى جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن قال فذبحت وطحنت ففرغت الى فراغي فقطعتها في برمتها ثم وليت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لاتفضحني برسول الله صلي الله عليه وسلم ومن معه، قال فجئت فساررته فقلت يارسول الله انا ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير عندنا فتعال انت ونفر معك، فصاح رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال ياأهل الخندق ان جابراً قد صنع سوراً فحي هلا بكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجيء فجئت وجاء رسول الله صلي الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت بك وبك قال قد فعلت الذى قلت لى فاخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال ادعي لى خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم الف فأقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما

الأزواد القوم حتي هموا بنحر بعض حمائلهم قال فقال عمر يارسول الله لو جمعت مابقي من ازواد القوم فدعوت الله عليها. قال ففعل فجاء ذو البر ببره وذو التمر بتمره وذو النوى بنواه. قيل وما كانوا يصنعون بالنوى؟ قال يمصونه ويشربون عليه الماء قال فدعى عليها حتي ملأ القوم ازوادهم. قال فقال عند ذلك اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيها الا دخل الجنة. قال لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا يارسول الله لو اذنت لنا ننحر نواضحنا فاكلنا وادهنا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم افعلوا. قال فجاء عمر فقال يارسول الله ان فعلت قل الظهر وفى رواية ما بقاؤهم بعد ابلهم ولكن ادعهم بفضل ازوادهم ثم ادع لهم بالبركة لعل الله ان يجعل في ذلك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فدعى بنطع فبسطه ثم دعى بفضل ازوادهم. قال فجعل الرجل يجيء بكف ذرة وجعل الآخر يجيء بكف تمر وجعل الآخر يجيء بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير. قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم قال فاخذوا فى اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملوءه قال فاكلوا حتي شبعوا وفضلت فضلة (الحديث) وروى البخاري من حديث سلمة بن الاكوع بنحوه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فاصابنا جهد حتى هممنا ان نحر بعض ظهرنا فامرنا نبي الله صلى الله عليه وسلم فجمعنا مزاودنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع قال فتطاولت لاحزره كم هو فحزرته كربضة العنز ونحن اربع عشرة ماية. قال فاكلنا حتى

جالساً في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلك ابو طلحة؟ فقلت نعم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا. قال فانطلق وانطلقت معهم حتي جئت ابا طلحة فاخبرته فقال ابو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا مانطعمهم • فقالت الله ورسوله اعلم • قال فانطلق أبو طلحة حتي لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه حتى دخل رسول الله صلى لله عليه وسلم وقال هلمي يا أم سليم ما عندك • فأتت بذلك الخبز ففت وعصرت عليه ام سليم عكة لها فادمته ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فأكلوا حتي شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتي شبعوا ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فأكلوا حتي شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم حتي اكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلا أو ثمانون وفي طريق البخارى ثمانون وقال في رواية ثم اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو طلحة وام سليم وانس وفضل فضلة فاهديناها لجيراننا . وفى صحيح مسلم عن سلمة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر فامرنا ان نجمع مافى ازوادنا يعني من التمر فبسط نطعاً فنثرنا عليه ازوادنا . قال فطيت فتطاولت فنظرت فحزرته كربضة شاة ونحن اربع عشرة مائة قال فاكلنا ثم تطاولت فنظرته فحزرته كربضة شاة وفى الصحيحين عن ابى هريرة وابي سعيد وسلمة ابن الاكوع واللفظ لمسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فى مسير قال فنفدت

يا انس هات التور قال فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل انسان مما يليه • قال فاكلوا حتى شبعوا قال فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى اكلوا كلهم • فقال يا انس ارفع فرفعت فما ادرى حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت. قال وجلس طوائف منهم يتحدثون وذكروا نزول آية الحجاب • وروى البخارى عن أنس ايضاً ان ام سليم عمدت الى مد من شعير جشته وجعلت منه خطيفة وعصرت عكة عندها ثم بعثتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته وهو في اصحابه فدعوته قال ومن معي؟ فجئت فقلت انه يقول ومن معي؟ فخرج اليه ابو طلحة فقال يارسول الله انما هو شيء صنعته ام سليم فدخل فجيء به وقال ادخل عشرة حتي عد اربعين ثم اكل النبي صلي الله عليه وسلم ثم قام فجعلت انظر هل نقص منها شيء • وعن سمرة بن جندب قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نتداول قصعة من غدوة من الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة فقلنا ما كانت تمد؟ قال فمن اى شيء تعجب؟ ما كانت تمد الا من ههنا واشار بيده الى السماء رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح ورواه الدارمي والحاكم فى صحيحه. وفى البخارى عن أبى هريرة انه كان يقول والله الذى لا اله الا هو ان كنت لاعتمد على الارض من الجوع وان كنت لاشد الحجر على بطنى من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ماسألته الا ليستتبعني فمر ولم يفعل ثم مر بى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآنى وعرف مافى وجهى وما في نفسى

شبعنا جميعاً ثم حشينا جريتا فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم فهل من وضوء ؟ قال فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندعفقة دعفقة اربع عشرة مائة ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا هل من طهور ؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم فرغ الوضوء • وفي صحيح مسلم عن جابر ان ام مالك كانت تهدى للنبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمناً فيأتيها بنوها فيسألون الادم وليس عندهم شيء فتعمد الى الذى كانت تهدي فيه للنبي صلي الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا قال فما زال يقيم لها ادم بيتها حتى عصرته فاتت النبي صلي الله عليه وسلم. فقال عصرتيها . فقالت نعم • قال لو تركتيها مازال قائماً. وروى مسلم في صحيحه عن جابر ايضاً قال جاء رجل الي النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله فاتى النبي صلي الله عليه وسلم فقال لولم تكله لاكلتم منه ولقام لكم • وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب فدخل باهله قال فصنعت ام سليم حيسا فجعلته في تور من حجارة فقالت يا انس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا امي اليك وهي تقرئك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل يارسول الله • قال فذهبت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان امي تقرئك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل . فقال ضعه ثم قال اذهب فادع فلانا وفلانا وفلانا ومن لقيت وسمى رجالا قال فدعوت من سمى ومن لقيت قال الجعد وهو الراوى عن انس عددكم كانوا ؟ قال كانوا زهاء ثلاثمائة وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ايبعا ام عطية أو قال هبــة . قال بل بيع فاشترى منه شاة فصنعت وامر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يشوي وايم الله مافى الثلاثين ومائة الا من قد حزله النبي صلي الله عليه وسلم حزة من سواد بطنها ان كان شاهــدا اعطاه وان كان غائباً اخباءله فجعل منها قصعة فاكلوا اجمعون وشبعنا ففضلت القصعتان فحملناه على البعير أو كما قال

(فصل) واما تكثير الثمار ففي صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله ان اباه استشهد وترك ديناً وترك ست بنات فلما حضر جداد النخل قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد علمت ان والدى قــد استشهد يوم احد وترك ديـنـاً كثيراً واني احب ان يراك الغرماء . قال اذهب فبيدر كل تمر على ناحية ففعلت ثم دعوته فلما نظروا اليه كأنهم اغروا بي تلك الساعة فلما رأى مايصنعون اطاف حول اعظمها بيدرا ثلاث مرات ثم جلس عليه ثم قال ادع لي اصحابك فما زال يكيل لهم حتى أدى الله عن والدي امانته وانا ارضى ان يؤدي الله عن والدي امانته ولا ارجع الى اخواتي بتمرة فسلم الله البيادر كلها حتى اني لانظر الى البيدر الذى كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم كأنها لم تنقص تمرة واحدة وفى رواية ان اباه ترك عليه ثلاثين وسقا لرجل من اليهود فاستنظره جابر فابى ان ينظره فكلم جابر النبي صلي الله عليه وسلم ليشفع له اليه فجاءه وكلم اليهودى لياخذ تمر نخله بالذى له فابي فدخل رسول الله صلي الله عليه وسلم النخل فمشى فيها ثم قال لجابر جدله فاوف له فجدله بعد ماراح رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاثين وسقا وفضل له سبع

ثم قال يا ابا هر ٠ قلت لبيك يارسول الله ٠ قال الحق ومضى فاتبعته فدخل فاستأذن فاذن لي فدخلت فوجد لبنا في قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهداه لك فلان أو فلانة ٠ قال يا ابا هر قلت لبيك يارسول الله قال الحق الى اهل الصفة فادعهم لي ٠ قال واهل الصفة اضياف الاسلام لا يأون الى أهل ولا الى مال اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئاً واذا أتته هدية ارسل اليهم واصاب منها واشركهم فيها فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في اهل الصفة كنت احق ان اصيب من هذا اللبن شربة اتقوى بها فاذا جاؤا أمرني فكنت انا اعطيهم وما عسى ان يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فأتيتهم فدعوتهم فاقبلوا واستأذنوا فاذن لهم واخذوا مجالسهم من البيت فقال يا ابا هر ٠ قلت لبيك يارسول الله ٠ قال خذ فاعطهم فاخذت القدح فجعلت اعطيه الرجل فيشرب حتى يروي ثم يرد علي القدح حتى انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي القوم كلهم فاخذ القدح فوضعه على يده فنظر الي فتبسم فقال يا ابا هر قلت لبيك يارسول الله .قال بقيت انا وانت. قلت صدقت يارسول الله قال اقعد فاشرب فقعدت فشربت فما زال يقول اشرب حتي قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا . قال فارني فاعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة . وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل مع أحد منكم طعام فاذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن ثم جاء رجل منفش الراس ثائر الراس طويل بغنم يسوقها

تخذ ولا تكفأ فيكفأ عليك . قال فما كنت اريد تمرا الا ادخلت يدى فاخذت منه خمسين وسقا فى سبيل الله عز وجل وكان معلقاً خلف ظهرى فوقع زمان عثمان فذهب ورواه من طريق يزيد بن أبي منصور عن أبيه عن أبى هريرة قال اصبت بثلاث بموت النبى صلى الله عليه وسلم وكنت صويحبه وخويدمه وبقتل عثمان والمزود وما المزود كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم هل من شيء يا ابا هريرة ؟ فقلت نعم شيء من تمر في مزود • قال فائتني به فاتيته به فاخذ يده فاخرج قبضة فبسطها ثم قال ادع لي عشرة فاكلوا حتي شبعوا فما زال يصنع كذلك حتي اطعم الجيش كلهم وشبعوا ثم قال خذ ماجئت به وادخل يدك واقبض ولا تكفه • قال أبو هريرة قبضت على اكثر مما جئت به ثم قال أبو هريرة الا احدثكم عما اكلت منه إكلت حياة رسول الله صلي الله عليه وسلم واطعمت وحياة ابى بكر واطعمت وحياة عمر واطعمت وحياة عثمان واطعمت فلما قتل عثمان انتهب بيتى وذهب المزود وروى الامام احمد فى مسنده ثنا يعلي بن عبيد ثنا اسماعيل عن قيس عن دكين بن سعيد المدنى قال أتينا رسول الله صلي الله عليه وسلم أربعين واربعماية نساله الطعام فقال اعمر اذهب فاعطهم • فقال يارسول الله مابقى إلا آصع من تمر ما أرى تقيضنى • قال اذهب فاعطهم . قال سمع وطاعة قال فاخرج عمر المفتاح من حجرته ففتح الباب فاذا شبه الفصيل الرابض من تمر فقال لنا خذوا فاخذ كل منا ما احب ثم التفت وكنت من آخر القوم وكأنا لم نرزأ تمره ورواه أبو داود عن عبد الرحيم بن مطرق عن

عشرة وسقا فجاء جابر ليخبره بالذى كان فوجده يصلى العصر فلما انصرف اخبره بالفصل . فقال اخبر بذلك ابن الخطاب فذهب جابر الى عمر فاخبره فقال عمر لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليباركن فيها . وروى الامام احمد والترمذى وغيرهما حديث مزود ابي هريرة قال احمد ثنا يونس ثنا حماد بن زيد عن المهاجر عن أبي العالية عن أبي هريرة قال أتيت النبي صلي الله عليه وسلم بتمرات وقلت ادع الله لي فيهن بالبركة قال فصفهن بين يديه قال ثم دعا فقال لي اجعلهن في مزودك وادخل يدك ولا تنثره قال فحملت منه كذا وكذا وسقا في سبيل الله ونأكل ونطعم وكان لايفارق حقوي فلما قتل عثمان انقطع من حقوى فسقط رواه الترمذى عن عمران بن موسى القرار عن حماد بنحوه وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه ورواه الحافظ عبد الغنى وغيره من طريق أخرى عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فاصابهم عوز من الطعام فقال يا ابا هريرة عندك شيء ؟ قال قلت لا الا شيء من التمر فى مزودى قال جيء به . فجئت بالمزود وقال هات نطعا فجئت بالنطع فبسط فادخل يده فقبض على التمر فاذا هو احدى وعشرون تمرة قال ثم قال بسم الله فجعل يضع كل تمرة ويسمى حتى أتى على التمر فقال به هكذا فجمعه فقال ادع فلانا واصحابه فاكلوا وشبعوا وخرجوا ثم قال ادع فلانا واصحابه فاكلوا وشبعوا وخرجوا قال وفضل تمر فقال لي اقعد فقعدت فاكل واكلت قال وفضل تمر فاخذه فادخله فى المزود فقال يا ابا هريرة اذا اردت شيئا فادخل يدك

فولوا مدبرين فهزمهم الله • وفى صحيح مسلم عن العباس ابن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار وولى المسلمون مدبرين طفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة ان لا يسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى عباس نادى أصحاب السمرة فوالله لكان عطفهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها يالبيك يالبيك • قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في الانصار يقولون يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على بني الحارث ابن الخزرج فقالوا يابني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمي وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب الكعبة قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما أرى فوالله ماهو الا ان رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبراً حتى هزمهم الله وقد قال الله تعالى عن يوم بدر وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي) وروى ابن اسحاق عن جماعة منهم عروة والزهرى وعاصم بن عمرو وغيرهم قالوا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش هو وأبو بكر مامعهما غيرهما وقد تداني القوم

عيسى بن يونس عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن دكين قال أبو عبد الله المقدسي واسناده على شرط الصحيح

(فصل)وأما النوع الخامس تأثيره في الاحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له ففي صحيح البخاري عن أنس قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل فقال اسكن وضربه برجله فليس عليك الا نبي وصديق وشهيدان وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث اني لاعرفه الآن وفي الترمذي عن علي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله ورواه الحاكم في صحيحه وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع فقال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فلما واجهنا العدو تقدمته فاعلو ثنية فاستقبلني رجل من العدو فرميته بسهم فتوارى عني فما دريت ما صنع ونظرت الى القوم فاذاهم قد طلعوا من ثنية اخرى فالتقوا هم واصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فولي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرجعت منهزما وعلي بردتان متزراً باحدهما مرتدياً بالاخرى فاستطلق ازاري فجمعتهما جميعاً ومررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزماً وهو على بغلته الشهباء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأى ابن الاكوع فزعا فلما غشوا النبي صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من الارض واستقبل به وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انساناً الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة

تعالى في الخندق (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا) وقال تعالى في حنين (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) وقال تعالى (في الهجرة ثانى اثنين اذهما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الله هى العليا) وقال تعالى في بدر (اذ يوحي ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) وفى الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلي الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا فاستقبل رسول الله صلي الله عليه وسلم القبلة ثم مديديه وجعل يهتف بربه اللهم انجز لي ماوعدتني اللهم آتني ماوعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد فى الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداءه عن منكبيه فاتاه أبو بكر فاخذ رداءه فالقاه عن منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال يانبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك • فانزل الله عز وجل (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين) فأمده الله بالملائكة قال ابو زميل فحدثنى ابن عباس قال بينما رجل من من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة سوط فوقه وسوط الفارس يقول أقدم حيزوم فنظر الى المشركين

بعضهم من بعض فجعل رسول الله صلي الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من نصره ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد وابو بكر يقول بعض مناشدتك ربك يارسول الله فان الله سينجز لك ماوعدك من نصره وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة ثم هب فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ابشر يا أبا بكر اتاك نصر الله عز وجل هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع (يقول الغبار) ثم خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم فعبأ أصحابه وهيأهم وقال لا يعجلن رجل منكم بقتال حتي يؤذنه فاذا اكثبكم القوم يقول قربوا منكم فانضحوهم عنكم بالنبال • ثم تزاحم الناس فلما تدانى بعضهم من بعض خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم فأخذ حفنة من حصباء ثم استقبل بها قريشاً فنفح بها وجوههم وقال شاهت الوجوه ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم احملوا عليهم يامعشر المسلمين. فحمل المسلمون وهزم الله قريشاً وقتل من قتل من اشرافهم واسر من اسر منهم • وفي حديث ابن ابى طلحة الوالى عن ابن عباس قال له جبريل خذ قبضة من تراب فاخذ قبضة من تراب ورمى بها وجوههم فما من المشركين من احد الا واصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين

(فصل) النوع السادس من آياته تأييد الله له بملائكته قال الله تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) الآية وقال تعالى (اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال

عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم خيمة في المسجد يعوده من قريب. فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح فاغتسل فاتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض عن رأسه من الغبار فقال وضعت السلاح فوالله ما وضعناه اخرج اليهم • فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم فاين؟ فأشار الى بني قريظة فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على حكم رسول الله صلي الله عليه وسلم فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم فيهم الى سعدٌ قال فاني احكم فيهم ان يقتل المقاتلة وان تسبى الذرية والنساء وتقسم أموالهم وفي بعض طرق البخاري فاتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار • وروى البخاري عن انس قال كاني انظر الى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم موكب جبريل صلوات الله عليه حين سار رسول الله صلي الله عليه وسلم الى بني قريظة • وفى المغازى من طريق ان الصحابة راوا جبريل في صورة دحية الكلبى وانه معتم بعمامة ارخى طرفها بين كتفيه وقال النبي صلي الله عليه وسلم بعثه الله الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويلقى الرعب فى قلوبهم • وروى البخاري عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب • وفي الصحيحين عن عائشة انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل ابن عبد كلاب فلم يجبني الى ماأردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا انا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل

أمامه نخر مستلقياً فنظر اليه فاذا قد خطم انفه وشق وجهه كضربة بالسوط فأخضر ذلك أجمع فجاء الانصارى فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين واسروا سبعين وذكر الحديث وذكر البخاري فى هذا الحديث نخرج يعني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر • وقال ابن اسحاق حدثني عبد الله ابن ابي بكر بن حزم عن بعض بني ساعدة قال سمعت ابا اسد مالك بن ربيعة بعد ماأصيب بصره يقول لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصرى لاخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لاأشك ولا أتمارى فلما نزلت الملائكة ورآها ابليس وأوحى الله اليهم انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ان الملائكة تاتى الرجل فى صورة الرجل تعرفه وتقول له ابشروا فانهم ليسوا بشيء والله معكم كروا عليهم فلما رأى ابليس الملائكة نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون وهو في صورة سراقة واقبل أبو جهل يحضض اصحابه ويقول لايهولنكم خذلان سراقة أياكم فانه على موعد من محمد وأصحابه ثم قال واللات والعزي لانرجع حتي نقرن محمداً وأصحابه في الحبال فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً • وفى الصحيحين عن سعد بن ابي وقاص قال رأيت يوم أحد عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد القتال مارأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام • وفي الصحيحين عن عائشة قالت اصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش بن العرقة رماه في الاكحل فضرب

وغلبهم وانه كان وحده جاء هو بمعاداتهم وسب آبائهم وشتم آلهتهم وتسفيه احلامهم والطعن في دينهم وهذا من الامور الخارقة للعادة، والمستهزؤن. كانوا من أعظم سادات قريش وعظماء العرب وكان أهـل مكة أعز الناس وأشرفهم يعظمهم جميع الامم أما العرب فكانوا يدينون لهم وأما غيرهم من الامم فكانوا يعظمونهم به لاسيما من حين ماجرى لاهل الفيـل ماجرى كما كانت الامم تعظم بني اسرائيـل لما ظهر فيهم من الآيات ماظهر وهؤلآء بنواسماعيل بن خليل الله وهؤلآء بنواسحاق بن خليل الله وكلاهما ممن وعد الله ابراهيم في التوراة فيهم بما وعده من انعام الله عليه النعمة التي لم ينعم الله بها على غيرهم فكان أهل مكة معظمين لانهم جيران البيت ولانهم أشرف بني اسماعيل فان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفى محمدا من بني هاشم وكان قد عاداه أشراف هؤلآء كما عاد المسيح أشراف بنى اسرائيل وبدل هؤلاء وهؤلاء نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار وكفى الله رسوله المسيح من عاداه منهم ولم ينفعهم نسبهم ولا فضل مدينتهم وكذلك كفى الله محمدا من عاداه وانتقم منهم ولم ينفعهم انسابهم ولا فضل مدينتهم فان الله انما يثيب بالايمان والتقوى لا بالبلد والنسب فقال تعالي (وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون) وقال (وكاين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) وقال (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول

فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يامحمد ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وانا ملك الجبال وقد بعثني اليك ربك لتأمرني بامرك فيما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين . فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً *النوع السابع في كفاية الله له اعداءه وعصمته له من الناس وهذا فيه آية لنبوته من وجوه . منها ان ذلك تصديق لقوله تعالى (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الهاً آخر فسوف يعلمون) فهذا اخبار الله بانه يكفيه المشركين المستهزئين واخبر انه يكفيه أهل الكتاب بقوله (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فاخبره الله انه يكفيه هؤلاء المشاقين له من أهل الكتاب وأخبره انه يعصمه من جميع الناس بقوله (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فهذا خبر عام بان الله يعصمه من جميع الناس فكل من هذه الاخبار الثلاثة العامة قد وقع كما أخبر وفي هذا عدة آيات ، منها انه كفاه اعدائه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة ، ومنها انه نصره مع كثرة أعدائه وقوتهم

نفسه قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو اسره فبينما انا جالس
في مجالس قومي بني مدلج اذ اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس
فقال ياسراقة انى رأيت آنفا اسودة بالساحل اراها محمدا واصحابه • قال
سراقة فعرفت انهم هم فقلت ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا ثم
لبثت ساعة ثم قمت فدخلت بيتي فامرت جاريتي ان تخرج فرسي وهي
من وراء اكمة فتحبسها على واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت
فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها
تقرب بي حتى دنوت منهم وعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت عنها
فاهويت بيدى الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها
اضرهم أم لا فيخرج الذي اكره فركبت وعصيت الازلام فقربت بي
حتى اذا سمعت قرآءة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو
بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين
فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة
اذ لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج
الذي اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع
في نفسي حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم ان سيظهر أمر رسول
الله صلي الله عليه وسلم وذكر تمام الحديث • وفي الصحيحين عن جابر
قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة قبل نجد فادرك
رسول الله صلى الله عليه وسلم في القائلة في واد كثير العضاه فنزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من

منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) وقد سمى أهل العلم بعض من كفاه الله من المستهزئين وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة بالرياسة والعظمة في الدنيا فذكروهم ليعرف هذا الامر العظيم الذى أكرم الله نبيه به ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم؟ قيل نعم • قال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته فما فاجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه • فقيل له مالك؟ قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا • أجنحة • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنى مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وأنزل الله تعالى (ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى أرأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب) وفى الصحيحين من حديث البراء بن عازب حديث هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر من مكة الى المدينة قال فيه سراقة بن مالك بن جعشم ونحن في جدد من الارض فقلت يارسول الله اتينا • قال لا تحزن ان الله معنا فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه الى بطنها فقال اني قد علمت انكما دعوتما علي فأدعوا الى والله لكما ان ارد عنكما الطلب فدعا الله فنجا فرجع لا يلقى أحدا الا قال قد كفيتم ماههنا فلا يلقى احدا الا رده وفى لفظ فساخ فرسه فى الارض الى بطنه ووثب عنه وقال يامحمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله ان يخلصني مما انا فيه ولك على لاعمين على من ورائي • وفى الصحيحين عن ابن شهاب من رواية سراقة

سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعاتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم . أو كما قالوا فبينماهم في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتي استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما ان مر بهم غمزوه ببعض مايقول . قال فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى فلما مر الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك فى وجهه ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال تسمعون يامعشر قريش اما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح فاخذت القوم كلمته حتي مامنهم رجل الا كانما على راسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه باحسن مايجد من القول حتي انه ليقول انصرف انصرف يا ابا القاسم انصرف راشدا فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم مابلغ منكم وما بلغكم حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينماهم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون له انت الذي تقول كذا وكذا لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم . قال فيقول رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم انا الذى اقول ذلك. قال فلقد رأيت رجلا منهم اخذ بمجمع ردائه وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه. وذكر البخارى بعد حديث عروة عن عبد الله بن عمرو قال وقال عبدة عن هشام عن أبيه قيل لعمرو ابن العاص وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (انا كفيناك المستهزئين) قال المستهزؤن الوليد ابن المغيرة والاسود بن عبد

اغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا أتاني وانا نائم فاخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على راسي والسيف صلتا في يده. فقال من يمنعك مني؟ قلت الله فشام السيف فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك قومه فانصرف حين عفى عنه. فقال لا اكون في قوم هم حرب لك وفي صحيح الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال كان فلان يجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا تكلم النبي صلى الله عليه وسلم اختلج بوجهه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كن كذلك فلم يزل يختلج حتى مات. وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال كان رجل نصراني فاسلم وقراء البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد نصرانياً فكان يقول مايدري محمد الا ما كتبت له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله آية فاماته الله فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا هذا فعل محمد واصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فالقوه فحفروا له فاعمقوا ما استطاعوا فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا مثل الاول فحفروا له واعمقوا فلفظته الثالثة فعلموا انه ليس من فعل الناس فتركوه منبوذا. وروى الامام احمد من حديث محمد بن اسحاق قال حدثني يحيي بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قلت له ما اكثر مارأيت قريشاً اصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ؟ قال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مارأينا مثل ماصبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط قد

فأهلكهم الله كل منهم اصابه عذاب سوى عذاب صاحبه وذكر تفصيل عذابهم وروى مثله عن عكرمة • وقال محمد بن اسحاق ثنا يزيد بن رومان عن عكرمة وغيره من العلماء ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جانبه فمر به الاسود بن عبد المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى ومر به الاسود بن عبد يغوث فأشار الى بطنه فاستسقى فمات منها • ومر به الوليد بن المغيرة فأشار الى جرح باسفل كعبه كان اصابه لما مر برجل يرش نبله فخدش رجله وليس بشيء فانتقض فمات. ومر به العاص ابن وائل فأشار الى اخمص قدمه فذكر مثل ماتقدم من رواية ابن عباس ورواه ابو زرعة من طرق كثيرة عن جماعة من التابعين ومن المشهور عند اصحاب السير وغيرهم دعوته على عتيبة بن ابى لهب وكان ابو لهب لما عادى النبي صلى الله عليه وسلم أمر ابنيه ان يطلقا ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم رقية وام كلثوم قبل الدخول وقال عتيبة لرسول الله صلي الله عليه وسلم كفرت بدينك وفارقت ابنتك لاتحبيني ولا أحبيبك ثم تسلط عليه بالاذى وشق قميصه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فخرج في نفر من قريش حتي نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء ليلا فطاف بهم الاسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول ويل امى هو والله آكلى كما دعا محمد علىّ قتلنى وهو بمكة وانا بالشام فعدا عليه الاسد من بين القوم وأخذ برأسه فذبحه وفى رواية هشام بن عروة عن ابيه قال لما طاف الاسد بهم تلك الليلة انصرف عنهم قاموا وجعلوا عتيبة فى

يغوث الزهرى والاسود بن عبد المطلب ابو زمعة من بني اسد بن عبد العزى والحارث بن عيطل السهمي والعاص ابن وائل فاومي جبريل الى اكحل الوليد بن المغيرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ماصنعت ؟ قال كفيته واومى الى الاسود بن عبد المطلب الى عينيه فقال ما صنعت؟ فقال كفيته واومى الى راس الاسود ابن عبد يغوث فقال ماصنعت؟ قال كفيته وأومى الى الحارث السهمي الى بطنه فقال ما صنعت؟ قال كفيته وأومي الى أخمص العاص بن وائل فقال ماصنعت ؟ قال كفيته. فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يرش نبله فأصاب اكحله فقطعها. وأما الاسود بن عبد المطلب فعمى فمنهم من يقول عمى هكذا ومنهم من يقول نزل تحت سمرة فجعل يقول يابني الا تدفعون عني؟ ويقولون مانرى شيئاً فجعل يقول هلكت ها هو ذا اطعن في عيني بالشوك فجعلوا يقولون مانرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه. وأما الاسود فخرج في رأسه قروح فمات منها. وأما الحارث بن عيطل فاخذه الماء الاصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات. وأما العاص بن وائل فركب الى الطائف على حمار فربض به فى شبرقة يعنى شوكة فدخلت في أخمص قدمه فمات وقيل دخلت في رأسه شبرقة فمات ورواه ابن ابى حاتم فى تفسيره ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا أبو عوانة ثنا أبو بشر عن سعيد وروى باسناده عن الربيع بن انس قال أراد صاحب اليمن ان يأوى النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه الوليد فزعم ان محمدا ساحر واتاه العاص بن وائل فاخبره ان محمدا تعلم اساطير الاولين واتاه آخر فزعم انه كاهن وآخر انه شاعر وآخر زعم انه مجنون

وقد رأينا وسمعنا من ذلك مايطول وصفه من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة التي تبين كلاءة الله لعرضه وقيامه بنصره وتعظيمه لقدره ورفعه لذكره وما من طائفة من الناس الا وعندهم من هذا الباب مافيه عبرة لاولى الالباب ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام اذا حاصروا بعض حصون اهل الكتاب انه يتعسر عليهم فتح الحصن ويطول الحصار الي أن يسب العدو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ يستبشر المسلمون بفتح الحصن وانتقام الله من العدو فانه يكون ذلك قريباً كما قد جربه المسلمون غير مرة تحقيقا لقوله تعالى (ان شانئك هو الابتر) ولما مزق كسرى كتابه مزق الله ملك الاكاسرة كل ممزق ولما أكرم هرقل والمقوقس كتابه بقى لهم ملكهم *النوع الثامن في اجابة دعوته. واجابة الدعاء منه ماتكون اجابته معتادة لكثير من عباد الله كالاغناء والعافية ونحو ذلك ٠ ومنه ما يكون المدعو به من خوارق العادات كتكثير الطعام والشراب كثرة خارجة عن العادة واطعام النخل في العام مرتين مع ان العادة في مثله مرة ورد بصر الذى عمي ونحو ذلك مما يأتي وما تقدم من أدعيته ومعلوم ان من عوده الله اجابة دعائه لايكون الا مع صلاحه ودينه ومن ادعي النبوة لا يكون الا من أبر الناس ان كان صادقا أو من أفجرهم ان كان كاذباً واذا عوده الله اجابة دعائه لم يكن فاجرا بل برا واذا لم يكن مع دعوى النبوة الا برا تعين ان يكون نبياً صادقاً فان هذا يمتنع ان يتعمد الكذب ويمتنع ان يكون ضالا يظن انه نبي وان الذى يأتيه ملك ويكون ضالا في ذلك والذى يأتيه الشيطان فان هذا حال من هو

وسطهم فاقبل الاسد يتخطاهم حتي اخـذ برأس عتيبة ففدغه ٠وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال بينما رسول الله صلي الله عليه وسلم يصلي عند البيت وابو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال ابو جهل ايكم يقوم الى سلاجزور بني فلان فيأخذه فيضعه فى كتفى محمد اذا سجد .فانبعث اشقي القوم فاخـذه فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه ٠قال فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وانا قائم انظر لو كانت لى منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلي الله عليه وسلم والنبي صلي الله عليه وسلم ساجد لايرفع رأسه حتي انطلق انسان الى فاطمة فجاءت وهى جويرية فطرحته عنه ثم اقبلت عليهم تسبهم فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان اذا دعا دعا ثلاثاً واذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال اللهم عليك بابى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وذكر السابع لم احفظه فوالذى بعث محمدا بالحق لقد رأيت الذى سمى صرعي يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر .وعنه قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ودعى على ستة نفر فذكره وفى رواية غير ان امية بن خلف كان رجلا ضخماً فقطعت اوصاله فلم يلق فى البئر وقال غيرتهم الشمس وكان يوما حارا ويدخل فى هذا الباب مالم يزل الناس يرونه ويسمعونه من انتقام الله ممن يسبه ويذمه ويذم دينه بأنواع من العقوبات وفى ذلك من القصص الكثيرة مايضيق هذا الموضع عن بسطه

ببعض الوجوه مثل ان يخبره بكذب فان مثل هذا الشيطان الذى قال له انه نبي لابد ان يكذب فيما يخبره به ومثل اخبار الصادق له بأن هذا كاذب فاذا اتاه الشيطان بالكذب لابد ان يخبره الصادق الذى يأتيه بما يخالف ذلك بخلاف الاخبار بأمور جزئية اذ اخباره بانه نبي صادق مع انه ليس كذلك يهلكه هلاكا عظيما ويفسد على الصادق جميع ما يأتيه به لأن ذلك يستلزم ان يصدق ذلك الكاذب في كل مايخبره به اذ قد اعتقد انه نبي وحينئذ فلا يكون عنـده كاذبا ولا يعرف انه كاذب فلا يكون مثل ابن صياد ونحوه ممن يعرف انه يأتيه صادق وكاذب بل أضل من هؤلاء من يظن ان كل مايأتيه فهو صادق ولهذا كل من كان يأتيه أخبار ملكي صادق وأخبار شيطانى كاذب فلا بد ان يعرف انه يأتيه كاذب لانه تبين له الكذب فيما يخبره به الشيطان الكاذب كماهو الواقع ولهذا يوجد الكهان يعرفون كذب من يخبرهم كثيراً وكذلك العباد الذين لهم خطابات ومكاشفات بعضها شيطانى وبعضها ملكي يتبين له الكذب فيما يأتيهم به الشيطان كما هو الواقع فلا يوجد شيخ عابد له حال شيطاني الا ولا بد ان يخبره بكذب يظهر له انه كذب وحينئذ فاذا صدق هذا الكاذب فى اخباره النبوة كان مصدقا للكاذب ولان الصادق الذى يأتيه مخبراً له بالصدق ناصحاً له لابد ان يبين له ذلك فلا يصر على اعتقاده ان من يأتيه صادق وهو في نفس الامر كاذب ولا يصلم انه كاذب الا من هو افاك أثيم والله تعالى يقول (هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل آفاك اثيم) فينزلها على الآفاك الاثيم وأما نزول الشيطان مرة أو مرتين فقد يكون على من ليس بآفاك اثيم فان

جاهل بحال نفسه وحال من يأتيه ومثل هـذا لا يكون اضل منه ولا اجهل منه لان الله تعالى جعل بين الملائكة والشياطين وبين الانبياء الصادقين وبين المتشبهين بهم من الكذابين من الفرق ما لا يحصيه غيره بل جعل بين الابرار والفجار من الفروق اعظم مما بين الليل والنهار ولان ما يأتى به الانبياء من الاخبار والاوامر مضادة من كل وجه لما يأتى به الشيطان ومن استقراء احوال الرسل واتباعهم وحال الكهان والسحرة تبين له ما يحقق ذلك ٠ والشيطان الذى يقول لمن ليس بنبي انك نبي صادق والله أرسلني اليك يكون من اعظم الناس كذبا والكذب يستلزم الفجور فلا بد ان يأمره بما ليس براً بل اثماً ويخبره بما ليس صدقا بل كذبا كما هو الواقع ممن تضله الشياطين من جهلة العباد وممن يزين له انه نبي او انه المهدى او خاتم الاولياء فكل هؤلاء لا بد ان تأمره الشياطين باثم ولا بد ان يكذب في بعض ما تخبره به تحقيقاً لقوله تعالى (قل هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل آفاك أثيم) وحينئذ فمثل هذا لا يكون مع دعوى النبوة من الابرار الذى عودهم الله اجابة دعائهم اجابة خارجة عن العادات بل لا يكون مع دعوى النبوة الا من الافاكين الفجار وإذا كان صادقا في دعوى النبوة عالماً بانه صادق ثبت انه نبي ٠ والانبياء معصومون من الاقرار على الخطأ فيما يبلغونه عن الله باتفاق الناس وحينئذ فكل ما يبلغه عن الله فهو حق وهو المطلوب ومن كان يأتيه صادق وكاذب مثل ابن صياد ومثل كثير من العباد الذين لهم الهام من الملك ووسواس من الشيطان فمثل هذا اذا اخبره الشيطان بانه نبي ويقول انا أرسلني الله فلا بد ان تتبين له كذبة ولو

فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة . سألته ان لا يهلك أمتي بسنة عامة فاعطانيها وسألته ان لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فيجتاحهم فاعطانيها وسالته أن لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها فلن يزال الهرج الى يوم القيامة وفي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الاكوع قال جعل عمي يرجز ويقول

تا لله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن من فضلك ما استغنينا * فثبت الاقدام ان لاقينا
* وانزلن سكينة علينا *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ؟ قالوا عامر قال غفر لك ربك . قال وما استغفر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد . قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر . قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخط بسيفه وهو يقول

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
* اذا الحروب اقبلت تلهب *

قال وبرز له عمي عامر فقال

قد علمت خيبر انى عامر * شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر وذهب عامر يسفل سيفه فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله وكانت فيها نفسه . قال سلمة فخرجت في نفر من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه . قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت يارسول الله بطل عمل عامر . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه

من لم يكن مدعياً للنبوة فيمتنع أن يقره الصادق الذي يأتيه على ذلك بل لابد ان يبين له هـذا ان جوز ذلك فان الناس تنازعوا هل يجوز ان يلقي الشيطان على لسان النبي ماينسخه الله ويمحوه ام لا يجوز ذلك وعلى كل حال يمتنع ان يقر على خطأ . والمقصود هنا ذكر بعض ادعية النبي صلى الله عليه وسلم التي شوهد اجابتها وقد تقدم ذكر بعض ادعيته مثل دعائه على الملاء من قريش فقتلوا يوم بدر والقوا في القليب ومثل دعائه على عتيبة بن ابي لهب ومثل دعائه على الذي كذب عليه بأن يجعله آية ومثل دعائه لما قل الزاد وجمعوه على نطع فكثره الله ببركة دعوته حتى كفى الجيش العظيم في غزوة تبوك ومثل دعائه في غزوة الخندق فكفى الطعام وهو صاع من شعير لالف نفر وكذلك دعاءه لما نزحت بئر الحديبية فكثر ماؤها حتي كفى الركب وهم الف وخمسماية وركابهم . وقد تقدم دعاؤه للذي ذهب بصره فابصر ودعاؤه في الاستسقاء فما رد يديه الا والسماء قد أمطرت ودعاؤه في الاستصحا واشارته الى السحاب فقطع من ساعته ودعوته على سراقة بن جعشم لما تبعهم في الهجرة فغاصت فرسه في الارض ودعاؤه يوم بدر ويوم حنين وقال الله له يوم بدر (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين) وامثال ذلك • وفي الصحيحين عن جابر قال لما نزل (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك او من تحت أرجلكم قال اعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم باس بعض . قال هاتان اهون او ايسر • وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي ثلاثاً

رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرت الى الباب فاذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت مكانك ياابا هريرة وسمعت خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب فقالت يا ابا هريرة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاتيته وانا ابكي من الفرح فقلت يارسول الله ابشر فقد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وقال خيرا فقلت يارسول الله ادع الله ان يحببني وامي الي عباده المؤمنين ويحببهم الينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب عبدك هذا يعني ابا هريرة وامه الى عبادك المؤمنين وحبب اليهما المؤمنين فما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يراني الا أحبني . وفي الصحيحين عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة فقال ماهذا ؟ قال يارسول الله اني تزوجت امرأة . قال كم سقت اليها قال وزن نواة من ذهب . قال فبارك الله لك أولم ولو بشاة . وفي الصحيحين انه لما قدم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الانصارى فعرض عليه سعد بن الربيع ان يناصفه اهله وماله فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك دلني على السوق فما انقلب الا بسمن واقط ثم تابع الغد وذكر الحديث فظهرت بركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ من مال عبد الرحمن ماقاله الزهري انه تصدق بار بعماية الف دينار وحمل على خمسماية فرس في سبيل الله وخمسماية بعير في سبيل الله . قال وكان عامة ماله التجارة وقال محمد بن سيرين اقتسم نساء عبد الرحمن ابن عوف ثمنهن فكان ثلاثماية وعشرين الفا . وقال الزهري اوصى عبد

وسلم من قال ذلك ؟قلت ناس من اصحابك • قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين • وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال قالت ام سليم يارسول الله خادمك أنس ادع الله له • فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما اعطيته • وروي البخاري قال دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على أمسليم فاتته بتمر وسمن • فقال اعيدوا سمنكم فى سقائه وتمركم في وعائه ثم قام الى ناحية البيت فصلي غير مكتوبة فدعى لام سليم واهل بيتها. فقالت ام سليم يارسول الله ان لي خويصة فقال ماهي؟قالت خادمك أنس قال فما ترك آخرة ولا دنيا الا دعى به اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له فيه فاني لمن اكثر الانصار مالا وحدثتني ابنتي امينة انه دفن لصلبي الى مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة وفي رواية لمسلم دعا لي بثلاث دعوات قد رأيت منها اثنتين وانا ارجو الثالثة في الآخرة وفي الترمذي وحسنه عن أبي خلدة قال قلت لابى العالية سمع أنس من رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال خدمه عشر سنين ودعي له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان له بستان يحمل فى السنة الفاكهة مرتين وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك.وفى صحيح مسلم عن أبيهريرة قال كنت ادعو امي الى الاسلام وهى مشركة فدعوتها يوما فاسمعتنى في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكره فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا أبكي فقلت يارسول الله انى كنت ادعو امي الى الاسلام وتابي على فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما اكره فادع الله ان يهدي ام أبي هريرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد ام أبي هريرة . فخرجت مستبشرا بدعوة

لم يسر مثله وفي رواية فقال لي مالبعيرك؟ فقلت عليل • قال فتخلف رسول الله صلي الله عليه وسلم في حيزه فدعى له فما زال يسير بين يدى الابل قدامها فقال بريء بعيرك قلت بخير قد اصابتــه بركتك • قال فبعنيه وذكر الحديث • وفي الترمذي وغيره وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم استجب لسعد اذا دعاك وفي لفظ اللهم اجب دعوته وسدد رميته فكان سعد لا يرمي الا يصيب ولا يدعو الا اجيب . وروي الحاكم في صحيحه عن علي رضى الله عنه قال مرضت فعادني رسول الله صلي الله عليه وسلم وانا اقول اللهم ان كان اجلي قد حضر فارحني وان كان متأخرا فارفعني وان كان بلاء فصبرني • فقال اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال قم • فقمت فما عاد الى ذلك الوجع بعد . وفي الصحيحين عن أم خالد قالت اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال من ترون نكسوه هذه الخميصة ؟ فسكت القوم فقال ائتوني بام خالد فاتى بي رسول الله صلي الله عليه وسلم فالبسنيها فقال ابلي واخلقي مرتين فجعل ينظر الى علم الخميصة ويشير بيده الى ويقول يا ام خالد هذا سناه • والسنا بلسان الحبشة الحسن فبقيت حتى دكت وعن ابي يزيد عمرو بن اخطب الانصارى قال قال لي رسول الله صلى الله عليــه وسلم ادن مني فمسح بيده على راسي ولحيتي ثم قال اللهم جمله وادم جماله • قال الراوى عنه فبلغ بضعاً وثمانين سنة وما في لحيته بياض الا نزر يسير ولقد كان منبسط الوجه ولم يتقبض وجهه حتي مات رواه الامام احمد وقال البيهقي اسناده صحيح ورواه الترمذي وقال مسح رسول الله صلي الله عليه وسلم يده على وجهي ودعي لي قال عروة انه عاش ماية وعشرين سنة وليس في راسه الا شعرات بيض وقال

الرحمن لمن شهد بدرا فوجدوا مائة لكل رجل منهم اربعماية دينار وقال عبد الله ابن جعفر حدثتني ام بكر بنت المسور ان عبد الرحمن باع ارضاً باربعين الف دينار فقسمها في فقراء بني زهرة وفي المهاجرين وامهات المؤمنين .وقال محمد بن عمرو ابن أبي سلمة ان عبد الرحمن أوصى لامهات المؤمنين بحديقة قومت باربعماية الف وفي الترمذي وصححه ورواه ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اللهم اعز الاسلام باحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بابى جهل بن هشام وكان عمر بن الخطاب احبهما الى الله فاسلم عمر وروي ان الدعوة كانت فى يوم الاربعاء فاسلم يوم الخميس واعز الله به الاسلام قال عبد الله بن مسعود مازلنا اعزة منذ اسلم عمر رواه البخارى وظهر من عز الاسلام فى امارته شرقا وغربا وفتح الشام والعراق ومصر وكسر عساكر كسرى وقيصر ماتحقق به اجابة الدعوة. وفى الصحيحين ان ابن عباس وضع للنبي صلى الله عليه وسلم لما أتي الخلاء وضوء فقال لما خرج من وضع هذا؟ فقيل ابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وفي رواية قال ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صدره وقال اللهم علمه الكتاب وفى رواية الحكمة وظهرت اجابة دعوته حتى كان يسمى البحر. وقال فيه ابن مسعود لو ادرك ابن عباس اسناننا لما عشره منا احد وكان عمر يقدمه ويدخله مع اكابر الصحابة وعلم ابن عباس مشهور في الامة. وفى الصحيحين عن جابر قال كنت اسير على جمل قداعيا واردت ان اسيبه قال فلحقني رسول الله صلي الله عليه وسلم فضربه ودعا له فسار سيرا

الحديث فقال اللهم بارك له في صفقة يمينه • فلقد رأيتني أقف بكناسة الكوفة فاربح أربعين الفاً قبل ان اصل الى اهلي رواه الامام احمد وفى لفظ آخر • قال الراوي عنه فكان لو اشترى التراب لربح فيه رواه البخاري عن أهل الدار عنه • وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع ان رجلاً اكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال له كل بيمينك • قال لا استطيع قال لا استطعت مامنعه الا الكبر • قال فما رفعها الى فيه • وروى مالك في موطائه عن زيد بن أسلم عن جابر عن عبد الله السلمي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بني انمار قال جابر فبينما انا نازل تحت شجرة اذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هلم يارسول الله الى الظل • قال فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر فقمت الى غرارة لنا فالتمست فيها فوجدت فيها جرو قثا فكسرته ثم قربته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من اين لكم هذا؟ قلنا خرجنا به من المدينة قال وعندنا صاحب لنا نجهزه يذهب يرعي ظهرنا قال فجهزته ثم ادبر يذهب الى الظهر وعليه ثوبان له قد خلقا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما له ثوبان غير هذين؟ فقلت بلى يارسول الله ثوبان في العيبة كسوته اياهما. قال ادعه فليلبسهما ثم ولى يذهب فدعوته فلبسهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله ضرب الله عنقه اليس هذا خير له؟ فسمعه الرجل فقال يارسول الله فى سبيل الله . فقال في سبيل الله فقتل الرجل في سبيل الله • ورواه ابو زرعة عن سعيد بن سليمان عن الليث عن هشام بن سعيد عن زيد بن اسلم عن عطاء عن جابر

حديث حسن • وقال البخاري في تاريخه ثنا يعقوب بن اسحاق بن حنظلة ابن حنيفة بن حزيم قال قال حزيم يارسول الله اني رجل ذو سن وهذا أصغر بني فسمت عليه. قال تعال ياغلام فاخذ بيدي ومسح برأسي وقال بارك الله فيك أو بورك فيك فرأيت حنظلة يؤتي بالانسان الوارم فيمسح بيده ويقول بسم الله فيذهب الورم • وفي رواية والشاة والبعير. ويذكر عن أبي سفيان واسمه مدلوك انه ذهب به الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم ومسح رأسه بيده ودعا له بالبركة فكان مقدم رأسه موضع يد النبي صلى الله عليه وسلم اسود وسائره أبيض ذكره أيضاً البخاري في تاريخه • وروى احمد في مسنده باسناده عن أبي العلي قال كنت عند قتادة بن ملحان في مرضه الذي مات فيه فمر رجل في مؤخر الدار فرأيته في وجه قتادة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح وجهه قال وكنت قبل مارأيته الا ورأيته كان على وجهه الدهان • وفي صحيح البخاري ان عبد الله بن هشام كان يخرج الى السوق فيتلقاه ابن الزبير وابن عمر فيقولان له اشركنا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعى لك بالبركة فيشركهم فربما أصاب الراحلة كما هي فيبعث بها الى المنزل • وفي مسند الامام احمد عن عروة بن ابي قال عرض للنبي صلى الله عليه وسلم جاب فاعطاني ديناراً وقال اى عروة ائت الجلب فاشتر شاة فأتيت الجلب فساومت صاحبه فاشتريت منه شاتين بدينار فجئت بهما أسوقهما فلقيني رجل فساومني فابعته شاة بدينار فجئت بالدينار وجئت بالشاة فقلت يارسول الله هذا دينارکم وهذه شاتكم قال وصنعت كيف؟ فحدثته

كفاهم وشاهدوا الطعام الذى جمعوه على نطع فاخذوا منه حتى كفاهم وكما شاهد أهــل الخندق وهم اكثر من الف كثرة الطعام فى بيت جابر بعد ان كان صاعا من شعير وعناقا فاكلوا كلهم بعــد الجوع حتى شبعوا وفضلت فضلة ٠ وكما شاهد الثمانون نفساً كثرة الطعام كما اكلوا في بيت ابى طلحة ٠ وكما شاهد الثلاثمائة كثرة الماء لما توضؤا من قدح والماء ينبع من بين أصابعه حتى كفاهم الوضوء وكذلك وليمة زينب كانت ثلاثمائة فاكلوا من طعام في تور من حجارة وهو باق فظن انس انه ازيد مما كان وكانوا يتداولون قصعة من غدوة الى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة كما في حديث سمرة بن جندب واهل الصفة لمــا شربوا كلهم من اللبن القليل وكفاهم وفضل وكانوا ينقلون ذلك بينهم وهو مشهور ينقله بعض من شاهده الى من غاب عنه وكان استفاضــة آياته وشهرتها وتواترها في الامة أعظم من تواتر سجود السهو فى الصلاة فان هذا انما كان مرات قليلة ولم يحضره الا المصلون خلفه لتلك الصلاة وكذلك نقلهم لنصب الزكوة وفرائضها فان هذا انما سمعه منه طائفة قليلة ونقلوه وكذلك حكمه بالشفعه فيما لا يقسم وقضاءه بان دية الخطأ على العاقلة وقضاءه بان الولد للفراش وللعاهر الحجر ونهيه عن نكاح الشغار وتحريمه لطلاق الحائض وطلاق الموطوءة قبل ان يتبين حملها وان المعتقة تحت عبد يثبت لها الخيار وتوريث الجدة السدس ونهيه ان تنكح المرأة على عمتها وخالتها وقوله فيما سقت السماء العشر وما ســقى بالدوالى والنواضح نصف العشر وامثال ذلك وانما سمعها طائفة من الامة هم اقل بكثير ممن شاهد آياته ثم ان الامة متفقة على نقل ذلك

(فصل) في الطرق التي يبين بها ان هذه الاخبار تفيد العلم وهـذه الاخبار . منها ماهو في القرآن . ومنها ماهو متواتر يعلمه العامة والخاصة كنبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام وحنين الجذع ونحو ذلك فان كلا من ذلك تواترت به الاخبار واستفاضت ونقلته الامة جيلاً بعد جيل وخلفاً عن سلف فما من طبقـة من طبقات الامة الا وهـذه الآيات منقولة مشهورة مستفيضة فيها ينقلها اكثر ممن ينقـل كثيراً من القرآن وقد نقلها وسمعها من الامة اكثر ممن سمع ونقل كثيراً من آيات القرآن واكثر ممن سمع ونقـل انه كان يسجد في الصـلاة سجدتي السهو وممن سمع ونقـل نصب الزكاة فرائضها . بل مواقيت الصلاة وأعدادها انمـا شاع نقلها للعمل الدائم بها . وأما هذه الآيات فنقلها اكثر ممن نقل مواقيت الصلاة من جهة الاخبار المعينة وذلك ان آيات الرسول كان كثير منها يكون بمشهد من الخلق عظيم فيشاهدون تلك الآيات كما شاهد أهل الحديبية وهم الف وخمسماية نبع الماء من بين أصابعه وظهور الماء الكثير من بئر الحديبية لما نزحوها ولم يتركوا فيها قطرة فكثر حتي روى العسكر وكما شاهـد العسكر فى غزوة ذات الرقاع الماء اليسير لما صبه جابر في الجفنة وامتلأت وملأ منها جميع العسكر وكما شاهـد الجيش فى رجوعهم من غزوة خيـبر المزادتين مع المرأة وقـد ملؤا كل وعاء معهم وشربوا وهى ملاى كما هي وكما شاهدوا أهل خيبر وهم الف وخمسماية الطعام الذى كان كربضة الشاة فاشبع الجيش كلهم وكما شاهـد الجيش العظيم وهم نحو ثلاثين الفاً في غزوة تبوك العين لما كانت قليلة الماء فكثر ماؤها حتي

وزرائهم ونوابهم وقوادهم وبالحروب التي جرت بينهم ولا يعرفون الوقائع العظيمة من الحروب التي كانت بين المسلمين واعدائهم مثل يوم اجنادين ويوم مرج الصفر ويوم فحل ويوم اليرموك ومثل يوم الحرة ويوم مرج راهط وفتنة ابن المهلب وفتنة ابن الاشعث والقرا مع الحجاج وحرب مصعب ابن الزبير مع المختار بن أبي عبيد وفتنة المنصور مع محمد بن عبد الله بن حسن بن حسين بالمدينة ومع اخيه محمد بن ابراهيم بالبصرة ومثل جسر أبي عبيد ويوم القادسية بل وحربهم مع اهل الردة مع اتباع طليحة الاسدي ووفد براحة ومثل حديقة الموت مع اتباع مسيلمة الكذاب ولا يعرفون ان المسلمين فتحوا قبرص ولا حاصروا القسطنطينية مرتين مرة في زمن معاوية ومرة في زمن بني مروان وكذلك الفتن التي كانت بين المسلمين لا بل اكثر العامة لم يسمعوا بابي مسلم صاحب الدعوة وبعبد الله بن على بن عبد الله بن عباس وما جرى لهما من الحروب مع عساكر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ولم يسمعوا ايضاً بدخول عبد الرحمن بن هشام الى الاندلس وما جرى له فيها ولا بالفتنة التي بين ابني الرشيد الامين والمأمون مع ان هذه الامور هي متواترة عند اهل العلم بالسير واخبار الناس والتواريخ وظهور هذه الآيات التي هي دلائل النبوة واعلامها مشهورة بين الامة عامتها وخاصتها في كل زمان اعظم من ظهور هذه الاخبار المتواترة فهي احق ان تجعل متواترة من هذه ونقلة هذه الآيات من خاصة اهل العلم وكتب الحديث والتفسير والمغازي والسير وكتب الاصول والفقه التي توجد فيها هذه الاخبار اصح نقلا باتفاق اهل العقل والعلم من كتب التواريخ

وهذه الاحكام متواترة عنه معلومة بالاضطرار من دينه فاذا كان مثل هذه الامور تواتر في الامة واتفقت على نقله فكيف مما كان أشهر وأظهر عند من عاينه وكان علمُ الذين رأوه به اظهر من عامهم بهـذه الاحكام وقد نقلوا ذلك الى من غاب عنهم فانه قطعاً يجب ان يكون تواترُ هذه الآيات في الامة أعظم واظهر ولهذا لا يكاد يوجد مسلم الا وقد عرف كثيراً من هذه الا يات وسمعها ونقلها الي غيره بخلاف كثير من الاحكام المتواترة عنه المتفق على نقلها عند العلماء فان كثيراً من الناس لايعرفها ولاسمعها واذا قال القائل هذه مما تتوفر الهمم والدواعى على نقلها فلو كانت موجودة لتوفرت الهمم والدواعى على نقلها ولو كان كذلك لتواترت • قلنا وكذلك هو ولله الحمد توفرت الهمم والدواعي على نقلها اكثر مما توفرت الهمم والدواعى على نقل اكثر آيات الانبياء قبله واكثر مما توفرت الهمم والدواعي على نقل الاخبار العجيبة من سير الملوك والحلفاء فان من تدبر نقل هذه الآيات وجد شهرتها فى كل زمان وظهور الاخبار بها أعظم من شهرة ماينقل من آيات الانبياء وسير الملوك والدول التي جرت العادة بتوفر الهمم والدواعى على نقلها فان مثل هذا لايجب في كونه متواتراً ان يتواتر عند كل احد من الناس فان اكثر ماتواتر عند كل أمة من أحوال متقدميها قد لا يسمعه كثير من الامم من غيرهم فضلا عن تواتره عندهم حتى ان كثيرا من الامم الدين لايعرفون الأنبياء قد لا يكونون سمعوا باسماء لأنبياء ولا باخبارهم فضلا عن تواترها عندهم واكثر اتباع الانبياء لم يتواتر عندهم من اخبار الملوك وسيرهم ما تواتر عند غيرهم حتى ان اكثر المسلمين لم يسمعوا باسماء خلفاء بني أمية وبني العباس واسماء

ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها)
حتى بعض اكابر ائمة الفتيا المشهورين قال له صاحبه لما انكر عليه
طالب علم السير تسكت والا سألتك قدام الناس أيهما كانت قبل بدر أو
أحد فاني اعلم انك لاتعلم ذلك مع انه من المتواتر الذى لايستريب فيه
من له أدنى معرفة بالاخبار ان أحدا كانت بعد بدر وفى بدر انتصر
المسلمون على الكفار ويوم احد استظهر الكفار بل وكثير من علماء
المسلمين الاكابر لايعلمون ماهو متواتر عند اهل الكتاب بل وعند
غيرهم من علماء المسلمين مثل خراب بيت المقدس مرتين ومجيء بخت
نصر الى بيت المقدس أولا والله سبحانه ذكر في القرآن المرتين فقال
(وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن
علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد
فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم
وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم
وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا)وكانت
الاولى بعد سليمان وكانت الثانية بعد زكريا ويحيي والمسيح لما قتلوا
يحيي بن زكريا الذى يسميه اهل الكتاب يوحنا المعمدانى وكثير من
المذكورين بالعلم يظن ان بخت نصر هو الذى قدم الشام لما قتل يحيي
ابن زكريا وهذا عند اهل العلم من اهل الكتاب وعند من له خبرة
من علماء المسلمين باطل والمتواتر ان بخت نصر هو الذى قدم فى
المرة الاولى وكذلك كون شعيب النبي كان حموَ موسى عليه السلام

المرسلة فان تلك كثير من اخبارها منقطع الأسناد وفيها من الا كاذيب مالا يحصيه الا الله وان كان أصل القصة قد يكون متواترا وهذه الآيات المشهورة في الامة كثير من أجناسها متواتر عند العامة وكثير من آحادها متواتر عند خاصة أهل العلم بل الفقهاء والمتكلمون او اكثرهم لا يعرفون عدد مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قاتل فيها أعداءه وهي وقائع مشهورة كل منها متواتر تواترا ظاهراً عند اهل العلم مثل يوم بدر ويوم احد ويوم الخندق وغزوة بني المصطلق وغزوة خيبر وفتح مكة ويوم حنين وحصار الطائف فكثير من اهل العلم فضلا عن العامة وان كانوا سمعوا بهذه الاسماء أو بعضها فلا يعرفون أنها كانت قبل الآخر ولا يعرفون بأي بقعة كانت تلك الغزاة بل ولا يعرفون من كان العدو فيها ولا كيف كانت بل اكثر العامة لايميزون بين بدر وحنين بل يقول قائلهم يوم بدر وحنين ويظنون ان ذلك يوم واحد وانها غزاة واحدة ولا يعرفون انهما غزاتان بينهما نحو ست سنين كانت بدر في السنة الثانية من الهجرة وكانت حنين في السنة الثامنة بعد فتح مكة وان بدرا مكان بين مكة والمدينة شامي مكة ويماني المدينة وحنين واد قريب من الطائف شرقي مكة وانما قرن بينهما في الاسم لان الله انزل فيهما الملائكة وأيد بها نبيه والمؤمنين حتى غلبوا عدوهم مع قوة العدو في بدر ومع هزيمة اكثر المسلمين اولا بحنين وامتن الله بذلك في كتابه في قوله (ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وفي قوله (ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين

بل هو كذب عندهم وان كان كثير من الناس ينقله وانما نقل ان الغمامة اظلته لما كان صغيرا فقدم مع عمه الى الشام تاجرا ورآه بحيرا الراهب ومع هذا فهذا لايجزم بصحته وكذلك ماينقله بعضهم من انه كان اذا وطيء أثر قدمه في الحجر وفي الرمل لم يكن يؤثر فهذا لم ينقله اهل العلم باحواله ولا واحد منهم بل هو كذب عليه • وكذلك ماينقله طائفة من الناس من كثرة القتل بحروبه والمغازى الكثيرة التى يذكر مثالها صاحب الكتاب الذى سماه بنقلات الانوار ويقال له البكري فهذا لما كان اكثرها لايوجد في كتب المسلمين المعروفة ولا نقلها علماؤهم بل قد تواتر مايخالفها كانت كذبا ظاهرا عند اهل العلم باحواله وان كان كثير من الناس الجهال باحواله قد يصدق بها • ومثل ماينقله طائفة من الناس انه كان فى غزاة خيبر نصب على بن أبى طالب يده ليمر الجيش عليها وان البغلة مرت عليها فقال لها قطع الله نسلك فانقطع نسلها فهذا ليس في شيء من كتب اهل العلم باحواله ولا نقل ذلك واحد منهم وانما ينقل ذلك من هو معروف بالكذب أو جاهل ولهذا كان هذا من الكذب الذي يقطع بكذبه علماء المسلمين ويعلمون انه تواتر نقيضه وانه لم يكن فى غزوة خيبر بغلة واحدة ولم يكن بمكة ولا بالمدينة بغلة الا بغلته التي اهداها له المقوقس النصرانى ملك مصر والاسكندرية وانما اهداها له بعد فتح خيبر لما كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى ملوك الطوائف يدعوهم الى الاسلام وهو انما ارسل الي ملوك الطوائف بعد الحديبية وخيبر لما رجع من خيبر ويعلمون ان البغلة لم تزل مقطوعة النسل لم يكن لها نسل قط • وكذلك ماينقله بعض الكذابين من ان طائفة

كما تقوله طائفة من الجهال والمتواتر عند اهل الكتاب وعند علماء المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم خلاف ذلك وعند النصارى من اخبارهم واخبار علمائهم وملوكهم المتواترة مالا يعرفه المسلمون واليهود وعند المسلمين من اخبار علمائهم وملوكهم المتواترة مالا يعرفه اكثر الامم بل عند كل طائفة من المسلمين من اخبار شيوخهم وامرائهم وبلادهم المتواترة مالم يسمع به غيرهم وليس هذا بمنزلة من ادعى خبرا لم يكن يعرف فى الذين شاهدوا تلك القضية كما لو ادعى مدع ان النبي صلى الله عليه وسلم حج بعد الهجرة اكثر من حجة وانه كان يصوم شهر رمضان بمكة وانه كان بمكة أذان أو انه كان في عساكره وعساكر خلفائه دبادب وبوقات أو انه كان يؤذن للعيدين أو انه كان يخطب للعيدين قبل الصلاة أو انه كان يصلي بالمدينة اكثر من عيد أو انه كان يصلي في السفر اربعا أو انه صلى بمنى صلاة عيد يوم النحر أو انه نص على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو غيره بالخلافة نصا ظاهرا مشهورا أو انه عزل أبا بكر عن الامارة في الحجة وولى عليا أو انه صلى بهم في مرض موته غير أبي بكر ونحو ذلك من الاخبار التي يعرف انها كذب وباطل لتواتر نقيضها ولانها لو كانت صحيحة لكانت مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله واشتهاره مع انه لم يكن له ذكر في الزمن المتقدم . وكذلك ماينقله كثير من اهل الجهل مثل مايجهلونه من معجزات الرسول أو غيره ولا يوجد منقولا عند اهل العلم باحواله بل يكذبون ناقله مثل قول كثير من العامة ان الغمام كان يظله دائما فهذا لايوجد فى شيء من كتب المسلمين المعروفة عند علمائهم ولا نقله عالم من علمائهم

وهذا متواتر عند اهل العلم وما كان من هـذه الآيات والمعجزات فى الصحاح بل وكثير مما لم يخرجه البخاري ومسلم فهذه عامتها مما يقطع اهل العلم بالحديث بصحتها ويثبتون ذلك وهذا عندهم مستفيض متواتر وان كان بعض ذلك قد لايتواتر ويستفيض عند غيرهم فان الاخبار قد تتواتر وتستفيض عند قوم دون قوم بحسب عنايتهم بها وطلبهم لها وعلمهم عن اخبر بها وصفاتهم ومقاديرهم وما دل من الدلائل على صدقهم واهل العلم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم واقواله وافعاله وسيرته واسباب نزول القرآن ومعانيه وغير ذلك لهم بهذا من العلم وعندهم به من اليقين مالا يوجد مثله لغيرهم كما أن اصحاب مالك والشافعي واحمد بن حنبل وأبى حنيفة وداود وغيرهم عند كل طائفة من اقوال متبوعهم ونصوصه واخباره مايقطعون به وان كان غيرهم لايعرف ذلك • والاطباء عندهم من كلام ابقراط وجالينوس ومحمد بن زكريا وامثالهم مايقطعون به وغيرهم لايعلم ذلك • واهل الهيئة عندهم من كلام بطليموس والرصد الممتحن المأموني وثابت بن قرة وابى الحسين الصوفي مايعلمونه وغيرهم لايعلم ذلك بحيث يجزم هؤلاء وهؤلاء بكثير من مذاهب اهل الطب والحساب وتجارب الاطباء وارصاد اهل الحساب • وغيرهم لايعلم ذلك وعند اهل الكتاب كاليهود من اخبار هلال وسماى وغيرهما من شيوخهم مالا يعلمه غيرهم وعند النصارى من أخبار الحواريين ومن أخبار قسطنطين والمجمع الاول بنيقيه والمجمع الثانى والثالث والرابع والخامس وغير ذلك من مجامعهم وأخبارهم مايقطع به علماؤهم وان كان غيرهم

من اهل البيت سبوا واركبوا جمالا فنبت لها سنامان وانها البخاتي فهذا مما اتفق اهل المعرفة بالاخبار عنه على انه كذب ولم يسب المسلمون قط في وقت من الاوقات احدا من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لا في خلافة بني أمية ولا في خلافة بني العباس والجمال البخاتي مازالت هكذا لم يتجدد لها السنام في الاسلام كما قال صلى الله عليه وسلم لما ذكر مايحدث النساء بعده قال على رؤسهن كاسنمة البخت • وكذلك مانقله طائفة من اهل العلم من ان الشمس ردت لما فاتت عليا صلاة العصر لكون النبي نام في حجره صلى الله عليه وسلم وجعل بعضهم هذا من المعجزات وليس هذا الحديث في شيء من كتب المسلمين التي يعتمدون على مافيها من المنقولات لا الصحاح ولا المسانيد ولا التفسير ولا المغازي ولا السير ولا غير ذلك بل بين اهل العلم بالحديث ان هذا كذب وليس له اسناد واحد صحيح متصل بل غايته ان يروي عمن لا يعرف صدقه ولم يروه الا هو مع توفر الهمم والدواعي على نقله فعلموا انه كذب وهذا باب واسع يبين ان علماء المسلمين يميزون المنقولات الصدق والكذب فيردون الكذب وان كان فيه من فضائل نبيهم واعلامه وفضائل اصحابه وامته ما هو عظيم ويقبلون الصدق وان كان فيه شبهة واشكال وقد يحتج به المنازعون لهم وكان عبد الرحمن بن مهدي يقول اهل العلم يكتبون مالهم وما عليهم واهل الاهوآء لا يكتبون الا مالهم ومن ذلك مغازي حمزة الشائعة بين كثير من جهال الناس لا يوجد في شيء من كتب العلم بل قد تواتر عند اهل العلم ان حمزة لم يشهد غزوة الا غزوة بدر ثم غزوة احد وقتل يوم احد شهيدا قتله وحشي بن حرب

الحديث فهذا يعطى انهم أعلم بحال نبيهم من كل أحد بحال متبوعه وانهم أعلم بصدق الناقل وكذبه من كل أحد بصدق من نقل عن متبوعهم وكذبه فاذا كان أولئك فيما ينقلونه عن متبوعهم متفقين عليه جازمين بتصديقه لا يكون الا صدقا فهؤلاء مع جزمهم بالصدق واتفاقهم على التصديق أولى اذ لا يكون ما جزموا بصدقه الا صدقا . وعامة أخبار الصحيحين مما اتفق علماء الحديث على التصديق بها وجزموا بذلك وانما تنازعوا في أحاديث قليلة منها وعامة ما ذكرناه من آيات النبي صلى الله عليه وسلم التي في الصحاح هي من موارد اجماعهم المستفيضة عندهم التي يجزمون بصدقها ليست من موارد نزاعهم فهذا طريق يسلكه من عرفه من العلماء ويعلم خبرة أهله من كان خبيراً بهم فهذه طريقان في تصديق هذه الآثار . التواتر العام . والتواتر الخاص * الطريق الثالث التواتر المعنوى وهذا مما اتفق على معرفته عامة الطوائف فان الناس قد يسمعون أخباراً متفرقة بحكايات يشترك مجموعها في أمر واحد كما سمعوا أخباراً متفرقة تتضمن شجاعة عنترة وخالد بن الوليد وأمثالهما وتتضمن سخاء حاتم ومعن بن زائدة وأمثالهما وتتضمن حلم الاحنف ابن قيس ومعاوية بن ابى سفيان وأمثالهما وتتضمن شعر أمرىء القيس والنابغة ولبيد وأمثالهم من المتقدمين وشعر الفرزدق وجرير وعمر بن ابى ربيعة وأمثالهم من المولدين وشعر ابي نواس والمتنبي وابي تمام وامثالهم من المحدثين بل وسمعوا أقوالا وفتاوى متفرقة تتضمن فقه مالك والثورى والليث بن سعد وابى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وغيرهم من العلماء وأخبارا

لا يعلمون ذلك . وأهل العلم بايام الاسلام يعلمون من سيرة أبي بكر وعمر وعثمان ومغازيهم كوقعة أجنادين ومرج الصفر وغيرها في خلافة أبي بكر وكوقعة اليرموك وجسر ابى عبيد وهزيمة الفرس وفتح مصر وغير ذلك مما كان في زمن عمر بن الخطاب ما يقطعون به وان كان غيرهم لا يعرفون ذلك . وكذلك ما كان بعد هؤلاء من سير الملوك وحوادث الوجود بل أهل العلم بالرجال يعلمون من حال آحاد الصحابة والتابعين ومن بعدهم كعبد الله بن عمر وابن عباس وابي سعيد وأبى هريرة وعبد الله بن مسعود وانس بن مالك وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسعيد بن المسيب والحسن البصرى وعلقمة والاسود وغير هؤلاء مما لا يعلمه غيرهم . وأهل العلم بالنحو يعلمون من حال سيبويه والأخفش والمبرد والزجاج والفراء والكسائى ما لا يعلمه غيرهم . والقراء يعلمون من قراءة ابى عمرو وابن كثير وحمزه والكسائى وابن عامر ويعقوب بن اسحاق والاعمش وخلف بن هشام وابى جعفر مالا يعلمه غيرهم فاذا كان آحاد أهل العلم من أهل الفقه أو الطب أو الحساب أو النحو أو القرآت بل وآحاد الملوك يعلم الخاصة من أمورهم ما لا يعلمه غيرهم ويقطعون بذلك فكيف بمن هو عند اتباعه أعلا قدراً من كل عالم وارفع منزلة من كل ملك وهم أرغب الخلق فى معرفة أحواله وأعظم تحريا للصدق فيها وَارَدُّ للكذب منها حتى قد صنفوا الكتب الكثيرة في أخبار جميع من روى شيئاً من أخباره وذكروا فيها أحوال نقلة حديثه وما يتصل بذلك من جرح وتعديل ودققوا في ذلك وبالغوا مبالغة لا يوجد مثلها لاحد من الامم ولا لاحد من هذه الامة الا لاهل

قل من يحفظها جداً حتى تنازع الناس في تواتر نقلها • وكذلك الانجيل نقلته اقل بكثير من نقلة آيات محمد صلى الله عليه وسلم فاذا قال النصارى هؤلاء كانوا صالحين وكان لهم آيات ايضاً كما يذكرونه من آيات الحواريين فاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوهم صالحون ولهم من الآيات اعظم مما للحواريين وغيرهم من الامم وفيهم من كان يحمل العسكر على الماء ومن كان يشرب السموم القاتلة ومن يحيي الله الموتى بدعوته ومن يكثر الطعام والشراب وكتب كرامات الاولياء فيها من ذلك اعظم مما عند اهل الكتاب وهم ينقلون اخبار الانبياء والصالحين من كتب عندهم مثل كتاب اخبار الحواريين وكتاب سفر الملوك ونحو ذلك ومايذكرون من حجة فى صحة نقلها الا وحجة المسلمين فيما ينقلونه عن نبيهم واصحابه والتابعين اظهر واقوى * الطريق الرابع ان يقال هذه الآيات التى ذكرنا بعضها كانت تكون بحضر من الخلق الكثير كتكثير الطعام يوم الخندق فانه كان اهل الخندق رجالهم ونساؤهم الوفا • وكذلك نبع الماء من بين اصابعه وفيضان البئر بالماء يوم الحديبية وكانوا يومئذ الفاً وخمسماية وكلهم صالحون من اهل الجنة لايعرف فيهم من تعمد كذبة واحدة على النبى صلى الله عليه وسلم • وكذلك تكثير الماء والطعام فى غزوة خيبر كانوا الفاً وخمسمايه وفي تبوك كانوا الوفا مؤلفة وكان بعض من حضر هذه المشاهد ينقل هذه الآيات قدام آخرين ممن حضرها وينقلها لاقوام فيذهب اولئك فيخبرون بها اولئك ويصدق بعضهم بعضا ويحكى هذا مثل ما حكى هذا من غير تواطيء وتشاعر وادنى احواله ان يقره ولا ينكر عليه روايتها ونحن نعلم بموجب العادة الفطرية

متفرقة تتضمن العدل وحسن السيرة من عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وغيرهما من ولاة الامر وسمعوا أخباراً متفرقة تتضمن الزهد عن مثل الحسن البصري والفضيل بن عياض وعامر ابن عبد الله ومالك بن دينار وابراهيم بن ادهم وغيرهم من الزهاد وسمعوا اخباراً متفرقة تتضمن معرفة ابقراط وجالينوس ونحوهما بالطب فيحصل بمجموع الاخبار علم ضروري بان الشخص موصوف بذلك النعت وان كان كل من الاخبار لو تجرد وحده لم يفد العلم وان كان كل من الحكايات ليست وحدها منقولة بالتواتر • ومن هذا الباب العلم القطعي بالايمان والموت ونحو ذلك مما يحصل به استفاضة توجب العلم القطعي كعلم الناس بأن خديجة وعائشة ونحوها من امهات المؤمنين وان فاطمة وزينب من بنات النبي صلى الله عليه وسلم وان عائشة بنت ابي بكر الصديق وان ابا بكر وعمر وعثمان تولوا الخلافة بعده وان ابا بكر وعمر دفنا في حجرته • واذا عرف هذا فهذه الاحاديث واضعاف اضعافها هي اضعاف اضعاف ما ينقل عن الواحد من هؤلاء ونقاتها اجل واكثر وافضل من نقلة هؤلاء وهي كلها تتضمن ان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كان يجري على يديه من الآيات الخارقة للعادة والعجائب العظيمة ما لا يعرفه نظيره عن احد من الناس وعلم المسلمين بهذا اعظم من علم اهل الكتاب بما ينقلونه عن آيات موسى وعيسى وغيرهما فان نقلة آيات محمد صلى الله عليه وسلم غير القرآن اضعاف اضعاف نقلة التوراة والانجيل فضلا عن غيرهما من اخبار الانبياء فان التوراة لم تكن جميعها محفوظة لعموم بني اسرائيل كما يحفظ القرآن عامة المسلمين وعند خراب بيت المقدس

متفقة على نقله كنقلهم للقرآن وللشرائع الظاهرة المشهورة وان نقل ذلك اعظم من نقل سائر اخبار الانبياء والعلماء والملوك والزهاد • وكذلك حجه فانهم كلهم متفقون على ماتواتر عنه من انه لم يحج بعد الهجرة الا حجة واحدة وهي التي تسمى حجة الوداع وإنما عاش بعدها نحواً من ثلاثة أشهر وانه لما حج أمر أصحابه كلهم الا من ساق الهدي منهم اذا طاف بالبيت وبين الصفا والمروة ان يحل من عمرته وانه لم يعتمر هو ولا احد من أصحابه الذين حجوا معه بعد الحج الا عائشة وحدها وانه هو نفسه لم يحل من حجه ولا أحد ممن ساق الهدى معه وانما اشتبه على بعضهم بعض الفاظه او بعض الامور التي تخفى على اكثر الناس وكان الصحابة ينقلون تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرادهم بالتمتع انه قرن بين العمرة والحج فظن بعض الناس انهم أرادوا انه اخر الاحرام بالحج الى ان قضى العمرة وروى بعض الصحابة انه افرد الحج فظن بعض الناس انه حج واعتمر بعد الحج وهذا لم يقله احد من العلماء بل اتفقوا على انه لم يعتمر بعد الحج وروى بعض الصحابة انه قرن فظن بعض الناس انه طاف طوافين وسعى سعيين وهذا لم ينقله احد عنه وكان من اسباب غلط كثير من الناس انهم كانوا يستعملون تلك الالفاظ في معان غير ما استعملته فيها الصحابة فغلط بعض الناس على بعض الصحابة واما مافعله في الحج مشهوراً فهو متواتر لم يختلف فيه النقل ولا علماء النقل ومن تدبر هذه الطريق افادته علما يقينياً قطعياً بصحة هذه الآيات عن محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك الطرق المتقدمة فانا قد ذكرنا ان ما كان الناس احوج الى معرفته يسر

التي جبل الله عليها عباده وبموجب ما كان عليه سلف الامة من اعتياد الصدق وتحريه واعتقادهم ان ذلك واجب ومن شدة توقيهم الكذب على نبيهم وتعظيمهم ذلك اذ قد تواتر عنه عندهم انه قال من كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار • فنحن نعلم انهم لم يكونوا يقرون من يعلمون انه يكذب عليه ومن اخبر عنه بما كانوا مشاهدين له وكذب عليه فقد علموا انه كذب عليه فلما اتفقوا على الاقرار على ذلك وعلى تناقله بينهم من غير انكار احد منهم لذلك ،علم قطعاً ان القوم كانوا متفقين على نقل ذلك كما هم متفقون على نقل القرآن والشريعة المتواترة وان كان جمهورهم ليس منتصباً لتلقين القرآن بل هذا يلقنه وهــذا يسمعه من هذا الملقن ولا ينكر بعضهم على بعض القراءة وهذا يعلم هذا الصلاة ان الظهر في الحضر اربع ركعات والمغرب ثلاث والفجر ركعتان وهذا يقر هذا فلما كان بعضهم يقر بعضا على نقل ذلك علم اتفاقهم على نقل ذلك وهذا غاية التواتر • فكذلك مانقلوه من شرائعه ومن آياته وبراهينه يبين ذلك ان ما انكره بعضهم رده على الآخر ولم يوافقه عليه وان كانوا متأخرين عن زمن الصحابة فكيف بالمتقدمين كتنازعهم هل كان يجهر بالبسملة ام لايجهر بها وهل كان يداوم على القنوت فى الفجر ام كان يقنت احياناً للنوازل ام قنت مرة ثم تركه فهذا من اهون الأمور وايسرها اذ كلهم متفقون على صحة صلاة من قنت وعلى صحة صلاة من لم يقنت ومن جهر ومن خافت ولكن لما تنازعوا فيما فعله الرسول تنازعوا في الحكم فعلم بذلك ان ما كان مشهورا فى الامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره احد من علمائها كانت الامة

ازداد بذلك علماً ويقيناً وتبين له ان العلم بذلك اظهر من جميع مايطلب من العلم بالاخبار المتواترة فليس في الدنيا علم مطلوب بالاخبار المتواترة الا والعلم بايات الرسول وشرائع دينه اظهر من ذلك وما من حال أحد من الانبياء والملوك والعلماء والمشايخ المتقدمين وأقواله وأفعاله وسيرته الا والعلم بأحوال محمد صلى الله عليه وسلم اظهر من العلم به وابين ونقله اكمل واتم وما من علم يعلم بالتواتر مما هو موجود الآن كالعلم بالبلاد البعيدة كعلم أهل الشام بالعراق وخراسان والهند والصين والاندلس وعلم أهل المغرب بالشام والعراق وخراسان والهند وعلم أهل خراسان بالشام والعراق ومصر وعلم اهل الهند بالعراق والشام وامثال ذلك من علم أهل البلاد بعضهم بحال بعض الا وعلم الانسان بحال المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وماهم عليه من الدين وما ينقلونه عن نبيهم من آياته وشرائعه أظهر من علمه بهذا كله وهذا مما يبين انه ليس فى الوجود أمر يعلم بالنقول المتواترة الا وآيات الرسول وشرائعه تعلم بالنقول المتواترة أعظم مما يعلم ذلك الامر تحقيقاً لقوله تعالى(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً) وظهوره على الدين كله بالعلم والحجة والبيان انما هو بما يظهره من آياته وبراهينه وذلك انما يتم بالعلم بما ينقل عن محمد من آياته التى هى الادلة وشرائعه التي هي المدلول المقصود بالادلة فهذا قد أظهره الله علماً وحجة وبيانا على كل دين كما اظهره قوة ونصراً وتأييداً على كل دين والحمد لله رب العالمين كما انه مامن دليل عقلي يستدل به على مدلول الا والادلة على آيات الرب

الله دلائله للناس اعظم من تيسير غيره وحاجة الخلق الى تصديق
الرسول اشد من حاجتهم الى جميع الاشياء اذ بذلك تحصل سعادتهم
فى الآخرة ونجاتهم من العذاب وبه يحصل صلاح العباد في المعاش
والمعاد * الطريق الخامس ان نقول مامن صنف من اصناف العلماء الا
وقد تواتر عندهم من الآيات مافيه كفاية فكتب التفسير مشحونة
بذكر الآيات متواتر ذلك فيها وكتب الحديث مشحونة بذكر
الآيات متواتر ذلك فيها وكتب السير والمغازى والتواريخ مشحونة
بذكر الآيات متواتر ذلك فيها وكتب الفقه مشحونة بذكر الآيات
متواتر ذلك فيها وان لم يكن هذا مقصوداً منها وانما المقصود الاحكام
لكنهم فى ضمن مايروونه من الاحكام يروون فيها من الآيات ماهو
متواتر عندهم . وكتب الاصول والكلام مشحونة بذكر الآيات
متواتر ذلك فيها ونقل كل طائفة من هذه الطوائف يفيد العلم اليقيني
فكيف بما ينقله كل طائفة من هذه الطوائف وهذه الطريق وغيرها
مثل طريق الاقرار والتصديق وطريق التواتر المعنوى وطريق
تصديق أهل الحديث والعلم بها وغير ذلك يستدل بها تارة على تواتر
الجنس العام للآيات الخارقة للعادة وهذا أقل مايكون ويستدل بها
على تواتر جنس جنس كتواتر تكثير الطعام وتواتر تكثير الطهور
والشراب وعلى تواتر نوع نوع منها كتواتر نبع الماء من بين أصابعه
وتواتر اشباع الخلق العظيم من الطعام القليل وتواتر شخص شخص منها
كتواتر حنين الجذع اليه وامثال ذلك وكلما امعن الانسان فى ذلك
النظر واعتبر ذلك بامثاله واعتبر واعطاه حقه من النظر والاستدلال

الاحاديث المتضمنة لآيات نبوته وبراهين رسالته اضعاف اضعاف الاحاديث المأثورة فيما هومتواتر عنه مثل حجة الوداع وعمرة الحديبية وصد المشركين له ومصالحته اياهم وحله هو واصحابه بالحديبية ورجوعهم ذلك العام وفتح خيبر عقب ذلك وعمرة القضية وعمرة الجعرانة ومثل حصاره لاهل الطائف قبل ذلك وفتح مكة قبل ذلك ومثل غزوة النصارى عام تبوك وارساله جيشاً لغزوهم بموتة من مشارق الشام قريباً من الحصن المسمى بالكرك ومثل غزو اليهود بخيبر وغزو اليهود قبل ذلك لمن كان عند المدينة مثل بني قينقاع والنضير وقريظة ومثل ارساله ابا بكر أميراً على الحج سنة تسع ونبذه العهود ومناداته ان لايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومثل هجرته مع ابي بكر وغلامه عامر بن فهيرة ورجل ثالث كان دليلا لهم ومثل ماتواتر عنه انه كان يصلي بالمسلمين يومي العيدين الفطر والنحر بالمصلى خارج المدينة لم يكن يصلي العيد في مسجده الا مرة نقل انه صلى في المسجد لاجل المطر ولم يكن على عهده يصلي أحد بالمدينة صلاة العيد الا خلفه لم يكن يصلي صلاتي عيد على عهده وعهد ابي بكر وعمر وعثمان واول من فعل ذلك علي بن ابي طالب لما كثر الناس وضعف أقوام عن الخروج الى الصحراء استخلف من يصلي بهم في المسجد وكما تواتر عنه انه كان يصلي الجمعة باذان واقامة لايؤذن لها الا اذا قعد على المنبر وكذلك كان الامر على عهد ابي بكر وعمر فلما كان في اثناء خلافة عثمان كثر الناس فامر بالنداء الثالث على دار قريبة من المسجد من جهة المشرق يقال لها الزوراء وكما تواتر ان مسجده بناه

اكثر واكثر والحمد لله رب العالمين * الطريق السادس ان العلماء قد صنفوا مصنفات كثيرة في ذكر آياته وبراهينه المنقولة في الأخبار وجردوا لذلك كتباً مثل كتاب دلائل النبوة للفقيه الحافظ ابى بكر البيهقى وقبله دلائل النبوة للشيخ الحافظ ابى نعيم الاصبهاني وقبله دلائل النبوة لابى الشيخ الاصبهانى ولابى القاسم الطبراني وقبلهما دلائل النبوة للامام الحافظ ابى زرعة الرازي وللشيخ المصنف أبى بكر عبد الله بن ابي الدنيا وللامام ابي اسحاق الحربي وللمصنف الحافظ إبي جعفر الفريابى وما صنفه الشيخ العالم أبو الفرج ابن الجوزي فى كتابه المسمى بالوفا فى فضائل المصطفى وما صنفه الحافظ ابو عبدالله المقدسى في دلائل النبوة وهؤلاء وغيرهم يذكرون مايذكرون بالاسانيد المعروفة والطرق المتعددة الكثيرة المتواترة وهؤلاء منهم من يميز فيما يذكره من الاحاديث بين مافي صحيحى البخارى ومسلم وما في غيرهما وان كان صحيحاً أيضاً كالبيهقى وابن الجوزي والمقدسى ٠ ومنهم من يذكر ذلك جميعه بأسانيده وقد يتكلم على الاسانيد والطرق ويذكر تعددها من غير احتياج منه الى ان يذكر مارواه البخاري ومسلم كابي زرعة شيخ مسلم وابى الشيخ وابي نعيم وغيرهم ٠ وآخرون يذكرون مايذكرونه معزوا مسنداً الى من رواه وان لم يذكروا اسناده كما يفعله القاضى عياض السبتي في كتابه المسمي بالشفا بتعريف حقوق المصطفى ٠ ومنهم من يقرر ذلك بشهرة ذلك وطرق اخرى يبين صحته كما يفعله كثير من النظار كالقاضى عبد الجبار والجاحظ والماوردى القاضى وسليم الرازى الفقيه واضعاف هؤلاء وهذه الكتب فيها من

وانه رخص في الاستجمار بثلاثة احجار ونهى عن الاستجمار باليمين ونهى عن الاستجمار بالعظم والبعر وقال انها زاد اخوانكم من الجن وانه لم يكن يجمع المسلمين لاعلى سماع كف ولا دف ولا رقص ولا صعق لا هو ولا اصحابه عند سماع القرآن بل كانوا توجل قلوبهم وتقشعر جلودهم وتدمع عيونهم وانه لم يكن على عهده وعهد خلفائه أبي بكر وعمر وعثمان وعلي تعاد امرأة مطلقة الي زوجها بنكاح يقصد به التحليل ظاهرا بل لعن المحلل والمحلل له لان ذلك ربما فعل سرا وانه امر بعيادة المريض وتشييع الجنازة وافشاء السلام واجابة الدعوة وانه كان يصلي على الميت وكان يكبر عليه اربع تكبيرات وقد كان احياناً يكبر سبعاً أو خمساً وامر بتغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه وانه حرم كل مسكر وحرم بيع الدرهم بالدرهمين والدينار بالدينارين والصاع بالصاعين من الحنطة والشعير والتمر والزبيب وانه أمر بصدقة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير لما كان أهل المدينة يقتاتون التمر والشعير وانه اباح الدواء وقال تداووا عباد الله فانه لم ينزل داء الا نزل له دواء الا السام . والسام الموت وانه كان يتداوى بالحجامة وغيرها وكذلك ماتواتر عنه من احاديث سوى مافي القرآن من صفة الجنة والنار وذكر العرش والملائكة والجن وارساله الى الثقلين وما ذكره من اسماء الله وصفاته وما اخبر به من فتنة الانسان في قبره ومن عذاب القبر ونعيمه ومن دخول من يدخل النار من اهل الكبائر من أمته وخروجهم من النار بشفاعته وشفاعة غيره ومن ذكر حوضه وما اخبر به من رؤية الله يوم القيامة ومحاسبة الله للعباد وغير ذلك وما تواتر عنه من انه كان

باللبن وسقفه بجذوع النخل وكانت حجر ازواجه قبلي المسجد وشرقيا فلما كثر الناس زاد فيه عمر ثم زاد فيه عثمان وبناه بالقصة والحجارة ثم في امارة الوليد أمر نائبه عمر بن عبد العزيز ان يشتري الحجر ويزيدها في المسجد فدخلت حجرة عائشة التي دفن فيها هو وابو بكر وعمر في المسجد من حينئذ وانما كانت في حياته خارجة عن مسجده الى سنة احدي وتسعين وقال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد ، يحذر مافعلوا ، قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا وكما تواتر عنه انه نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها وكما تواتر عنه انه كان يضحي في عيد الاضحى بل تواتر عند اهل العلم باحواله تروكه المشهورة كما تواترت افعاله المشهورة فتواتر انه لم يكن يؤذن للعيدين ولا للكسوف ولا للاستسقاء وانه صلى في الكسوف ركعتين في كل ركعة صلاة طويلة وتواتر انه كان يطوف بالبيت سبعاً ويصلي ركعتين بعد الطواف وكان يسعى بين الصفا والمروة سبعاً ولم يكن يصلي بعد السعي بالصفا والمروة ركعتين وتواتر انه كان يواصل وينهى اصحابه عن الوصال ويقول اني لست كهيئتكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وانه لم يفرض صوماً الا صوم شهر رمضان ولم يفرض الحج على المستطيع الا مرة في العمر وانه فرض الصلوات الخمس على كل بالغ عاقل الا الحائض والنفساء وانه منع الحائض والنفساء من الصوم والصلاة وكان الحيض يؤمرون بقضاء الصوم ولا يؤمرون بقضاء الصلاة وانه أمر بالاغتسال من الجنابة للصلاة وامر بالوضوء عند الصلاة لمن بال أو تغوط أو خرج منه ريح أو مذي

ابن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وغير هؤلآء كعبد الله بن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وابي طلحة وابي ايوب واسيد بن حضير واضعاف هؤلآء وانه بايعه تحت الشجرة الف وار بعمائة أو وخمسمائة وهم الذين انزل الله فيهم (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم)وانه لما قدم المدينة بني مسجدا كان في شماليه صفة يأوى اليها الغرباء وان المهاجرين والانصار كلهم اسلموا طوعا بلا رغبة ولا رهبة وان المهاجرين آذاهم الكفار إيذاء عظيما حتى هاجر منهم طائفة الى الحبشة عند النجاشي وان النجاشي آمن به وانه لما مات اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بموته يوم مات وانه صلي عليه باصحابه في المصلى كما يصلى على الميت الحاضر وانه كان يخطب يوم الجمعة قبل الصلاة ويخطب في العيد بعد الصلاة وكان يؤذن للجمعة وللصلوات الخمس ولا يؤذن للعيدين ولا لغير الصلوات الخمس وان بلالا كان يؤذن له بالمدينة هو وابن ام مكتوم الاعمى وكان سعد القرظ يؤذن لاهل قبأ واقام ابا محذورة يؤذن لاهل مكة . وكما تواتر عنه وعن خلفائه انهم لم يكونوا بمني يصلون صلاة عيد بل يرمون جمرة العقبة وينحرون كما أمر اهل الامصار ان يصلوا ثم ينحروا الى امثال هذه الامور مما هي متواترة عند كل من كان عالما باحواله . ومنها ماهو المتواتر عند جميع الامة ومنها ماهو متواتر عند جمهورها وليس منها شيءالا وتواترت آياته وبراهينه التي لم تذكر فى القرآن اعظم من تواتر هذه الامور والكتب المصنفة فى آياته وبراهينه الخارجة عن القرآن فيها من الاحاديث اضعاف اضعاف

يرسل رسلا الى الملوك يدعوهم الى الايمان بالله وبما جاء به كما ارسل
الى ملوك اليمن والى ملوك الشام ومصر والعراق والى ملوك المشركين
واليهود والنصارى والمجوس بعد ماحارب اليهود مرة بعد مرة وماتواتر
عنه من انه كان اذا سافر من المدينة استخلف خليفة وانه كان يستكتب
كتاباً يكتبونه له وانه كان يركب الخيل والابل والبغال والحمير وانه
رجم الزاني المحصن مرة بعد مرة وقطع يد السارق وجلد شارب الخمر
وانه كان يصلي في السفر الرباعية ركعتين ركعتين وانه جمع بين الصلاتين
الظهر والعصر بعرفة وفى مزدلفة جمع بين المغرب والعشاء وانه كان
يصلي بمنى ركعتين ركعتين وانه أمر المسلمين كلهم في حجة الوداع ان
يحلوا من احرامهم ويجعلوها عمرة الا من ساق الهدى فانه امره ان
يبقى على احرامه وانه هو لم يحل من احرامه ولا اعتمر بعد الحج
لاهو ولا أحد ممن حج معه الا عائشة لكونها كانت حائضاً وان شهر
رمضان فرض فى السنة الثانية من الهجرة فصام تسع رمضانات وانه
كان له اربع بنات وثلاثة بنين وكان يكنى باكبر أولاده القاسم فيدعى
ابا القاسم وانه تزوج بابنتي ابي بكر وعمر وانه زوج عثمان بابنتيه وزوج
عليا بنتا وانه آمن به من اعمامه حمزة والعباس ولم يؤمن به لا ابو لهب
ولا أبو طالب مع ان أبا طالب كان يحوطه ويذب عنه وانه استخلف
أبا بكر ليصلي بالناس لما مرض وثقل عن الصلاة لم يصل احد باذنه
مع حضوره غير أبي بكر في مرض موته ولما ذهب ليصلح بين بني عمر
ابن عوف وانه كان من خواص اصحابه العشرة أبو بكر وعمر وعثمان
وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وابو عبيدة

اعظم واكثر من كل دليل على كل مدلول ولكل قوم بل ولكل انسان من الدلائل المعينة التي يريه الله اياها في نفسه وفي الآفاق ما لا يعرف اعيانها قوم آخرون قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) والضمير في ذلك عائد الى القرآن عند المفسرين والسلف وعامة العلماء كما يدل على ذلك القرآن بقوله (قل ارأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) وقد قيل ان الضمير عائد الى الله والصواب الاول كما قال (قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به) وهذا هو القرآن ثم قال بعد ذلك سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) ثم قال (اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) فاخبر انه سيري الناس في انفسهم وفي الآفاق من الآيات العيانية المشهودة والمعقولة ما يتبين ان الآيات القرآنية المسموعة المتلوة حق فيتطابق العقل والسمع ويتفق العيان والقرآن وتصدق المعاينة للخبر واذا كان القرآن حقاً لزم كون الرسول الذى جاء به صادقا وان الله انزله وانه يجب التصديق لما أخبر والطاعة لما أوجبه وأمر وذلك يتضمن اثبات الصانع وتوحيده واسماءه وصفاته واثبات النبوات واثبات المعاد وهذه هي أصول العلم والايمان التى علقت بها السعادة والنجاة

(فصل)وآيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول وقبل مولده وبعد مماته لاتختص بحياته فضلا عن ان تختص بحال دعوى النبوة أو حال التحدى كما ظنه بعض أهل الكلام بل لابد من آيات في حياته

مايوجد من الاحاديث فى مثل هــذه الامور بل في كل صنف من اصناف آياته من الاحاديث اضعاف مايوجد فى مثل ذلك كتواتر اخباره بالغيوب المستقبلة وتواتر تكثيره للطعام مرات متعددة وتواتر تكثيره للطهور والشراب مرات متعددة اما بنبع الماء من بين اصابعه واما بفيضان الينبوع الذى يضع فيه بعض آثاره واما بفيضان المــاء من الوعاء الذى يبرك فيه والماء باق بحاله لم ينقص • فالاحاديث المتواترة فى مثل هذه الانواع اكثر من الاحاديث المتواترة في مثــل تلك الامور التى هى متواترة ولهذا كان شهرة هذه فى الامة وفى اهــل العلم باحواله اعظم من شهرة كثير من تلك الامور • والمقصود هنا ان تواتر انواع آياته المستفيضة فى الاحاديث اعظم من تواتر أمور كثيرة هى متواترة عند الامة أو عند علمائها وعلماء اهل الحديث وهذا غير الآيات والبراهين المستفادة بالقرآن فان تلك قد تجرد لها طوائف من المسلمين ذكروا من انواعها وصفاتها ماهو مبسوط فيغير هذا الموضع حتى بينوا ان مافي القرآن من الآيات يزيد على عشرات ألوف من الآيات وهذان غير مافى كتب اهل الكتاب من الاخبار به وهذه الاجناس الثلاثة غــير مافى شريعته التي بعث بها وغير صفات امته وغير مابذل من المعرفــة بسيرته واخلاقه وصفاته واحواله وهذا كله غير نصر الله واكرامه لمن آمن به وعقوبته وانتقامه ممن كفر به كما فعل بالانبياء المتقدمين فان تعداد اعيان دلائل النبوة مما لايمكن بشرا الاحاطة به اذ كان الايمان به واجباً على كل احــد فبــين الله لــكل قوم بل لكل شخص من الآيات والبراهين ما لا يبــين لقوم آخرين كما ان دلائل الربوبية وآياتهــا

مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون) فاخبر انه لم يرسل الا رجالا يوحى اليهم، لم يرسل اليهم ملائكة ولا نساء وانه أرسلهم بالبينات • والزبر جمع زبور وهي الكتب فان منهم من انزل عليه كتاب ومنهم من أرسل بتجديد الكتاب الذى قبله وقال تعالي (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيراً وان من أمة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير)أخبر انه ليس أمة من الامم الا خلافيها نذير كما قال (ولقد بعثنافي كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) ثم اخبر ان الدين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير وهذا من عطف الخاص على العام لاختصاصه بوصف يختص به كقوله (وملائكته وجبريل وميكال فان الزبر من البينات والكتاب المنير من الزبر وهو كقوله (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) فان الهدى من العلم والكتاب المنير من الهدى وبين انه اخذ الذين كفروا برمهم وهذا انزله ليبين عاقبة المكذبين ولهذا بنى الفعل للفاعل فقال فقد كذب الذين من قبلهم وهذه السورة مكية ثم انزل في آل عمران وهي مدنية في سياق الآيات التي فيها تسلية الرسول والمؤمنين به وتثبيتهم وتعزيتهم لما اصابهم من المكذبين يوم احدوغيره فقال (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة

تدل على صدقه تقوم بها الحجة وتظهر بها المحجة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح مامن نبي من الانبياء الا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعاً يوم القيامة ٠ وقد قال تعالى في سورة ابراهيم (كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الي صراط العزيز الحميد) الى قوله (ولقد أرسلنا موسى باياتنا ان أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله) الى قوله (الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى) الآية فاخبر ان قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله اتتهم رسلهم بالبينات فعلم انهم جاؤا بالبينات وقال (وان يكذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير) وقال تعالي (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذاباً اليما وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيراً) فاخبر انه سبحانه ضرب الامثال لجميع هؤلاء الذين ارسل اليهم وأهلكهم فلم يعاقبهم الا بعد ان اقام عليهم الحجة وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس

فلهذا كانت هذه اخص من تلك

(فصل)ومن آيات الأنبياء اهلاك الله لمكذبيهم ونصره المؤمنين بهم فهذا من اعلام نبوتهم ودلائل صدقهم كاغراق الله قوم نوح لما كذبوه وكاهلاكه قوم عاد بالريح الصرصر واهلاك قوم صالح بالصيحة واهلاك قوم شعيب بالظلة واهلاك قوم لوط بقلب مدائنهم ورجمهم بالحجارة وكاهلاك قوم فرعون بالغرق وقد ذكر الله هذه القصص فى القرآن في غير موضع وبين انها من آيات الانبياء الدالة على صدقهم كما ذكره فى سورة الشعراء لما ذكر قصة موسى قال(ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين) ثم ذكر قصة ابراهيم وقال فى آخرها ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين) وكذلك ذكر مثل ذلك في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومن ذلك ماجعله من اللعنة الشائعة لمن كذبهم ومن لسان الصدق بالثناء والدعاء لهم ولمن آمن بهم كما قال تعالى فى قصة نوح (وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين وكذلك فى قصة ابراهيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم) اى تركنا هذا القول الذي يقوله المتأخرون وكذلك في قصة موسى وهرون سلام على موسى وهرون وسلام على الياسين وكذلك في قصة ابراهيم قال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقال في قصة فرعون (واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لايرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون واتبعناهم

من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)اى يخوفكم اولياءه كما قاله جمهور العلماء ثم قال ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئاً) وسياق الكلام في بيان ان الكفار لايضرون الله ولا عباده المؤمنين بل ضررهم على انفسهم وان ما حصل لهم من نعمه انما هو استدراج واملاء الى ان قال (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ماقالوه وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) بين سبحانه ان هذا القول منهم مع انه كذب فلم يقولوه الا دفعاً للحق لا ليؤمنوا بمن جاءهم بذلك اذ قد جاءهم رسل من قبله بالآيات البينات والقربان الذى تأكله النار ومع هذا قتلوهم والكلام فى مثل هذا الجنس الذى يوالى بعضهم بعضاً ويتبع بعضهم بعضاً كاليهود الذين هم على دين سلفهم الذين فعلوا ذلك ولهذا يخاطبهم بصيغة الخطاب كقوله(واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون)الى قوله(واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)فالخطاب لجنس بني اسرائيل وان كان الذين عاينوا ذلك ماتوا ثم قال وان يكذبوك فقد كذب رسل من قبلك جآؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير)فحذف هنا الفاعل وبني الفعل للمفعول اذ المقصود هنا تسلية الرسول وتعزيته لاذكر عقوبة المكذبين

في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب) وقال تعالي (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض فما اغني عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون)وقال لما قص قصص نوح وهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب وموسى في سورة هود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه اليم شديد) ولما ذكر قصة لوط في سورة الصافات قال وانكم لتمرون عليهم مصبحين وباالليل افلا تعقلون وفى سورة الحجر (ان في ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمؤمنين ثم قال وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين) والامام المبين هو الطريق المستبين الواضح • بين سبحانه ان هذه وهذه كلاهما بسبيل الناس يرونها بابصارهم فيعلمون بذلك مافعل الله بمن كذب رسله وعصاهم ودلالة نصر الله للمؤمنين وانتقامه من الكافرين على صدق الانبياء من جنس دلالة الآيات والمعجزات على صدقهم فكون هذا فعل لاجل

في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) ولهذا قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب وقال لمحمد صلي الله عليه وسلم فاصبر ان العاقبة للمتقين فاخبر أن العاقبة للمتقين ثم انه ماوقع لهؤلاء وهؤلاء يعلم بالسمع والنقل نارة ويعلم بالعقل والاعتبار بآثارهم تارة كما قال عن أهل النار(لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في اصحاب السعير كما ذكر الله الطريقين في قوله ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) ثم قال وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد) ثم قال(افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد)وقال تعالى(اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة وآثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوآى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) وقال تعالى (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد قوة وآثارا

السؤال ان كان متوجهاً فانما يقدح في قول هؤلاء لا يقدح فيما علم بالاضطرار من دلالات الآيات المذكورة على حال هؤلاء وهؤلاء وان الله سبحانه وتعالى نجى موسى ونصره لصدقه ونبوته وايمانه واهلك فرعون لتكذيبه • وكذلك نصر محمدا ومن اتبعه على من كذبه من قومه ونصر نوحا على من كفر به ونصر المسيح على من كذبه ونصر سائر الرسل واتباعهم المؤمنين كما قال تعالي (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) كما لا يقدح فيما علم بالاضطرار من ان الله ينزل المطر في ابانه لسقي المزارع وانه يسوق النيل لسقي ارض مصر وانه جعل اعضاء الانسان بما فيها من المنافع كالبطش باليدين والمشي بالرجلين والنظر بالعينين والسمع بالاذنين والنطق باللسان وجعل ماء العين ملحا لكونها شحمة والملوحة تمنعها ان تذوب • وماء الاذن مرا ليمنع الذباب من الولوج في الدماغ • وماء الفم عذباً ليطيب الطعام والشراب وجعل ماء البحر مالحاً ابقاء الانام فانه لو كان عذباً فيموت فيه من الحيوان العظيم فيفسد الريح فيموت الآدميون والبهائم بهذه الريح الى مالا يحصى من حكمة الله المشهودة في خلقه • ونفاة التعليل يقولون نحن نعلم ان هذا مقارن لهذا بحكم العادة التى اجراها الله وان لم يخلق شيئاً لشيء وكذلك من نفى الاسباب مع نفي التعليل ايضاً يقولون نحن نعلم انه يخلق هذا عند هذا لا به فاقتران المعجز بالتصديق من هذا الباب عندهم لكن يبقى عليهم ان هذا لا يعلم الا بالعادة ولا عادة فلا جرم رجعوا الى فطرتهم من ان هذا أمر معلوم بالاضطرار وان كان

هذا أو كون ذلك سبب هذا هو مما يعلم بالاضطرار عند تصور الامر على ماهو عليه كانقلاب العصا حية عقب سؤال فرعون الآية وانشقاق القمر عند سؤال مشركي مكة آية وامثال ذلك والسؤال المشهور الذى يورد فى هذا الموضع على قول من ينفي التعليل في افعال الله او يجوز على الله كل فعل حيث قيل لهم على اصلكم لايفعل الله شيئاً لاجل شىء وحينئذ فلم يأت بالآيات الخارقة للعادة لاجل تصديق الرسول ولم عاقب هؤلآء لتكذيبهم له؟ولم انجا هؤلاء ونصرهم لايمانهم به اذ كان لايفعل شيئاً لشيء عندكم وقالوا لهم ايضاً اذا جوزتم على الرب كل فعل جاز ان يظهر الخوارق على يد الكاذب ويقال لهم ايضاً انتم لاتعلمون مايفعل الرب الا بعادة أو خبر الانبياء فقبل العلم بصدق النبي لايعلم شيء بخبره والعادة انما تكون فيما تكرر كطلوع الشمس ونزول المطر ونحو ذلك والاتيان بالخارق للتصديق ليس معتادا*فيقال في جوابه هذا السؤال ان كان متوجهاً فانما يقدح في قول هؤلآء الذين يقولون لايفعل شيئاً لاجل شيء ويجوزون عليه فعل كل شيء ممكن لاينزهونه عن فعل من الافعال وليس عندهم قبيح وظلم الا ما كان ممتنعاً مثل جعل الشيء موجودا معدوما وجعل الجسم في مكانين ولهذا ذكر ذلك مخالفوهم حجة فى ابطال مذهبهم وقالوا قولهم يقدح في العلوم الضرورية ويسد باب العلم بصدق الرسل قالوا اذا جوزتم ان يفعل كل شيء فجوزوا ان تكون الجبال انقلبت ياقوتا والبحار لبناً ونحو ذلك مما يعلم بالضرورة بطلانه وجوزوا ان يخلق المعجزات على يد الكذابين وليس المقصود هنا الجواب عن هؤلآء بيان فساد قولهم ولكن المقصود ان هذا

لشيء ويخلق شيئاً بشيء وما قالوا من كونه يجوز عليــه فعل كل شيء وكان ما ذكروه من الحق دليــلا علي ان الخلق يعلمون مايعلمونه من حكمة الرب ومراده بمـا يخلقه لامر آخر وانه سبحانه منزه عن ان يفعل شيئاً لايجوز منه فعل كل شيء وهم يقولون هنا قد يكون الشيء ممكناً جائزا مع العلم بانه غير واقع كانقلاب الجبال ياقوتاً والبحر زيبقاً وموت اهل البلد كلهم فى لحظة ومصير الاطفال علماء حكماء في لحظة واحدة وعلى هــذا الجواب يعتمدون كثيرا كما يذكره القاضى ابو بكر والقاضى ابو يعلى وابو المعالي والرازى وغيرهم ثم انهم يقولون فى العقل انه علوم ضرورية كالعلم بوجوب الواجبات وامتناع الممتنعات وجواز الجائزات فالممتنعات كانقلاب دجلة دما وامثال ذلك من الامور العادية فيجعلون العادات واجبة تارة وممتنعة أخري مع انه لاسبب يوجب لاهذا ولا هذا ويقولون نعلم ان هذا جائز ممكن لايتوقف علي سبب ولا له مانع كالآخر ثم نعلم ان هذا واقع وهذا غير واقع لمجرد العادة مع ان خرق العادة ليس له عندهم ضابط بل كل مايخرق من العادات معجزات للانبياء فيجوز ان يكون عندهم للولي وللساحر والفرق بينهما عندهم التحدى أو عدم المعارضة وكذلك المتفلسفة الملاحــدة الذين يقولون اسباب الآيات القوى الفلــكية والقوى النفسانية والطبيعية وهذه كلهــا مشتركة عندهم بين الانبياء والسحرة لــكن النبي يقصد الخير والعدل والساحر يقصد الشر والظلم وكذلك أولئــك الذين وافقوا جهما علي اصله فى القدر لافرق عندهم بين كرامات الاولياء وخوارق السحرة لــكن الولي مطيع لله والساحر غير مطيع لله هذا عمدة هؤلاء النفاة

مناقضاً لاصلهم الفاسد وضربوا له مثلا بالملك الذى اظهر ماينافض عادته لتصديق رسوله ٠ لكن يقال لهم الملك يفعل فعلا لمقصود فامكن ان يقال انه قام ليصدق رسوله وانتم عندكم ان الله لايفعل شيئاً لشيء فلم يبق المثل مطابقاً ولهذا صاروا مضطربين في هذا الموضع تارة يقولون المعجز دل على الصدق لئلا يفضي الى تعجيز الرب فانه لادليل على الصدق الا خلق المعجز فلولم يكن دليلا لزم ان يكون الرب غير قادر على تصديق الرسول الصادق وهذه طريقة الاشعري في اكثر كتبه واحد قوليه وسلكها القاضى ابو بكر احياناً وابو اسحاق الاسفرائني وابو بكر ابن فورك وابو محمد بن اللبان وابو علي بن شاذان والقاضى أبو يعلي وغيرهم والثاني قالوا نحن نعلم بالاضطرار انه فعل هذا لاجل التصديق كالمثل المضروب وهذا هو القول الآخر وهي طريقة أبي الحسن الاشعري في اماليه وهي طريقة ابي المعالي واتباعه كالرازي وغيره وتنازعوا هل يمكن خلق ذلك علي يد كذاب؟ فقيل لايمكن لانه لو امكن لجاز وقوعه وقيل بل هو مقدور لكن نعلم انه لايفعله كما نعلم انه لايفعل كثيرا من الخوارق المقدورات كقلب الجبل ياقوتاً والبحر زيبقاً ٠ قالوا فنحن نجوز اشياء ونعلم بالضرورة انه لايفعلها فلا يلزم من كونها مقدورة ممكنة ان لايعلم انتفاء وقوعها بل قد علم عدم وقوعها بالاضطرار وان كنا نقول أنها ممكنة مقدورة ٠ وظهور المعجزات علي يد الكذاب في دعوى النبوة من هذا الباب عندنا ٠ وقالوا المعجز علم على صدق الانبياء فيمتنع ان يكون الدليل غير مستلزم للمدلول عليه وهذا القول حق لكن منازعوهم يقولون هو يستلزم نقيض مانفوه من كون الله يخلق شيئاً

السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر) وكذلك عاد لما اهلكهم ارسل الريح الصرصر سبع ليال وثمانية ايام حسوماً كما قال تعالى (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية) وكذلك ثمود قال لهم صالح ياقوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تأكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والدين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز وأخذ الدين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود)وكل ماوجد فى العالم من خوارق العادات آيات الانبياء وغيرها لم يأت منهـا شيء الا باسباب تقدمته فآيات موسى من مثل مصير العصى حية كانت بعد ان القاها اما عند أمر الله له بذلك لما ناداه من الشجرة ورأى النار الحارقة واما عند مطالبة فرعون له بالآية واما عند معارضة السحرة لتبتلع حبالهم وعصيهم وكذلك سائر آياته حتي اغراق فرعون كان بعد مسير الجيش وضربه البحر بالعصا وكذلك تفجير الماء من الحجر كان بعد ان ضرب الحجر بعصاه واستسقاء قومه اياه وهم في برية لا ماء عندهم وكذلك آيات نبينا صلى الله عليه وسلم مثل تكثير الماء كان بوضع يده فيه حتي نبع الماء من بين الاصابع اى تفجر المـاء من بين الاصابع لم يخرج من نفس الاصابع وكذلك البئر كان ماؤها يكثر اما

للحكمة والاسباب في افعال الله تعالى • وجمهور الناس يخالفونهم ويقولون هذا القول فاسد بل نفس تصوره كاف في العلم بفساده فانه اذا تماثل هذا وهذا من كل وجه فمن أين يعلم وجودهذا أو وجوبه وعدم هذا أوامتناعه ؟ واذا قيل مستندى العادة • قيل له منازعوك يقولون هذا باطل من وجهين • احدهما انك انت تجوز انتقاض العادة وليس لانتقاضها عندك سبب تختص به ولا حكمة انتقضت لاجلها بل لافرق عندك بين انتقاضها للانبياء والاولياء والسحرة وغير ذلك ولهذا قلتم ليس بين معجزات الانبياء وكرامات الاولياءوالسحرة فرق الا مجرداقتران دعوى النبوة والتحدي بالمعارضة مع عدم المعارضة مع ان التحدى بالمعارضه قد يقع من المشرك بل ومن الساحر فلم يثبتوا فرقا يعود الى جنس الخوارق المفعولة ولا الى قصد الفاعل والخالق ولا قدرته ولا حكمته • والثاني ان العادة لابد لها من اسباب وموانع يعلم بها اطرادها تارة وإنتقاضها أخرى وبهذا يظهر الجواب عما قالوه من ان انقلاب الجبل ذهباً والبحر زئبقاً والاناسى قرودا ونحو ذلك ممكن معلوم الجواز مع العلم بانه لم يقع فانهم يقال لهم الناس لايسلمون لكم ان هذا ممكن الا مع لوازمه وانتفاء اضداده وحينئذ فيقال لم قلتم ان هذ لايستلزم اسباباً تكون قبله وموانع ترتفع كسائر مايحدثه الله من الامور الخارقة للعادة فانه لايحدث شيئاً الا باحداث اسباب ودفع موانع مثال ذلك غرق قوم نوح لم يكن ماء وجد بلا سبب بل انزل الله ماء السماء وانبع ماء الارض كما قال تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه انى مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب

عن الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وكما أخبر عن الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله ماية عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الي حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير) واخبر سبحانه بنظير ذلك في قصة ابراهيم حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهم جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم ان الله عزيز حكيم واستدل سبحانه بما هو أعظم من ذلك وهو النشأة الاولى وخلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقال ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج) فاستدل سبحانه على امكان الاحياء بابتداء خلق الحيوان وبخلق النبات وذكر ذلك فى القرآن في غير موضع وبسط هذا له موضع آخر والمقصود ان قول القائل هذا ممكن لايحتاج الى دليل لا يكفى فى العلم بامكانه عدم العلم بامتناعه والله سبحانه على كل شيء قدير . والممتنع

بالقائه سهماً من كنانته فيها وأما بصبه الماء الذى بصق فيه فيها وكذلك المسيح كان يأخذ من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله الى أمثال ذلك • فاما جبل ينقلب ياقوتا بلا اسباب تقدمت ذلك فهذا لا كان ولا يكون وكذلك نهر يطرد يصبح لبنا بلا اسباب تقتضي ذلك يخلقها الله فهذا لا كان ولا يكون ومن قال ان الشيء ممكن فهذا يعنى به شيئان يعنى به الامكان الذهني والامكان الخارجي فالامكان الذهنى هو عدم العلم بالامتناع وهذا ليس فيه الا عدم العلم بالامتناع وعدم العلم بالامتناع غير العلم بالامكان فكل من لم يعلم امتناع شيء كان عنده ممكناً بهذا الاعتبار لكن هذا ليس بعلم بامكانه ومن استدل على امكان الشيء بانه لو قدر لم يلزم منه محال من غير بيان انتفاء لزوم كل محال كما يفعله طائفه من أهل الكلام كالآمدي ونحوه لم يكن فيما ذكره الا مجرد الدعوى • وأما الثانى وهو العلم بامكان الشيء فى الخارج فهذا يعلم بان يعلم وجوده أو وجود نظيره أو وجود ماهو أقرب الى الامتناع منه فاذا كان حمل البعير للقنطار ممكناً كان حمله لتسعين رطلاً اولى بالامكان وبهذه الطريقة يبين الله في القرآن امكان مايريد بيان امكانه كاحياء الموتى والمعاد فانه يبين ذلك تاره ببيان وقوعه كما اخبر ان قوم موسى قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ثم بعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون وكما أخبر عن المقتول الذي ضربوه بالبقرة فاحياه الله كما قاله واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) وكما اخبر

ذكره الى الساعة وذكر كتابه والبشارة بذلك موجود فى الكتب المتقدمة كما قد بسط فى موضعه وقد تقدم بعض ذلك والخليل دعا به فقال فى دعائه لذريته (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) ولما ولد اقترن بمولده من الآيات ماهو معروف وجرى ذلك العام قصة أصحاب الفيل المشهورة وكان يحصل له فى مدة نشأته من الآيات والدلائل امور كثيرة قد ذكر طرف منها في كتب دلائل النبوة والسيرة وغيرها مثل الآيات التي حصلت لمرضعته لما صار عندها ومثل ما شوهد من أحواله في صغره واما انتصار الله له ولاتباعه واعلاء ذكره ونشر لسان الصدق له واهلاك اعدائه واذلال من يحاده ويشاقه واظهار دينه على كل دين باليد واللسان والدليل والبرهان فهذا مما يطول وصف تفصيله قال تعالى (قد كانت لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار) وقال تعالى (هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار) والانبياء صلوات الله عليهم واتباعهم المؤمنون وان كانوا يبتلون في اول الامر فالعاقبة لهم كما قال تعالى لما قص قصة نوح (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) وفي الحديث المتفق على صحته لما أرسله

ليس بشيء باتفاق العقلاء وكل ماخلقه الله فلا بد ان يخلق لوازمه ويمتنع اضداده وإلا فيمتنع وجود الملزوم بدون اللازم ويمتنع اجتماع الضدين وليس للعباد اطلاع على لوازم كل مخلوق ولا اضداده المنافية لوجوده ٠ فالجزم بامكان وجوده بدون العلم بلوازمه وامكانها واضدادها وانتفائها جهل والله سبحانه قادر على تغيير ماشاءه من العالم وهو يشق السموات ويسير الجبال ويبسها بساً فيجعلها هباء منبثاً الى أمثال ذلك مما اخبر الله به كما يخلق سائر مايخلقه بما يسره من الاسباب وهذا مبسوط في موضع آخر والمقصود هنا ان آيات الانبياء ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث وحين المبعث في حياتهم وبعد موتهم فقبل مثل اخبار من تقدم من الانبياء ومثل الارهاصات الدالة عليه ٠ وأما حين المبعث فظاهر واما في حياته فمثل نصره وانجائه واهلاك أعدائه واما بعد موته فمثل نصر اتباعه واهلاك اعدائه كما قال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وقال للمسيح اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وقال يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) ومحمد صلى الله عليه وسلم جعلت له الآيات البينات قبل مبعثه وحين مبعثه وفي حياته وبعد موته والى قيام الساعة فان

ما يكون من النصر اذ كان الموت لابد منه فالموت على الوجه الذى تحصل بها سعادة الدنيا والآخرة اكمل بخلاف من يهلك هو وطائفته فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لافي الدنيا ولا فى الآخرة . والشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم وفعلوا الاسباب التي بها قتلوا كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم اختاروا هـذا الموت اما انهم قصدوا الشهادة واما انهم قصدوا مابه يصيرون شهداء عالمين بان لهم السعادة في الآخرة وفي الدنيا بانتصار طائفتهم وببقاء لسان الصدق لهم ثناء ودعاء بخلاف من هلك من الكفار فانهم هلكوا بغير اختيارهم هلاكا لا يرجون معه سعادة الآخرة ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا بل اتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين وقيل فيهم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقد اخبر سبحانه ان كثيرا من الانبياء قتـل معه ربيون كثير اي الوف كثيرة وانهم ما ضعفوا ولا استكانوا لذلك بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو وان الله أتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة فاذا كان هذا قتل المؤمنين فما الظن بقتل الانبياء ففيه لهم ولا تباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو من أعظم الفلاح . وظهور الكفار على المؤمنين احيانا هو سبب ذنوب المسلمين كيوم أحد فان تابوا انتصروا على الكفار وكانت العاقبة لهم كما قـد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحمهم مع الكفار وهذا من آيات النبوة واعلامها ودلائلها فان النبي اذا قاموا بعهوده ووصاياه نصرهم

النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً الى ملك الروم فطلب من يخبره بسيرته وكان المشركون حينئذ اعداءه لم يكونوا آمنوا به فقال كيف الحرب بينكم وبينه؟ قالوا الحرب بيننا وبينه سجال يدال علينا المرة وندال عليه الاخرى • فقال كذلك الرسل تبتلي وتكون لها العاقبة • فانه كان يوم بدر نصر الله المؤمنين ثم يوم أحد ابتلى المؤمنين ثم لم ينصر الكفار بعدها حتى أظهر الله الاسلام . فان قيل ففي الانبياء من قد قتل كما أخبر الله ان بنى اسرائيل يقتلون النبيين بغير حق وفي اهل الفجور من يؤتيه الله ملكا وسلطانا ويسلطه على المتدينين كما سلط بخت نصر على بنى اسرائيل وكما سلط كفار المشركين واهل الكتاب احيانا على المسلمين قيل اما من قتل من الانبياء فهم كمن يقتل من المؤمنين في الجهاد شهيداً) قال تعالى (وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) ومعلوم ان من قتل من المؤمنين شهيدا في القتال كان حاله اكمل من حال من يموت حتف انفه قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) ولهذا قال تعالى (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين) أي أما النصر والظفر وأما الشهادة والجنة ثم الدين الذى قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر فيكون لطائفته السعادة في الدنيا والآخرة • من قتل منهم كان شهيدا ومن عاش منهم كان منصوراً سعيدا وهذا غاية

عدوهم تارة هو من دلائل رسالة محمد واعلام نبوته وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم في حياته وبعد موته كما جرى لهم من يوشع وغيره من دلائل نبوة موسى وكذلك انتصار المؤمنين مع محمد صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته مع خلفائه من اعلام نبوته ودلائلها وهذا بخلاف الكفار الذين ينتصرون على أهل الكتاب احيانا فان أولئك لايقول مطاعهم اني نبي ولا يقاتلون اتباع الانبياء على دين ولا يطلبون من أولئك ان يتبعوهم على دينهم بل قد يصرحون بانا انما نصرنا عليكم بذنوبكم وان لو اتبعتم دينكم لم ننصر عليكم وايضا فلا عاقبة لهم بل الله يهلك الظالم بالظالم ثم يهلك الظالمين جميعاً ولا قتيلهم يطلب بقتله سعادة بعد الموت ولا يختارون القتل ليسعدوا بعد الموت فهذا وأمثاله مما يظهر به الفرق بين انتصار الانبياء واتباعهم وبين ظهور بعض الكفار على المومنين او ظهور بعضهم على بعض • وبين ان ظهور محمد وامته على اهل الكتاب اليهود والنصارى هو من جنس ظهورهم على المشركين عباد الاوثان وذلك من اعلام نبوته ودلائل رسالته ليس هو كظهور بخت نصر على بني اسرائيل وظهور الكفار على المسلمين وهذه الاية مما اخبر بها موسى وبين ان الكذاب المدعي للنبوة لايتم امره وانما يتم أمر الصادق فان من اهل الكتاب من يقول محمد وأمته سلطوا علينا بذنوبنا مع صحة ديننا الذي نحن عليه كما سلط بخت نصر وغيره من الملوك • وهذا قياس فاسد فان بخت نصر لم يدع نبوة ولا قاتل على دين ولا طلب من بني اسرائيل ان ينتقلوا عن شريعة موسى الى شريعته فلم يكن في ظهوره اتمام لما ادعاه من النبوة ودعا اليه

الله واظهرهم على المخالفين له فاذا ضيعوا عهوده ظهر أولئك عليهم فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي وجودا وعدما من غير سبب يزاحم ذلك ودوران الحكم مع الوصف وجودا وعدما من غير مزاحمة وصف آخر يوجب العلم بان المدار علة للدائر ٠ وقولنا من غير مزاحمة وصف آخر يزيل النقوض الواردة فهذا الاستقراء والتتبع يبين ان نصر الله واظهاره هو بسبب اتباع النبي وانه سبحانه يريد اعلاء كلمته ونصره ونصر اتباعه على من خالفه وان يجعل لهم السعادة ولمن خالفهم الشقاء وهذا يوجب العلم بنبوته وان من اتبعه كان سعيدا ومن خالفه كان شقياً ومن هذا ظهور بخت نصر على بني اسرائيل فانه من دلائل نبوة موسى اذ كان ظهور بخت نصر انما كان لما غيروا عهود موسى وتركوا اتباعه فعوقبوا بذلك وكانوا اذ كانوا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرهما قال تعالى (وقضينا الي بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا) فكان ظهور بنى اسرائيل على عدوهم تارة وظهور عدوهم عليهم تارة من دلائل نبوة موسى صلى الله عليه وسلم وآياته وكذلك ظهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم على عدوهم تارة وظهور

طاعة الله ورسوله فاذا نقص الايمان بالمعاصى كان الامر بحسبه كما جرى يوم احد وقال تعالى واقسموا الله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفوراً استكباراً في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا بأهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) فاخبر ان الكفار لا ينظرون الا سنة الاولين ولا يوجد لسنة الله تبديل لاتبدل بغيرها ولا تحول فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم؟ وكذلك قال فى المنافقين وهم الكفار فى الباطن دون الظاهر ومن فيه شعبة نفاق (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) والسنة هى العادة فهذه عادة الله المعلومة فاذا نصر من ادعى النبوة واتباعه على من خالفه اما ظاهراً واما باطنا نصراً مستقراً فان ذلك دليل على انه نبي صادق اذ كانت سنة الله وعادته نصر المومنين بالانبياء الصادقين على الكفرين والمنافقين كما ان سنته تأييدهم بالآيات البينات وهذه منها • ومن ادعي النبوة وهو كاذب فهو من اكفر الكفار واظلم الظالمين قال تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ويوم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله) وقال تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه) وقال تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) أو كذب بالحق لما جاء وقال تعالى ومن ظلم ممن افترى على الله

من الدين بل كان بمنزلة المحاربين قطاع الطريق اذا ظهروا على القوافل بخلاف من ادعى نبوة ودينا دعا اليه ووعد اهله بسعادة الدنيا والاخرة وتوعد مخالفيه بشقاوة الدنيا والاخرة ثم نصره الله واظهره واتم دينه واعلا كلمته وجعل له العاقبة واذل مخالفيه فان هـذا من جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة فانه دليل عليها وذاك من جنس خرق العادات التي لم تقترن بدعوى النبوة فانه ليس دليلا عليها وقـد يغرق في البحر امم كثيرة فلا يكون ذلك دليلا على نبوة نبي بخـلاف غرق فرعون وقومه فانه كان آية بينة لموسى وهذا موافق لما اخبر به موسى عليه الصلاة والسلام من ان الـكذاب لايتم امره وذلك بان الله حكيم لايليق به تأييد الـكذاب على كذبه من غير ان يبين كذبه ولهذا اعظم الفتن فتنة الدجال الـكذاب لما اقترن بدعواه الالهية بعض الخوارق كان معها مايدل على كذبه من وجوه • منها دعواه الالهية وهو أعور والله ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن قارىء وغير قارىء والله تعالى لايراه أحد حتى يموت وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه العلامات الثلاث في الاحاديث الصحيحة فاما تأييد الـكذاب ونصره واظهار دعوته دائماً فهذا لم يقع قط فمن يستدل على ما يفعله الرب سبحانه بالعادة والسنة فهذا هو الواقع على ذلك ايضاً بالحـكمة فحـكمته تناقض ان يفعل ذلك اذ الحـكيم لا يفعل هذا وقد قال تعالى (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) فاخبر ان سنة الله التي لا تبديل لها نصر المؤمنين على الـكافرين • والايمان المستلزم لذلك يتضمن

دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبي الكذاب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع كقوله تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين) وقال تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا إن نصر الله قريب) وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالاً يوحى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الدين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا يعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

(فصل) ومما ينبغي ان يعرف ان الادلة نوعان نوع يدل على مجرد العلم بالمدلول عليه • ونوع يحض مع ذلك على الرغبة فيه أو الرهبة منه فالاول من جنس الخبر المجرد • والثاني من جنس الحث والطلب والارادة والامر بالشيء والنهي عنه وذلك كمن علم ان في المكان الفلاني جمادات أو حيوانات أو نبات ليس له فيها غرض لاحب ولا بغض فليس هو بمنزلة من علم ان في المكان الفلاني صديقه وولده ومحبوبه وماله وأهله وأهل دينه وفي المكان الفلاني عدوه ومبغضه ومن يقطع عليه الطريق ويقتله ويأخذ ماله • • وكذلك دلائل النبوة هي كلها تدل على

كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لايهـدى القوم الظالمين) ومن كان كذلك كان الله يمقته ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحـديث الصحيح عن ابي هريرة قال ان الله يملي للظالم فاذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخـذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد) وقال ايضاً في الحديث الصحيح عن ابى موسى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثـل الخامة من الزرع تفيها الرياح تقيمها تارة وتميلها أخرى ومثـل المنافق مثل شجرة الارز لاتزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة فالكاذب الفاجر وان عظمت دولته فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء له فى العالم وهو يظهر سريعاً ويزول سريعاً كدولة الاسود العنسى ومسيلمة الكذاب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم. وأما الانبياء فانهم يبتلون كثيراً ليمحصوا بالبلاء فان الله انمـا يمكن العبد اذا ابتلاه ويظهر أمرهم شيئاً فشيئاً كالزرع قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشـداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضـلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه اي فراخه فآزره أي قواه فاستغلظ فاستوى على سوقـه اى قوايمه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعمـلوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ولهـذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس فاعتبار هذه الامور وسنة الله فى أوليائه وانبيائه الصادقين وفي اعداء الله والمتنبئين الـكذابين ممـا يوجب الفرق بين النوعين وبين

(فصل) ومما ينبغي ان يعلم إن الله اذا ارسل نبياً وأتى باية دالةعلى صدقه قامت بها الحجة وظهرت بها المحجة فمن طالبهم بآ يةثانيةلم تجب اجابته الى ذلك بل وقد لاينبغى ذلك لانه اذا جاء باية ثانية طولب بثالثة واذا جاء بثالثةطولب برابعة فان طلب المتعنتين لاامد لهومعلوم انه من قامت عليه حجة بينة فى مسئلةعلم او حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها لو قال انا لااقبل حتى تقوم عليه حجة ثانيةوثالثة كان ظالماً متعدياً ولم تجب اجابته الى ذلك ولا يمكن الحكام الخصوم من ذلك بل اذا قامت البينة بحق المدعى حكم له بذلك ولو قال المطلوب اريد بينة ثانيةوثالثة ورابعة لم يجب الى ذلك • فحق الله الذى اوجبه على عباده من توحيده والايمان به وبرسله اولى اذ اقام بينة اوجبت على الخلق الايمان برسله ان لايجب اجابة الطالب الى ثانية وثالثة ثم قد يكون فى تتابع الايات حكمة فيتابع تعالى بين الايات كما ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم بايات متعددة لعموم دعوته وشمولها فان الادلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد كان اوكد واظهر وايسر لمعرفة الحق فقد يعرف دلالة احد الادلة من لايعرف الآخر وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا وقد يرسل الانبياء بايات متتابعة ويقسى قلوب الكفار عن الايمان لتتابع الايات اية بعد آية لينتشر ذلك ويظهر ويبلغ ذلك قوما آخرين فيكون ذلك سبباً لايمانهم كما فعل بايات موسي وآيات محمد كما ذكر فى التوراة انه يقسي قلب فرعون لتظهر عجائبه وآياته وكما صد المكذبين عن الايمان بمحمد حتي يعارضوه ويعاندوه ويسعوا فى معارضته والقدح فى آياته فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته فيكون ذلك من تمام

صدق النبي ثم يعلم مايخبر به النبي من الامر والنهى والوعد والوعيد لانه اخبر عن الله بذلك وهو صادق فيما يخبر به فهذا طريق صحيح عام واما اثبات نبوة الأنبياء بما فعله بهم وباتباعهم من النجاة والسعادة والنصرة وحسن العاقبة وما جعله لهم من لسان الصدق ومافعله بمكذبيه ومخالفيه من الهلاك والعذاب وسوء العاقبة واتباعهم اللعنة في الدنيا مع عذاب الآخرة فهذا يدل مع صدق الانبياء على الرغبة في اتباعهم والرهبة من مخالفتهم ففيه العلم بصدقهم والموعظة للخلق والوعظ هو امر ونهي بترغيب وترهيب قال تعالى (ولو انهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم واشد تثبيتاً واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطاً مستقيما) اى ولو انهم فعلوا مايوعظون به ومايؤمرون به وقال (يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابداً ان كنتم مؤمنين) اى ينهاكم الله ان تعودوا لمثله وهذه الطريق اكمل وابلغ في حصول المقصود فانها تفيد العلم بصدقهم والرغبة في اتباعهم والرهبة من خلافهم وتفيد ثبوت صحة الدين الذى دعوا اليه وسعادة اهله وفساد الدين المخالف لدينهم وشقاوة اهله ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المجامع الكبار كصلاة العيد بقاف واقتربت الساعة لما فيهما من بيان ذلك وسورة قاف كان يقراءها في الجمعة فانها جامعة لاثبات النبوات والمعاد مع مافيها من التوحيد واصول الشرائع وبيان حال متبعى الانبياء ومخالفيهم فى الدنيا كما قال تعالى فيها (كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كلٌ كذب الرسل فحق وعيد

الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفاً) بين سبحانه انه انما منعه ان يرسل بالآيات الا تكذيب الاولين بها الذى استحقوا بها الهلاك فاذا كذب بها هولاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال وهذا المعنى مذكور في عامة كتب التفسير والحديث وغيرها من كتب المسلمين وهو معروف بالاسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بأحسان فقد ذكر المفسرون ماروا أهل التفسير والحديث والمسند وغيرهم من حديث الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهباً وان ينحي عنهم الجبال حتى يزرعوا قال فقيل له ان شئت تستأني بهم نجتبي منهم وان شئت ان نؤتيهم الذي سألوا فان كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم قال لا بل استأني بهم فانزل الله هذه الآية (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون رواه أحمد والنساءي من حديث جرير عن الاعمش وروى الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى انبأنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس قال قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن لك قال وتفعلون ؟ قالوا نعم • قال فدعا فاتاه جبريل فقال ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت أصبح الصفا لهم ذهباً فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين • وان شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة • قال بل باب التوبة والرحمة • وروى ابن ابي حاتم وغيره عن مالك بن دينار قال سمعت الحسن يعنى البصرى في قوله (وما منعنا ان نرسل بالآيات

بظهور آياته وبراهينه بخلاف مالو اتبع ابتداء بدون ذلك فانه قد كان يظن انهم قادرون على معارضته وكذلك ايضاً يكون في ذلك من يقينه وصبره وجهاده ويقين من آمن به وصبرهم وجهادهم ماينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة وقد تقتضي الحكمة ان لايرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال كما ذكره الله في كتابه من ان الكفار كانوا يقترحون على الانبياء آيات غير الآيات التي جاؤا بها فتارة يجيبهم الله الى ذلك لما فيه من الحكمة والمصلحة وتارة لا يجيبهم لما في ذلك من المضرة والمفسدة عند جمهور اهل الملل من المسلمين وغيرهم الذين يقولون انه يفعل للحكمة ومن لم يعلل افعاله يرد ذلك الى محض المشيئة ويقول اقترن بالمراد المصلحة والمفسدة عادة وسنة من الله وان لم يفعل هذا لهذا وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ربما طلب تلك الآيات رغبة منه في ايمانهم بها فيجاب بان الآيات لاتستلزم الهدى بل تستلزم اقامة الحجة وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها والله تعالى قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر كما فعل بفرعون وابي لهب وغيرهما لما في ذلك من الحكمة العظيمة كما دل على ذلك القرآن والتوراة وغيرهما وقد تبين انه لايظهرها الالانتفاء الحكمة فيها او لوجود المفسدة قال تعالى (واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لايؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون وقال تعالى (وما منعنا ان نرسل بالآيات

الرسول ملكا لجعله على صورة الرجل اذ كانوا لايطيقون ان يروا الملائكة في صورهم وحينئذ فكان اللبس يقع لظنهم ان الرسول بشر لا ملك وقال تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأوه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا)وهذه الآيات التي اقترحوها لو اجيبوا بها ولم يؤمنوا بها آتاهم عذاب الاستئصال كما تقدم • وأيضاً نهي مما لا يصلح الاتيان بها فان قولهم حتي تفجر لنا من الارض ينبوعا يقتضي تفجير الينبوع بأرض مكة فيصير واديا ذا زرع والله من حكمته جعل بيته بواد غير ذي زرع لئلا يكون عنده ما ترغب النفوس فيه من الدنيا فيكون حجهم للدنيا لا لله واذا كان له جنة من نخيل واعناب ففجر الانهار خلالها تفجيرا كان في هذا من التوسع في الدنيا مايقتضي نقص درجته وانخفاض منزلته . وكذلك اذا كان له بيت من زخرف والزخرف الذهب وأما اسقاط السماء كسفاً فهذا لا يكون الى يوم القيامة وهو لم يخبرهم ان هذا يكون الا يوم القيامة • فقولهم كما زعمت كذب عليه الا ان يريدوا التمثيل فيكون القياس فاسدا وأما الاتيان بالله والملائكة قبيلا فهذا لما سأل قوم موسى ما هو دونه اخذتهم الصاعقة قال تعالي (واذ قلتم ياموسى لن

الا ان كذب بها الاولون (قال رحمة لكم أيتها الامة انا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها اصابكم ما أصاب من قبلكم • وفى الأنجيل ان اليهود طلبوا من المسيح آية من السماء فقال لهم المسيح الامة الفاجرة تطلب آية ولا تعطى الا مثل آية يونان يعني ذا النون وقد كانت الآيات يأتي بها صلى الله عليه وسلم آية بعد آية فلا يؤمنون بها قال تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرناً آخرين ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين) وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) اخبر سبحانه بأن الآيات تأتيهم وما تأتيهم من ايات الا اعرضوا عنها وانهم بتكذيبهم الحق سوف يرون صدق ماجاء به الرسول كما أهلك من قبلهم بذنوبهم التي هى تكذيب الرسول فان الله يقول وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) واخبر بشدة عن قوة كفرهم بأنه لو انزل عليهم كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين وبين سبحانه انه لو جعل

الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم وانهم عبدوا العجل لما قال ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وان الله آتى موسى سلطاناً مبيناً ورفع الطور فوقهم وقال لهم لاتعدوا في السبت واخذ منهم ميثاقا غليظاً كما قال وآتينا موسى سلطاناً مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لاتعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظاً وانهم مع هذا نقضوا الميثاق وكفروا بآيات الله وقتلوا النبيين بغير حق الى امثال ذلك وانه بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله حرم عليهم طيبات احلت لهم فكان في هذا من الاعتبار لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة المكذبة بك الذين لايهتدون اذا جاءتهم الآيات المقترحة التى اقترحوها لم يك في مجيئها منفعة لهم بل فيها مايوجب استحقاقهم عقوبة الاستئصال اذا جاءتهم فلم يؤمنوا بها ولك وتغليظ الامر عليهم فكان ان لاينزل مثل هذه الآيات الموجبة لعذاب الاستئصال اعظم رحمة وحكمة وقد عرض الله على محمد صلى الله عليه وسلم ان يهلك قومه لما كذبوه فقال بل استاني بهم لعل الله ان يخرج من اصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئاً كما في الصحيحين عن عائشة انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم كان اشد عليك من يوم أحد؟ فقال لقد لقيت من قومك وكان اشد مالقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت على وجهى وانا مهموم فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فاذا انا بسحابة قد اظلتنى فاذا فيها جبريل فنادانى

نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثنا كم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) واما انزال الكتاب فقد قال تعالى (يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لاتعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظاً فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربى وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً اليما) بين سبحانه ان المشركين سألوه انزال كتاب وان اهل الكتاب سألوه ذلك وبين سبحانه ان الطائفتين لايؤمنون اذا جاءهم ذلك وانما سألوه تعنتاً فقال عن المشركين ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين • وذكر عن اهل الكتاب انهم سألوا موسى اكبر من ذلك وهو رؤية الله جهرة فقال (يسألك اهل

لما ذكر بني اسرائيل (وقطعناهم في الارض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) وقد قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) فكان من حكمته ورحمته سبحانه وتعالى لما ارسل محمدا ان لا يهلك قومه بعذاب الاستئصال كما اهلكت الامم قبلهم بل عذب بعضهم بدون ذلك من انواع العذاب كما عذب طوائف ممن كذبه بانواع من العذاب كالمستهزئين الذين قال الله فيهم انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الهاً آخر فسوف يعلمون فعذب الله كل واحد بعذاب معروف وكالذى دعى عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال فيه اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فكان يحترس بقومه فجاءه الاسد فتخطى الحلقة حتى اخذه من وسطها فقتله وامثال ذلك مما هو موجود الى زماننا هذا وقال تعالى للكفار قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بايدينا) فاخبر انه يعذب الكفار تارة بعذاب من عنده وتارة بايدى عباده المؤمنين بالجهاد واقامة الحدود وتارة بعذاب غير ذلك فكان يعذبهم بمثل هذه الاسباب مما يوجب ايمان اكثرهم كما جرى لقريش وغيرهم فانهم لما كذبوه لو اهلكهم كما اهلك قوم فرعون ومن قبلهم لبادوا وانقطعت المنفعة بهم عنهم ولم يبق لهم ذرية تؤمن به بخلاف ما اذا عذب بعضهم بانواع من العذاب ولو بالهزيمة والاسر وقتل بعضهم كما عذبوا يوم بدر فان في هذا من اذلالهم وقهرهم ما يوجبه

فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال فسلم علي وقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعثني اليك لتأمرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين؟ فقال بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئاً اخرجاه ولهذا لما طلب من المسيح المائدة كانت من الآيات الموجبة لمن كفر بها عذاباً لم يعذبه احدا من العالمين قال تعالى (اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين) وكان قبل نزول التوراة يهلك الله المكذبين للرسل بعذاب الاستئصال عذاباً عاجلا يهلك الله جميع المكذبين كما اهلك قوم نوح وكما اهلك عاداً وثمود واهل مدين وقوم لوط وكما اهلك قوم فرعون واظهر آيات كثيرة لما ارسل موسي ليبقى ذكرها وخبرها في الارض اذ كان بعد نزول التوراة لم يهلك امة بعذاب الاستئصال بل قال تعالي (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس بل كان بنوا اسرائيل لما يفعلون مايفعلون من الكفر والمعاصي يعذب بعضهم ويبقى بعضهم اذ كانوا لم يتفقوا على الكفر ولهذا لم تزل في الارض أمة من بني اسرائيل باقية قال تعالى

اذ كانوا يستحقون عذاب الاستئصال اذا كذبوا حينئذ ومع وجود المانع وعدم المقتضي لايصلح الفعل على قول الجمهور القائلين بالحكمة ومن لم يعلل فلا يطلب سبباً ولا حكمة أو يطلب سبباً بلا حكمة بل يرد الأمر الى محض المشيئة قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) وهو يعلم ان قلوب هؤلاء كقلوب أولئك الاولين فيكذبون بها فيستحقون بها ما استحقه أولئك كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم قال تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) وقال تعالى كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم وقال تعالى عن اهل الكتاب (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل وقال تعالى (اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة فى الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر) ذكر هذا فى سورة اقتربت التي ذكر فيها انشقاق القمر واعراضهم عن الآيات وقولهم هذا سحر مستمر وتكذيبهم واتباع اهوائهم فقال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل أمر مستقر ثم قال ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر) اي من انباء الغيب وما اخبر به مافيه مزدجر اى مايزجرهم عن الكفر اذ كان في تلك الانباءآت بيان صدق الرسول والانذار لمن كذبه بالعذاب كما عذب المتقدمون ولهذا يقول عقيب القصة فكيف كان عذابى ونذر اى كيف كان عذابى لمن كذب

عجزهم مع بقاءهم والنفوس اذا كانت قادرة على كمال اغراضها فلا تكاد تنصرف عنها بخلاف ما اذا عجزت عن كمال اغراضها فان ذلك مما يدعوها الى التوبة كما يقال من العصمة ان لاتقدر فكان ما وقع بهم تعجيزا وزاجرا وداعياً الى التوبة ولهذا آمن عامتهم بعد ذلك لم يقتل منهم الا قليل وهم صناديد الكفر الذين كان احدهم في هذه الامة كفرعون في تلك الامة كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عن أبي جهل هذا فرعون هذه الامة • وقد ذكر الله لموسى في التوراة اني اقسي قلب فرعون فلا يؤمن بك لاظهر اياتي وعجائبي • بين ان في ذلك من الحكمة انتشار آياته الدالة على صدق انبيائه في الارض اذ كان موسى قد اخبر بتكليم الله له وبكتابة التوراة له فاظهر الله من الآيات ما يبقى ذكرها في الارض وكان في ضمن ذلك من تقسيته قلب فرعون ما اوجب ان اهلكه وقومه اجمعين وفرعون كان جاحدا للصانع منكرا لربوبيته لايقر به فلذلك أتى من الآيات بما يناسب حاله • واما بنوا اسرائيل مع المسيح فكانوا مقرين بالكتاب الاول فلم يحتاجوا الى مثل ما احتاج اليه موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن محتاجا الى تقرير جنس النبوة اذ كانت الرسل قبله جاءت بما ثبت ذلك وقومه كانوا مقرين بالصانع وانما كانت الحاجة داعية الى تثبيت نبوته ومع هذا فاظهر الله على يديه من الآيات مثل آيات من قبله واعظم ومع هذا فلم يأت بآيات الاستئصال التي يستحق مكذبها العذاب العام العاجل كما استحقه قوم فرعون وهود وصالح وشعيب وغيرهم فلهذا يبين الله في القرآن ان هذه الآيات اذا جاءت لاتنفعهم اذ كانوا لايؤمنون بها ولكن تضرهم

كما اخبر فانهم يوم بدر وغيرها هزم جمعهم وولوا الادبار وتلك سنة الله في المؤمنين والكافرين قال تعالى (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لايجدون ولياً ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وحيث ظهر الكفار فانما ذاك لذنوب المسلمين التى أوجبت نقص ايمانهم ثم اذا تابوا فكمل ايمانهم نصرهم الله كما قال تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم) فاذا كان من تمام الحكمة والرحمة ان لا يهلكهم هلاك الاستئصال كما اهلك المكذبين وكانت الآيات التي اقترحوها موجبة لعذاب الاستئصال كما اهلك الامم قبلهم كما قال اكفاركم خير من أولئكم كان ان لا يأتى بما يوجب عذاب الاستئصال مع أتيانه سبحانه بما يقيم الحجة ويوضح المحجة اكمل فى الحكمة والرحمة اذ كان ما أتى به من الآيات حصل به كمال الخير والمنفعة والهدى والبيان والحجة على من كفر وما امتنع منه دفع به من عذاب الاستئصال والهلاك والعذاب العام ما اوجب بقاء جمهور الامة حتى يتوبوا ويؤمنوا ويهتدوا فكان في ارسال محمد صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم الرسل من الحكمة البالغة والمنن السابغة مالم يكن في رسالة رسول قبله صلوات الله عليهم اجمعين والحمد لله رب العالمين كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين

(فصل)جماع الكلام فى النبوة متصل بالكلام في جنس الخبر فان قول القائل انى رسول الله اليكم خبر من الاخبار وكذلك وصول كلامه وأفعاله وآياته الينا هو بالاخبار. والخبر تارة يكون مطابقا لمخبره

رسلي وكيف كان انذاري بذلك قبل مجيئهم يبين صدق قوله الذي اخبرت به الرسل وعقوبته لمن كذبهم ثم ذكر قصة المكذبين كنوح وهود وصالح ولوط الى قوله ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر)فان قوم فرعون كذبوا بجميع آيات موسى وجميع آيات الانبياء قبله وكذبوا بالآيات الدالة على وجود الرب وقدرته ومشيئته اذ كانوا جاحدين للخالق منكرين له فكذبوا باياته كلها ثم قال اكفاركم ايتها الامة التي أرسل فيها محمد خير من اولئكم الذين كذبوا نوحا وهودا وصالحا ولوطا وموسى ام لكم براءة في الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر وذلك ان كونكم لا تعذبون مثل ما عذبوا اذا كذبتم اما ان يكون لكونكم خيراً منهم فلا تستحقون مثل ما استحقوا اولكون الله اخبر انه لا يعذبكم فتكون لكم البراءة في الزبر فتعلمون ذلك بخبره بان مايفعله الله تارة يعلم بخبره وتارة يعلم بسنته وحكمته وعدله • فاما ان تكونوا علمتم هذا من هذا الوجه أو من هذا الوجه هذا ان نظر الى فعل الله الذي لاطاقة للبشر به وان نظر الى قوة الرسول واتباعه فيقولون نحن جميع منتصر فانهم اكثر ومنتصر اقوى من محمد واتباعه كما قال تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئياً أي اموالا ومنظرا فقال تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر أخبر بهزيمتهم وهو بمكة في قلة من الاتباع وضعف منهم ولا يظن احد بالعادة المعروفة ان أمره يظهر ويعلو قبل ان يهاجر الى المدينة وقبل ان يقاتلهم وكان

فيهم من كان يتعمد الكذب ولكن طائفة قليلة من الشيعة عرف انه كان فيها من يتعمد الكذب بخلاف غيرهم من اهل الاهواء كالخوارج فانه لم يكن فيهم من يعرف بالكذب بل يقال هم من اصدق الناس حديثاً والرجل الفاسق المعروف انه يكذب لابد ان يصدق فى بعض اخباره فلا يكون في الناس من لايخبر الا بكذب ولهذا قال تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وفي القراءة الاخرى فتثبتوا فامر بالتبين والتثبت اذا اخبر الفاسق بخبر ولم يأمر بتكذيبه بمجرد اخباره لانه قد يصدق احياناً ولما أمر سبحانه بالتبين والتثبت في خبر الفاسق دل ذلك على انه لايجوز تصديقه بمجرد اخباره اذ كان فاسقاً فقد يكذب ولا يجوز ايضاً تكذيبه قبل ان يعرف انه قد كذب وان كان فاسقاً لان الفاسق قد يصدق وهذا كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا) فامرهم بالتبين والتثبت فى الجهاد وان لايقولوا للمجهول حاله لست مؤمناً يبتغون عرض الحياة الدنيا فيكون اخبارهم عن كونه ليس مؤمنا خبرا بلا دليل بل لهواء انفسهم ليأخذوا ماله وان كان ذلك فى دار الحرب اذا القى السلام وفي القراءة الاخرى السلم فقد يكون مؤمناً يكتم ايمانه كما كنتم انتم من قبل مؤمنين تكتمون ايمانكم فاذا القى اليكم السلام فذكر انه مسالم لكم لامحارب فتبينوا وتثبتوا لاتقتلوه ولا تأخذوا ماله حتى تكشفوا امره هل هو صادق ام كاذب وهذا خبر يتضمن دعوى له فان المدعى مخبر والمنكر مخبر والشاهد مخبر والمقر مخبر وكما

كالصدق المعلوم انه صدق وتارة لا يكون مطابقاً لمخبره كالكذب المعلوم انه كذب وغير المطابق مع التعمد كذب ومع اعتقاد انه صدق لم يكن معذورا كالمفتي بلا اجتهاد يسوغ والمحدث بلا علم يسمى كاذباً أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم كذب ابو السنابل ابن بعكك وقوله لمن قال بطل عمل عامر بن الاكوع لما قتل نفسه خطأ كذب من قال ذلك انه لجاهد مجاهد • وقد تكون المطابقة في عناية المتكلم وقد يكون في افهام المخاطب اذا كان اللفظ مطابقاً لما عناه المتكلم ولم يطابق افهام المخاطب فهذا ايضاً قد يسمي كذباً وقد لا يسمى ومنه المعاريض لكن يباح للحاجة وان كان الخبر لم يحصل به المقصود بل يكون مأمورا بالسكوت عنه الا مع البينة فقد يسمى كاذباً كقوله تعالى لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون) والمقصود هنا ان الخبر قد يعلم انه صدق وقد يعلم انه كذب وقد لا يعلم واحد منهما والعلم بانه صدق له معنيان احدهما ان يعلم انه مطابق لمخبره من غير جهة المخبر كمن اخبرنا بامور نعلم انها حق بدون خبره • والثاني ان يعلم ان المخبر به صادق فيه وقد يجتمع الامران بان يعلم ثبوت ما اخبر به ويعلم انه صادق فيه وقول محمد اني رسول الله هو من هذا الباب كما سنبينه ان شاء الله وكذلك كونه كذبا قد يراد به انه على خلاف مخبره وان كان صاحبه لم يتعمد الكذب وقد يعني به ان صاحبه يتعمد الكذب ولهذا كانت الاحاديث المعلوم بطلانها على نوعين تارة يعلم ان صاحبها تعمد الكذب • وتارة يكون قد غلط والصحابة لم يعرف فيهم من يتعمد الكذب على النبي صلي الله عليه وسلم وكذلك جمهور التابعين لم يعرف

عنه مسئولا) وهــذا نهى عن التكلم بلا علم وهو عام في جميع انواع الأخبار وهو يتناول ما اخبر به الانسان وما قد يعتقده بغير الاخبار من الدلائل والآيات والعلامات ليس له ان يتكلم بلا علم فلا ينفي شيئاً الا بعلم ولا يثبته الا بعلم ولهذا كان عامة العلماء على ان النافي للشيء عليه الدليل على ما ينفيه كما ان المثبت للشيء عليه الدليل على ثبوته وحكى عن بعض الناس انه قال النافي ليس عليه دليل وفرق بعضهم بين العقليات والشرعيات فاوجبه في العقليات دون الشرعيات وهؤلاء اشتبه عليهم النافي بالمانع المطالب فان من اثبت شيئاً فقال له آخر انا لا اعلم هذا ولا أوافقك عليه ولا اسلمه لك حتى تأتي بالدليل كان هذا مصيبا ولم يكن على هذا المانع المطالب بالدليل دليل وانما الدليل على المثبت بخلاف من نفى ما اثبته غيره فقال له قولك خطأ والصواب في نقيض قولك ولم يكن هذا كذا فان هذا عليه الدليل على نفيه كما على ذلك المثبت الدليل على اثباته واذا لم يأت واحد منهما بدليل كان كلاهما متكلما بلا حجة ولهذا كان من اثبت شيئاً أو نفاه وطلبت منه الحجة فلم يأت بها كان منقطعاً في المناظرة واذا اعترض المعترض عليه بممانعة أو معارضة فاجاب عنها انقطع المعترض عليه وثبت قول الاول وان لم يجب عن المعارضة انقطع المستدل اذا كان الدليل الذي يجب اتباعه هو الدليل السالم عن المعارض المقاوم ولو اقام دليلا قطعياً فعورض بما لا يفيد القطع كان له ان يقول ماذكرته يفيد العلم، والعلم لا يعارضه الظن والبينات لا تعارض بالشبهات التي هي من جنس كلام السوفسطائية فهو سبحانه نهى عن الكلام بلا علم مطلقا وخص الكلام على الله بقوله تعالى (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي

نهاهم عن تكذيب المدعى بلا علم نهاهم عن تصديق المنكر المتهم الذي يرمي البريء بلا حجة وتبرئته وتزكيته بلا علم فقال تعالى (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لايحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلآء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب إثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او إثما ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً واثما مبيناً ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) وكذلك نهاهم عن تصديق القاذف الرامي لمن عرف منه الخير فقال (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) وقد قال تعالى ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان

بني آدم على هذا ولهذا لايجوز ان يصدق بخبر منقول عن الرسول أو غيره الا بدلالة تدل على صدقه ولا يجوز ان يكذبه الا بدلالة تدل على كذبه وعلى هذا العلم والدين وقد تكلم العلماء وصنفوا كتباً كثيرة في الجرح والتعديل في الرجال والاحاديث فمن الناس من يعرف بالصدق والضبط فهذا هو العدل المقبول خبره • ومنهم من يكون صدوقا لكنه قد لايحفظ ولا يضبط فيقولون فى مثل هذا هو صدوق تكلم فيه من قبل حفظه • ومنهم من عرف بالكذب واذا روى الحديث من هو سيء الحفظ أو من قد يكذب لم يحكموا بذلك الحديث ولم يثبتوه • ثم تارة يقوم الدليل على كذبه وتارة يتوقفون فيه لايعلمون أصدق أم كذب ومثل هذا لايعتقد ولا يثبت ولا يحتج به كالشاهد الذي شهد للمدعي وليس بعدل مرضي أو هو خصم اومتهم ظنين فهذا اذا ردت شهادته ولم تقبل لم يكن معني ذلك الحكم بكذبه او خطائه بل معنى ذلك انه لاتقوم به حجة ولا يحكم به لعدم العلم بصدقه لا للعلم بكذبه • والمدعى عليه اذا كان صاحب يد أو ذمته بريئة فمعه حجة ترجح جانبه وقد ضم اليها الشارع اليمين كما فى صحيح البخارى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دماء قوم وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه فاذا لم يكن مع المدعي الا مجرد دعواه فجانب المنكر اقوى من جانبه لان معه ان الاصل في الايدى انها محقة والاصل براءة الذمة ولكن قد يكون المدعى صادقا ولا يكون له حجة وهذا كثير جدا فلا يدفع بمجرد الاصل بل بحلف المنكر فيكون يمينه مع الاصل حجة فيكون انكار هذا مقابلا لدعوى هذا كلاهما خبر

بغـير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وان تقولوا على الله مالا تعلمون) ونهى عن اتباع خطوات الشيطان واخبر انه يامر بالقول على الله بلا علم فقال (يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله مالا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) وكذلك ذم من يجادل ويحاج بلا علم كقوله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير) وقال (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير) وقال تعالى ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون وقوله تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا يتناول خبر كل فاسق وان كان كافرا لا يجوز تكذيبه الا ببينة كما لا يجوز تصديقه الا ببينة وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال كان اهل الكتاب يقراؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهـل الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل اليكم ٠ وفي رواية فاما ان يحدثوكم بحق فتكذبوه واما ان يحدثوكم بباطل فتصدقوه وهذا الذي دل عليه الكتاب والسنة من امساك الانسان عما لا يعلم انتفاؤه وثبوته هو مأثور عن غيره من الانبياء كما جاء عن المسيح عليه السلام انه قال الامور ثلاثة أمر تبين رشده فاتبعوه وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اشتبه عليكم فكلوه الى عالمه ٠ وعامة عقلاء

مضت به سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو قول اكثر العلماء ومنهم من يقول اليمين دائماً فى جانب المدعى عليه وكذلك لو كان في دعوى القتل لوث ولطخ وشبهة وهو علامات ترجح جانب المدعي فان أولياء المقتول يحلفون خمسين يميناً ويقضى لهم بذلك عند اكثر العلماء كما مضت بذلك السنة وكذلك في اللعان اذا حلف الزوج وشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ووكدها بالخامسة فقد اقام بينة على دعواه فان التعنت المرأة وشهدت أربع شهادات مؤكدة بالخامسة انه كاذب تعارضت البينتان والشهادتان فلم يحكم بقول واحد منهما لا يحكم بانه قاذف ولا يحكم بانها زانية • وان نكلت فلم تحلف فاكثر العلماء يقولون يحكم بانها زانية وتعذب على ذلك كما دل عليه القرآن لانه اجتمع شهادة الزوج ونكولها عن المعارضة كما اجتمع في القسامة العلامة والايمان وكما اجتمع الشاهد واليمين وكما اجتمع في جانب المنكر الاصل واليمين فهذا ونحوه مما جاءت به الشريعة وبسطه له موضع آخر • والمقصود هنا ان الخبر ان قام دليل على صدقه او كذبه والا بقى مما لم اصدقه ولم نكذبه وأهل العلم بالحديث اذا قالوا هذا الحديث رواه فلان وهو مجروح أو ضعيف أو سيء الحفظ أو ممن لم تقبل روايته ونحو ذلك فهو كقول القائل هذا الشاهد مجروح أو سيء الحفظ أو ممن لا تقبل شهادته وهذا يفيد انه لا يحكم به ولا يفيد الحكم بأنه كاذب بل قد يمكن انه صادق فلا يقال انه كاذب الا بحجة • وان قالوا عن الحديث انه ضعيف فهذا مرادهم اى انه لم يثبت ولا يحتج به ولا يجوز الحكم بصدقه ليس مرادهم انه بمجرد ذلك يحكم بكذب الناقل وينفى مانقله ويقول

لم يعلم صدقه فتعارضا ويرجح المنكر بالاصل فيبقى على ما كان لا يسلم للمدعى ما أدعاه بمجرد دعواه ولا تنقطع مطالبته للمدعى عليه لانه لم يأت بحجة تدفعه فاذا حلف المنكر كانت يمينه حجة فصلت الخصومة وقطعت الدعوى • واذا لم يأت المنكر باليمين بل نكل عنها ولا اتى المدعي بحجة وقف الامر عند أكثر العلماء • وعند بعضهم يقضى على المنكر بالنكول فيجعل نكوله اما بدلا للمطالب واما اقرارا به • والاكثرون يقولون بل يرد اليمين على المدعي الطالب الذى يقول انه يعلم صدق نفسه فيما ادعاه وانه عالم بما ادعاه فيقال له احلف وخذ فان حلف أخذ والا دفع • ثم من العلماء من يرد اليمين في عامة الدعاوى • ومنهم من يحكم بالنكول فان كان المنكر يقول لا اعلم ما أدعى به وكل من الطائفتين يذكر آثاراً عن الصحابة • والمنقول عن الصحابة يدل على التفصيل وهو أظهر الاقاويل وهو انه ان كان المنكر هو العالم دون المدعي كما اذا ظهر فى المبيع عيب وقد بيع بالبراءة فقال المشتري انا لم اعلم به فانه هنا يقال له كما قال عثمان بن عفان لابن عمر رضى الله عنهما احلف انك بعتــه وما به ذا يعلمه فان حلف والا قضى عليه بالنكول كما قضى عثمان على ابن عمر بالنكول عليه • وان كان المدعى يقول انه يعلم ما ادعى به كمن ادعى على آخر ديناً أو عيباً فقال انا لا اعلم ما ادعيته احلف وخذ فانه يقال له كما قال عمر ابن الخطاب انصفك خصمك احلف وخذ • فان لم يحلف لم يعط شيئاً والبينة فى الدعاوى عند اكثر العلماء هى ماتبين الحق وتظهره وتوضحه كالدليل والآية والعلامة فتى ترجح جانب أحدهما حلف مثل ان يقيم المدعي شاهداً فانه يحلف مع شاهده ويقضى له بشاهد ويمين كما

وأفعاله حيث لم يعلموا دليلا قطعياً يثبتها فنفوها وكانت ثابتة في نفس الأمر وقد يكون عند غيرهم دليل قطعي يثبتها ولو قدر عدم علم الناس كلهم بها فلله علم لم يعلمه العباد ولله اسماء استأثر بها في علم الغيب عنده لم يعلمها الناس وليس اذا لم يعلم ثبوت الصفة يجب ان يعلم انتفاؤها بل قد يظن ثبوتها أو انتفاؤها وقد يشك في ذلك فلا يعلم ولا يظن واحدا منهما ٠ والواجب على الانسان ان يقول لما يعلمه اعلمه ولما يظنه اظنه ولما يشك فيه اشك فيه والله تعالى لم يوجب على الانسان ان يقطع بانتفاء شيء إن لم يعلم انه منتف فمن قال انه اوجب علينا القطع بانتفاء مالم نقطع بثبوته ولا انتفائه فقد غلط وهذا بخلاف ما يناقض صفات الاثبات فان هذا يجب نفيه عن الله فقد علم بالادلة العقلية ان الله موصوف بصفات الكمال المناقضة للنقص مثل انه حي قيوم بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه خالق كل شيء وربه ومليكه وانه غني عن كل ماسواه بكل وجه ٠ فكل من قال قولا يناقض هذا علم انه باطل كالذين قالوا ان له شريكا أو ولداً أو انه يشفع عنده الشفعاء بغير اذنه ونحو ذلك ممايناقض الكمال المعلوم له ٠ وما كان من الامور مستلزما لوازم لو كان موجوداً فانه يستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم كالامور التي لو كانت موجودة لوجب ان ينقل نقلا متواتراً شائعاً فانه يقول بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم كما لو قال قائل انه بنى بين العراق والشام أو بين الحجاز والشام مدينة أعظم من بغداد والموصل وأصبهان ومصر دورها ثلاثة أيام ونحو ذلك فانه يعلم كذبه فان هذا مما تتوفر همم الناس على نقله لو كان موجوداً فاذا

ان هذا لم يكن من غير علم منا بهذا النفي بل ان قام دليل على انتفاء ما اخبر به حكمنا بذلك والا سكتنا لم ننفه ولم نثبته فهذا اصل يجب معرفته فان كثيرا من الناس لا يميز بين ما ينفيه لقيام الدليل على نفيه وبين مالم يثبته لعدم دليل اثباته بل تراهم ينفون مالم يعلموا اثباته فيكونون قد قفوا ما ليس لهم به علم وقالوا بأفواههم ماليس لهم به علم وهذا كثير فى أهل الاستدلال والنظر وأهل الاسناد والخبر فمن الاولين طوائف يطلبون الدليل على ثبوت الشيء فاذا لم يجدوه نفوه ومعلوم ان عدم العلم ليس علماً بالعدم • وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود الا اذا كان الطالب ممن يمكنه ذلك اما بعلم او ظن غالب فمن هؤلآء من يقول فى صفات الله مالم يقم دليل قطعي على اثباته والا وجب القطع بنفيه لان صفات الله لا تثبت الا بالقطع • وخالفهم في ذلك جمهور الناس وقالوا كما لا يجوز القطع في الاثبات الا بدليل قطعى فلا يجوز القطع في النفي الا بدليل قطعي على النفي فكما لم يجز ان يثبت الا بعلم فلا ينفى الا بعلم • والنافى عليه الدليل كما على المثبت الدليل قال هؤلآء هذه المسائل مبناها على القطع فانه لا يجوز لنا التكلم فيها بالظن فاذا لم يقم القاطع قطعنا بالنفي • فقيل لهم هذا حجة عليكم فانكم اذا نفيتم مالم تعلموا نفيه تكلمتم بالظن واذا قطعتم من غير قاطع كنتم قد تكلمتم فى القطعيات بلا قاطع نفيا كان الكلام او إثباتاً وليس يعلم فى الادلة الشرعية أو العقلية ان كل مالم يقم دليل سمعي او عقلي على اثباته فانه يجب عليكم نفيه والقطع بنفيه بل تكلمكم بهذا تكلم بلا علم • ومن هنا اخطأ كثير من النظار في نفي كثير من صفات الرب وأحكامه

لم يحج بعد الهجرة الا حجة الوداع ولم يصم الا تسع رمضانات وهكذا يعلمون ان فلانا اخطأ في هذا الحديث على فلان لأنهم قد علموا من وجوه ثابتة ان ذلك الحديث انما رواه على صورة معينة فاذا روى غير الثقة ماينافض ذلك علموا بطلان ذلك وانه أخطأ أو تعمد الكذب مثل مايعلمون كذب من زاد في قول النبي صلى الله عليه وسلم لاسبق الا في خف او حافر او نصل فزاد بعض الناس فيه او جناح لما رأى بعض الامراء عنده حماما فعلموا انه كذب تقربا الى ذلك الامير وكما يعلمون كذب من روى ان مسيلمة وقومه كانوا مؤمنين بالله ورسوله وانما قاتلهم الصديق لكونهم لم يعطوه الزكاة فانهم قد علموا بالتواتر ان مسيلمة ادعي النبوة واتبعه قوم على ذلك وانه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم في حياته يقول من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله فكتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ويعلمون انه كان له مخاريق وانه ظهر كذبه من وجوه متعددة وان أبا بكر الصديق والصحابة قاتلوه على كذبه في دعوى النبوة وقاتلوا قومه على ردتهم عن الاسلام واتباعهم متنبئاً كاذباً لم يقاتلوهم على كونهم لم يؤدوا الزكاة الى ابي بكر ٠ وكذلك الاسود العنسي الذى ادعى النبوة فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقتل في حياته كل منهما عرف كذبه بتكذيب النبي الصادق المصدوق لهما وبما ظهر من دلائل كذبهما مثل الاخبار الكاذبة التي تناقض النبوة ومثل الاتيان بقرآن مختلق يعلم من سمعه انه لم يتكلم الله به وانما هو من تصنيف الآدميين كما قال ابو بكر الصديق لهم لما تابوا من الردة

لم يستفض هذا وينتشر علم ان المخبر به كاذب • وكذا لو ادعي مدع انه يوم الجمعة أو العيد قتل الخطيب ولم يصل الناس يوم الجمعة ولم يستفض هـذا وينتشر أو ادعي انه قتل بعض الملوك علانيـة بين الناس ولم يستفض هذا ولم ينتشر او ادعي انه بعث نبي بين المسيح ومحمد صلي الله عليه وسلم أو بعد محمد جاء بكتاب مثل القرآن او الانجيل واتبعه خلق كثير وكذبه خلق كثير فانه يعلم كذب هذا اذ مثل هذا لابد ان يستفيض وينتشر وكذلك لو ادعى ان قريشاً أو غيرهم عارضوا القرآن وجاؤا بكتاب يماثل القرآن وانهم أظهروا ذلك وابطلوا به حجة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا مما يقطع بكذبه لان مثل ذلك لو وقع لـكان مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله • وكذلك لو ادعي ان محمداً أمر بحج غير البيت العتيق أو أوجب صوم شهر غـير شهر رمضان أو أوجب صلاة سادسة وقت الضحى أو أمر بالاذان والاقامة لغـير الصلوات الخمس أو انه قال علانية بين الناس لابي بكر أو للعباس أولعلي أوغيرهم هذا هو الخليفة من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا او ان علياً دعا الى نفسه في خلافة الثلاثة وأمثال هـذه الامور التي لو وقعت لـكان لها لوازم فيستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم ثم هذه اللوازم منها جلي ومنها خفي يعرفه الخاصة فلهذا كان أهل العلم بأحوال الرسول يقطعون بكذب احاديث لايقطع غـيرهم بكذبها لعلمهم بلوازم تلك الاحاديث وانتفاء لوازمها كما يقطع من يعلم مغازي النبى صلي الله عليه وسلم انه لم يقاتل في غزوة تبوك وان غزوات القتال انمـا كانت تسعة مغازى وانه لم يغز بنفسه الى اليمن ولا العراق ولا جاوز تبوك بعد النبوة وانه

شيئاً من تلك الدلائل وهذا أيضاً ممـا يغلط فيه كـثير من الناس
ينظرون في أنفسهم ومبلغ علمهم فاذا لم يجدوا عندهم ما يوجب العـلم
بذلك الامر جعلوا غيرهم كذلك من غير علم منهم بانتفاء اسباب العـلم
عند ذلك الغير وقد يقيمون حججاً ضعيفة على ان غيرهم لا يعـلم ذلك
مثل مايفعله كثير من الناس بالنظر والاستدلال والاعتبار ومن لم
يساوهم فى نظرهم وادلتهم وقوة اذهانهم لا يعلم ما علموه • وكثير من
الناس يعلم بالاخبار والنقل والاسـتدلال بذلك اموراً كثيرة ومن لم
يشاركهم فيما سمعوه وفيما عرفوه من أحوال المخبرين والمخبر به وكمال
معرفتهم بذلك لا يعلم ماعلموه فلهـذا كان لاهل النظر العقلي طرق
لا يعرفها اهل الاخبار •ولاهل الاخبار السمعية طرق لا تعرف بمجرد
المعقول ولهذا كان لهؤلآء من الطرق الدالة على صدق الرسول ونبوته
والاستدلال على ذلك أمور كثيرة لا يعرفها أهل الحديث والآثار وعند
هؤلآء من الاحاديث المتواترة عنـدهم والآثار المستفيضـة عندهم
ما يعلمون بها صدق الرسول وان كان اولئـك لا يعرفونها بل طرق
معرفة الصانع وتصديق رسوله قـد يكون لـكل قوم منها طريق او
طرق لا يعلمها آخرون وهم مشتركون في الاقرار بالله وبرسوله ولـكل
قوم طرق وادلة غير طرق الآخرين وادلتهم بل ما تواتر عندهم من
أحوال الرسول قد يكون المخـبرون لهؤلآء الذين تواتر عنـدهم ما
أخبروهم به من آياته وشرائعه غير المخبرين لاولئك كما كان الصحابة
المخبرون لاهل الشام بآيات الرسول وبالقرآن وشرائع الاسلام غـير
الصحابة المخبرين لاهل العراق ولـكن خبر هؤلآء يصدق خبر هؤلآء

وعادوا الى الاسلام اسمعوني قرآن مسيلمة فلما اسمعوه اياه قال ويحكم اين يذهب بعقولكم ان هذا كلام لم يخرج من آل • اى لم يخرج من رب • ومثل ما كان يفعله ويأمر به من الفجور والكذب ومثل اطلاع أخص الناس على انه كان يكذب ويستعين بمن يختلق له الكذب ومثل انه كان يعدهم بان جبريل اخبره بانه سينصر فلما حقت الحقائق قال لهم انه لاجبريل لكم فقاتلوا على احسابكم الى أمثال هذه الامور التي تدل على كذب الكاذب • فالصدق له دلائل مستلزمة له تدل على الصدق • والكذب له دلائل مستلزمة تدل على الكذب ولا يجوز الحكم بصدق مخبر ولا بكذب مخبر الا بدليل وما لم يعلم صدقه ولا كذبه ولا ثبوته ولا انتفاؤه فانه يجب الامساك عنه ويقول القائل هذا لم اعلمه ولم يثبت عندي ولا اجزم به ولا احكم به واستدل به ولا احتج به ولا ابني عليه مذهبي واعتقادي وعملي ونحو ذلك • لا يقول هذا اقطع بكذبه وانتفائه وان كنت اقطع ان من أثبته تكلم بلا علم فالقطع بجهل مثبته المعتقد له غير القطع بانتفائه فمن قطع بشيء بلا دليل يوجب القطع قطعنا بجهله وضلاله وخطئه وان لم يقطع بانتفاء ما اثبته في نفس الامر كمن حكم بشهادة مجروح فاسق أمر الله بالتثبت في خبره فمن حكم وقطع بخبره من غير دليل يدل على صدقه حكمنا بان هذا متكلم حاكم بلا علم وان لم يحكم بكذب الشاهد المخبر لكن لايجوز للانسان ان ينفي علم غيره وقطع غيره من غير علم منه بالاسباب التي يعلم بها ويخبر فانه كثيراً ما يكون للانسان دلائل كثيرة تدل على صدق شخص معين وثبوت أمر معين وان كان غيره لا يعرف

هو الحد الاوسط ويعلم من تعلق الحكم به مالم يعلمه غيره • فاجناس العلوم وطرقها منها ماهو مختص • ومنها ماهو مشترك والمشترك منــه مايشترك فيه جنس بني آدم . ومنه ما يشترك فيه نوع منهم وطائفة فهذا أصل جامع ينبغي معرفته لمن تكلم في هذ الباب

(فصل) واذا كان جنس من يخبر الخبر قد يكون كاذباً وقد يكون صادقاً فقد علم انه ليس كل واحد اخبر بخبر يصدق مطلقاً ولا يكذب مطلقاً فلم يقل احد من العقلاء ان كل خبر واحد أو خبر كل واحد يكون صدقاً أو يفيد العلم ولا انه يكون كذبا بل الناس يعلمون ان خبر الواحد قد يقوم دليل على صدقه فيعلم انه صدق وان كان خبر واحد وقد يقوم الدليل علي كذبه فيعلم انه كذب وان أخبر به الوف اذا كان خبرهم عن غير علم منهم بما اخبروا به او عن تواطيء منهم على الـكذب مثل اخبار اهل الاعتقادات الباطلة بالباطل الذى يعتقدونه واما اذا اخبروا به عن علم منهم بما أخبروا به فهؤلآء صادقون في نفس الامر ويعلم صدقهم تارة بتواتر اخبارهم من غير مواطأة ولو كانا اثنين فان الاثنين اذا اخبرا بخبر طويل اسنداه الى علم وقد علم انهما لم يتواطئا عليه ولا هو مما يتفق في العادة تماثلهما فيه في الـكذب او الغلط • علم انه صدق وقد يعلم صدق الخبر الواحد بانواع من الدلائل تدل على صدقه ويعلم صدق خبر الواحد بقرائن تقترن بخبره يعلم بها صدقه • وتلك الدلائل والقرائن قد تكون صفات في المخبر من علمه ودينه وتحريه الصدق بحيث يعلم قطعاً انه لا يتعمد الـكذب كما يعلم علماء اهل الحديث علماً يقينياً قطعياً ان ابن عمر وعائشة وابا سعيد وجابر بن عبد الله وأمثالهم

وان كان كل من الطائفتين لايعلم إعيان اولئك الذين أخبروا اولئك وهكذا سائر العلوم قد يكون الذى علم هؤلآء الفقه او النظر أو النحو أو الطب غير الذى علم هؤلآء وان اشترك الجميع فى جنس الفقه والنظر والنحو والطب وعلم هؤلآء ماعلمه هؤلآء من الاعيان والانواع مع ان طريق هؤلآء ليس طريق اولئك وان اشتركوا في النوع • وعامة ما يعلمه الناس بالحس هو من هذا الباب فان الانسان يحس بأحوال نفسه من جوعه وعطشه وشبعه وريه وحبه وبغضه وشهوته ونفرته وألمه ولذته بل يحس بأعضائه كبطنه وفرجه ولايحس بأحوال غيره ولكن يشتركان فى الجنس العام فيشتركون فى جنس الاحساس بجوعهم وشبعهم وقد يشتركون في غير مايحسونه كاشتراكهم في رؤية الشمس والقمر والهلال والكواكب وقد غلط فى مثل هذا طائفة من المتكلمين في المنطق اليونانى فزعموا ان العلوم التجريبية والتواترية والحدسية ان جعلوها قسما غير التجريبية فان فيهم من يجعل الحدسية نوعا من التجريبية • ومنهم من يجعلها جنسا آخر فزعم هؤلآء ان هذه العلوم مختصة لاتقوم بها الحجة على من لم يعلمها دون الحسيات والوجدانيات والعقليات وليس كذلك بل كما ان هذه تكون مشتركة تارة ومختصة اخرى فكذلك الحسيات فان اهل كل زمان ومكان يعلمون بالحس من أحوال ذلك المكان والزمان وأحوال أهله ما لايشركهم فيه غيرهم وكذلك الوجدانيات فان من ابتلي بالغرائب فى الامور السياسية والبدنية يعلم منها مالا يشركه فيه غيره • وكذلك العقليات فان من الناس من يكون له أصل يقيس به الفرع فيعلم القدر المشترك الذى

تكذيب مثل هذا ابلغ من عادتهم في الاخبار بما راوه وكذلك اذا كذب في قضية وبلغ ذلك من شاهدها. فتوفر الهمم على تكذيب هذا اعظم من توفرها على اخبارهم ابتداء بما وقع فاذا كانت من القضايا التي يمتنع السكوت عن اظهارها. فالسكوت عن تكذيب الكاذب فيها أشد امتناعا وقد تكون الدلائل صفات فيه تقترن بخبره فان الانسان قد يرى حمرة وجهه فيميز بين حمرته من الخجل والحياء وبين حمرته من الحمى وزيادة الدم وبين حمرته من الحمام وبين حمرته من الغضب وكذلك يميز بين صفرته من الفزع والوجل وبين صفرته من الحزن والخوف وبين صفرته من المرض فكما ان سحنته ووجهه يعرف بها احوال بدنه الطبيعية من امراضه المختلفة حتى ان الاطباء الحذاق يعلمون حال المريض من سحنته لايحتاجون مع ذلك الى نبض وقارورة فكذلك تعرف احواله النفسانية هل هو فرح مسرور اومحزون مكروب ويعلم هل هو محب صديق مريد للخير أو هو مبغض عدو مريد للشر كما قيل

تحدثني العينان ما القلب كاتم * والعين تشهد من عيني محدثها
ان كان من حربها أو من اعاديها

وكما قيل ولا خير في الشحناء * والنظر الشزر ثم اذا تكلم دل كلامه على ابلغ مما يدل عليه سيما وجهه كما قال تعالى عن المنافقين (ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) وان معرفتهم بالسيما معلقة المشيئة والمنافق الكاذب يقول بلسانه ماليس في قلبه فيبين انه في لحن قوله يعلم انه كاذب وقال في حق المؤمنين (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) وقال في حق الكافر عتل بعد ذلك زنيم أى له زنمة من الشر

لم يكونوا يتعمدون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا عن ابي بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وامثالهم بل يعلمون علماً يقينياً ان الثورى ومالك وشعبة ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى واحمد بن حنبل والبخارى وابا زرعة وابا داود وامثالهم لا يتعمدون الكذب في الحديث وقد تكون الدلائل صفات في المخبر به مختصة بذلك الخبر أو تنوعه يعلم بها ان ذلك المخبر لا يكذب مثل ذلك الخبر كحاجب الامير اذا قال بحضرته لعسكره ان الامير قد اذن لكم في الانصراف أو أمركم ان تركبوا غدا او قال قد امر عليكم فلانا ونحو ذلك فانهم يعلمون انه لم يتعمد الكذب في مثل هذا وان لم يكن بحضرته فكيف اذا كان بحضرته وان كانوا قد يكذبونه في غير هذا وقد تكون الدلائل سماع من شاركه في العلم بذلك الخبر وأقروه عليه فان العادة كما قد تمنع التواطوأ على الكذب فانها قد تمنع التواطوأ على الكتمان واقرار الكذب والسكوت عن انكاره فما توفرت الهمم والدواعي على ذكره والخبر به يمتنع ان يتواطأ اهل التواتر على كتمانه كما يمتنع في العادة ان تحدث حادثة عظيمة تتوفر الهمم والدواعي على نقلها في الحج او الجامع او العسكر وحيث توجب العادة نقل الحاضرين لما عاينوه ثم لا ينقل ذلك أحد. واقرار الكذب والسكوت عن رده اعظم امتناعا في العادة من الكتمان فان الانسان في العادة قد تدعوه نفسه الى ان يسكت عما رآه وسمعه فلا يخبر به ولا تدعوه نفسه الى ان يكذب عليه ويخبر عنه بما يعلم انه كذب عليه فيقره ولا ينكره اذ كانت عادة الناس الى

وبالعكس وقد روي عن ابن عباس انه قال ان للحسنة لنورا فى القلب وضياء فى الوجه وقوة في البدن وسعة فى الرزق ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة لظلمة في القلب وسوادا في الوجه ووهنا في البدن وبغضا في قلوب الخلق وقد يكون الرجل ممن لا يتعمد الكذب لكن يعتقد اعتقادات باطلة كاذبة في الله أو في رسله أو فى دينه أو عباده الصالحين وتكون له زهادة وعبادة واجتهاد في ذلك فيؤثر ذلك الكذب الذى ظنه صدقا وتوابعه في باطنه ويظهر ذلك على وجهه فيعلوه من الفترة والسواد ما يناسب حاله كما قال بعض السلف لو ادهن صاحب البدعة كل يوم بدهان ان سواد البدعة لفي وجهه • وهذه الامور تظهر يوم القيامة ظهورا تاما كما قال تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وقال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون وقال ابن عباس وغيره تبيض وجوه اهل السنة والجماعة وتسود وجوه اهل البدعة والفرقة والمقصود ان ما في القلوب من قصد الصدق والمحبة والبر ونحو ذلك قد يظهر على الوجه حتى يعلم ذلك علما ضروريا من ابلغ العلوم الضرورية وكذلك ما فيها من قصد الكذب والبغض والفجور وغير ذلك • والانسان يرافق في سفره من لم يره قط الا تلك الساعة فلا يلبث إذا رآه مدة وسمع كلامه ان يعرف هل هو مامون يطمئن اليه أو ليس كذلك وقد يشتبه عليه ذلك فى أول الامر وربما

أي علامة يعرف بها وقد روي عن عثمان بن عفان انه قال ما اسر احد سريرة الا ابداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه • وقد بسطنا الكلام على هذه في مسئلة الايمان وبينا ان مايلزم بالقلب من تصديق وحب لله ورسوله وتعظيم لابد ان يظهر على الجوارح وكذلك بالعكس ولهذا استدل بانتفاء اللازم الظاهر على انتفاء الملزوم الباطن كما في الحديث الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد الا وهي القلب • وكما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لمن رآه يعبث في الصلاة لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه • ومن هذا الباب قوله تعالى (لا تجدقوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وقوله ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء وقوله ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة) فان الارادة التي في القلب مع القدرة توجب فعل المراد • والسفر في غزوة بعيدة لايكون الا بعدة ومن هذا الباب ان عثمان قال لعمر لما شاوره في المراة التي اقرت بالزنا اني أراها تستهل به استهلال من لايعرف انه حرام فانه لما رآها تجهر بما فعلته وتحكيه من غير اكتراث تبين له انها لم تعتقد تحريمه وانه يذم وتعاقب عليه ووافقه عمر وعلي وغيرهما على ذلك والرجل الصادق البار يظهر على وجهه من نور صدقه وبهجة وجهه سيما يعرف بها وكذلك الكاذب الفاجر وكلما طال عمر الانسان ظهر هذا الاثر فيه حتى ان الرجل قد يكون في صغره جميل الوجه فاذا كان من اهل الفجور مصرا على ذلك يظهر عليه في آخر عمره من قبح الوجه ما اثره باطنه

فانه لابد ان يظهر على فلتات لسانه وصفحات وجهه ما يناسب ذلك كما انّ الكاذب الكافر لابد ان يظهر علي وجهه وفلتات لسانه مايناسب ذلك وهذا يكون تارة حين اخباره بما يخبر به وتارة موجودا في غير تلك الحال فان الرجل اذا جاء وقال ان السلطان او الامير أو الحاكم أو الشيخ أو فلانا ارسلني اليكم بكذا فانه قد يقترن بنفس اخباره من كيفيته وحاله مايعلم به انه صادق أو كاذب وان كان معروفا قبل ذلك بالصدق أو الكذب كان ذلك دلالة أخرى وقد يكون ممن يكذب ولكن يعرف انه صادق في ذلك الخبر دع من يستمر على خبر واحد بضعاً وعشرين سنة مع اصناف الناس واختلاف احوالهم. ومما ينبغي ان يعلم ان الناس تختلف احوالهم فى المعرفة والخبرة والنظر والاستدلال فى جميع المعارف فقد يتفطن الانسان لدلالة لايتفطن لها غيره وقد يتبين له مايخفى على غيره حتى الانبياء يتفاضلون كما قال تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) والمقصود ان العلم بصدق الصادق وكذب الكاذب كغيرها من المعلومات قد يكون ضروريا وقد يكون كسبياً نظرياً وهو ليس من الضروريات الكلية الاولية كالعلم بان الواحد نصف الاثنين بل من العلم بالامور المعينة كالعلم بحمرة الخجل وصفرة الوجل وعدل العادل وظلم الظالم ونحو ذلك مما يعرفه الخبير بذلك علما ضرورياً واذا كان استدلاليا فالمعرفة بالعلم لاتحصل بمجرد وجود الدليل فى نفسه بل لابد من معرفة القلب به والناس متفاضلون في ذلك والدليل ابدا هو ما استلزم المدلول

غلط لكن العادة الغالبة أنه يتبين ذلك بعد لعامة الناس وكذلك الجار يعرف جاره والمعامل يعرف معامله ولهذا لما شهد عند عمر بن الخطاب رجل فزكاه آخر قال هل انت جاره الادني تعرف مساءه وصباحه؟ قال لاقال هل عاملته في الدرهم والدينار اللذين يمتحن بهما امانات الناس قال لاقال هل رافقته في السفر الذي تنكشف فيه اخلاق الناس؟ قال لاقال فاست تعرفه وروي انه قال لعلك رأيته يركع ركعات في المسجد وذلك ان المنافق قد يظهر الصلاة فمن لم يخبره لا يعرف باطن امره كما قيل

ذئب تراه مصليا * فاذا مررت به ركع
يدعو وجل دعائه * ما للفريسة لا تقع
واذا الفريسة خيات * ذهب التنسك والورع

فاذا كان كذلك فمن نباه الله واصطفاه للرسالة كان قلبه من افضل القلوب صدقا وبرا ومن افترى على الله الكذب كان قلبه من شر القلوب كذبا وفجورا كما قال عبد الله ابن مسعود ان الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لرسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب اصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبة نبيه واقامة دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء وقال عبد الله بن مسعود من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا يؤمن عليه الفتنة أولئك اصحاب محمد ابر هذه الامة قلوباً واعمقها علما واقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم واذا كان من اعظم بل اعظم اهل زمانه صدقا وبرا

ولى او ساحر وانما يفرق بينهما دعوى النبوة مع التحدى وعدم المعارضة ومنهم من ينكر خرق العادة ان يظهر على يد غير نبي ومنهم من لا يفرق بين الولي والساحر الا ببر هذا وفجور هذا ومنهم من يطرد ذلك فى النبي لا سيما متفلسفة اليونان منهم فانهم من اجهل الناس بامر النبوة اذ كانوا لم يأخذوها من العلم بصدق الانبياء وما جاؤا به من الآيات والبراهين والعلم بصفاتهم وانما اخذوها من القياس على المنامات فجوزوا فيها مثل ما يجوز على النائم من الاحلام والتخييل وما يصيب اهل المرة السودا مما يشبه ذلك وهذا هو الموجود فى عامة اتباع ارسطو ولكن متأخروهم كابن سينا ضم الى ذلك تصرفه في هيولي العالم لما بلغه من خوارقهم الفعلية التى لم يكن يعرفها اولئك اذ كان علم ارسطو هو بما كان يعلمه قومه من اليونان وهم أمة من أولاد يافث لم يكن فيهم ما فى أولاد سام كهود وصالح وغيرهما ثم أولاد ابراهيم الخليل الذي وعده الله ان يجعل في ذريته النبوة والكتاب حتى يكون علم النبوة مشهورا فيهم وقد جعل الله تعالى من زمن الخليل في ذريته النبوة والكتاب كما أخبر بذلك في القرآن وهم يعني الفلاسفة لم يكونوا من ذريته ولا كانوا خبيرين باحوال ذريته وقد ذكر طائفة منهم كمحمد بن يوسف العامرى وصاعد بن عباد الاندلسى ان اساطينهم اربعة ابندقاس ثم فيثاغورس ثم سقراط ثم افلاطن قدموا الشام واستفادوا من بنى اسرائيل ولهذا لم يكن من هؤلاء من قال بقدم العالم بخلاف ارسطو قالوا فانه لم يقدم الشام وذكر هؤلاء كمحمد بن يوسف العامري وغيره ان اول من لقب بالحكمة لقمان وان ابندقلس استفاد منه ومن اتباع داود

فكل ما كان مستلزما للشيء كان دليلا عليه لكن لا بد من معرفته ومعرفة انه مستلزم ثم اذا حصل العلم صار ضروريا وقد يكون ضروريا بلا واسطة دليل معين وليس العلم بالمغيبات كالعلم بصدق هذا وكذب هذا مما يحتاج فيه الى القياس الشمولي فان ذلك انما يفيد بتوسط قضية كلية والمعينات قد لا يحتاج فيها الى ذلك وان كان لابد فيها من خبره بحال ذلك المعين واذا كان القائل اني رسول الله إما ان يكون من خيار الناس وأصدقهم وأبرهم وأفضلهم وأما ان يكون من شرار الناس واكذبهم وأفجرهم والفرق بين هذين يكون من وجوه كثيرة لا تكاد تنضبط كل منها يعرف به صدق هذا وكذب هذا وكانت المعرفة بذلك قد تحصل عند سماع خبر هذا وخبر هذا ورؤية وجهه وسماع كلامه وما يلزم ذلك ويقترن به من بهجة الصدق ونوره ومن ظلمة الكذب وسواده وقبحه فتبين بذلك ان كثيراً من الناس يحصل لهم علم ضروري بان هذا النبي صادق وهذا المتنبي كاذب بمثل ذلك من قبل ان يروا خارقاً للعادة منفصلا عنه وقول بعض المتكلمين مالم يكن خارقا للعادة فلا اختصاص للنبي به فلا يدل • فيقال له لفظ خرق العادة لفظ مجمل وان نفس دعوى النبوة صدقا وكذبا ليس هو أمراً معتادا ولم يقع هذا الا في أفراد من العالمين وهو اقل بكثير من الاخبار بالمغيبات فان هذا أكثر في الوجود من دعوى النبوة اذ كل نبي يخبر بالمغيبات وليس كل من أخبر بها كان نبياً وهؤلاء الذين يقولون هذا يقول اكثرهم اوكثير منهم ان دعوى النبوة والتحدي والمعجز مجموعها هو المختص بالنبي والا فهم يقولون ان ما كان معجزة لنبي جاز ان يظهر على يدي

قد نعلم ذلك بلا تكرر وجعلت ذلك من باب الدلالة الوضعية كدلالة اللفظ على قصد المتكلم وقلت قد نعلم قصده اضطرارا من غير سبق مواضعه وهذه العلوم الضرورية التي ذكرت انه يعلم بها صدق الرسول وان كانت حقاً فجمهور الناس يقولون انك لم تقر بلوازمها من كونه يفعل لاجل كذا ويقولون القول بانه خالق المعجزة له قصد التصديق مع القول بانه لا يخلق شيئاً لاجل شيء تناقضا ه فقلت لا يشترط في العلم الضرورى العلم بانه يفعل كذا لاجل كذا فقيل لك هب انه كذلك لكن لا يحصل العلم الضرورى مع العلم بما يناقضه والمقصود ان ما يذكره هؤلاء وامثالهم من النظار بل وعامة الناس هم فيما يثبتونه من العلم والحقائق المعلومة اشد منهم واصوب فيما ينفونه فان الانسان بما يثبته اعلم منه بما ينفيه وشهادته على الاثبات اقوى من شهادته على النفي وان كان النفي قد يكون معلوما لكن غلط الناس فيما ينفونه ويكذبون به اكثر من غلطهم فيما يثبتونه ويصدقون به ولهذا قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تاويله) ولهذا تجد من سلك طريقاً من الطرق اما فى اثبات العلم بالصانع واما في العلم بالنبوة او العلم بالمعاد او غير ذلك واحد يقول لا طريق الا هذا الطريق يخطيء في النفي اكثر من خطأ في الاثبات ومنهم هؤلاء فانهم قد ينفون من العلم والطرق مايعلمه غيرهم بالاضطرار ويثبتون مايقولون انه معلوم بالاضطرار وقد يكون غيرهم اصوب فيما يثبته منهم فيما ينفونه بل وفيما يثبتونه ولهذا كان الذين اتفقوا انه لا طريق الا المعجزات يتنوعون في وجه دلالتها فيثبت هؤلاء وجها يستدلون به وينفون طريق غيرهم وبالعكس فاذا

عليه السلام فانه كان في زمن داود واذا كان هذا قول هولاء النظار من اهل الكلام والفلسفة فمجرد خارق العادة عندهم ليس وحده مستلزما للنبوة حتى يكون وحده دليلا بل لابد ان ينضم الى ذلك التحدى وعدم المعارضة ولهذا لما اختلف قول طائفة منهم كابي الحسن واتباعه هل يجوز ظهور الخارق على يد الكاذب ؟ فقيل لايجوز لانه علم النبوة فيمتنع ان يتخلف عنه مدلوله كسائر الادلة . وقيل بل يجوز ولكن الله لايفعله ثم قيل لانه يستلزم عجزه عن تصديق الرسول اذ لاطريق لنا اليه الا المعجز عندهم وقيل بل هو مقدور ممكن ولكن نحن نعلم اضطرارا انه لايفعله مثل كثير مما يمكن في العادة ونعلم ان الله لا يفعله وجميع من جمع بين القولين وقال مجموع مايدل على النبوة وهو الخارق السالم عن المعارض مع التحدى يمتنع ان يكون لغير نبي بخلاف جنس الخارق . فقيل له هذا الامتناع اما ان يكون عاديا واما ان يكون لاستلزامه العجز عن تصديق النبي وذلك ممتنع فانما كان ممتنعاً لاستلزامه امراً ممتنعاً واذا كان انقلاب العادة ليس عندك ممتنعاً فلا بد لك من ذلك الجواب وهو القول بانا نعلم ضرورة ان ذلك لم يكن ثم اذا علمت ان هذا علم ضروري وان العلم بدلالتها على الصدق أمر ضروري كالمثل الذي ضربته في ارسال الملك رسولا وقول رسوله ان كنت صادقا فغير عادتك بقيامك ثم قعودك ففعل ذلك عقب سؤال الرسول فان ذلك يوجب العلم الضروري بصدق الرسول . وقيل لك الملك نعلم عادته و نعلم انه فعل ذلك للتصديق والرب عندك لم يخلق شيئاً لشيء . فقلت بل يخلق شيئاً مقارنا لشيء كالعاديات وهذا منها فقيل لك العاديات قد تكررت فعلمت

كذبه فكل مايدل على كذب الكاذب لايدل على صدق الصادق وبالعكس فان دليل الكذب مستلزم له ودليل الصدق مستلزم له وهما ضدان يمتنع ان يكون مدعي النبوة نبياً صادقا او متنبئاً كاذباً والضدان لايجتمعان فيمتنع ان يكون شيء واحد يدل على الضدين فتبين ان دليل الصدق يمتنع ان يدل على الكذب ودليل الكذب يمتنع ان يدل على الصدق وهذه القاعدة ينتفع بها في مواضع • منها ان كثيراً من الناس اذا رأوا الكاذب وسمعوا كلامه تبين لهم كذبه تارة بعلم ضروري وتارة بعلم استدلالي وتارة بظن قوى وكذلك النبي الصادق اذا رأوه وسمعوا كلامه فقد يتبين لهم صدقه بعلم ضروري أو نظري وقد يكون أولا بظن قوي ثم يقوى الظن حتى يصير يقينياً كما في العلوم بالاخبار المتواترة والتجارب فان خبر الاول يفيد نوعا من الظن ثم يقوى بخبر الثاني والثالث حتى يصير يقينياً وهذه الطريق سلكها طوائف من الناس وممن نبه على ذلك القاضي عياض قال القاضي عياض اذا تأمل المتأمل المنصف ماقدمنا من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته قال وكفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبدالله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب رواه غير واحد كعبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيي بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن ابي

قالوا ما سوى الخارق للعادة ليس يختص بالنبي فلا يدل على نبوته • قيل
لهم الدليل هو الذي يكون مستلزماً للمدلول يلزم من تحققه تحقق المدلول
ولفظ الخارق للعادة فيه اجمال كما تقدم وحينئذ فنفس انباء الله للنبي
واصطفائه لرسالته واقداره على التلقي من الملك هو من خوارق
العادات وذلك من المعجزات التي اعجز الله الخلق ان يفعلوه وهو
مختص بالانبياء وهذا الوصف اجل وأعظم قدرا من غيره من الخوارق
والمستلزم لهذا الخارق لا يكون الا خارقا وهو الدليل اذ يلزم من ثبوت
الملزوم ثبوت اللازم ومن انتفاء اللازم انتفاء الملزوم والمعتاد الذى
يوجد بدون النبوة لا يكون دليلا • وأما ما لا يوجد الا اذا وجدت النبوة
فهو دليل فقد تبين ان كل ما يدل على صدق الرسول وهو خارق للعادة
يكون آية ونبوة على صدقه وأما ما يكون خارقا للعادة ولا يستلزم النبوة
فليس يكون دليلا وقد يكون الشيء معتادا بدون النبوة ومع النبوة يكون خرقا
للعادة بحيث يكون وجوده مع النبوة خرقا للعادة بخلاف وجوده مجرداً عنها
لان النبوة خرق للعادة فلا يكون مستلزماً لها إلا خارق للعادة فقول
القائل لا يعلم صدقه الا بالمعجزة وهو الخارق للعادة ان أراد به المعنى
العام وهو ما يستلزم صدقه بطل تخصيصه ذلك بما يخالفه منفصلا عنه
من الآيات • وان أراد بذلك نوعا مخصوصاً مع اشتراك الجميع فى الدلالة
ظهر بطلان قوله • واما ما يوجد بدونها كما يوجد معها كالامور التي تكون
للصادق في دعوى النبوة والكاذب فى دعوى النبوة فهذه لا تدل وما
يظهره الله على يد النبي من الانواع التي بها يعرف صدقه ليس فيها
شيء يكون للكاذب بل الكاذب لا يكون له من الادلة الا ما يستلزم

بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فقال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الامى انه لا يأمر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شر الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفى بالعهد وينجز بالموعود وأشهد انه نبي • وقال نفطويه فى قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار) هو مثل ضربه الله لنبيه يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآناً كما قال ابن رواحة

لولم يكن فيه آيات مبينة ۞ كانت بديهته تأتيك بالخبر

قلت وايمان خديجة وابي بكر وغيرهما من السابقين الاولين كان قبل انشقاق القمر وقبل اخباره بالغيوب وقبل تحديه بالقرآن لكن كان بعد سماعهم القرآن الذى هو نفسه آية مستلزمة لصدقه ونفس كلامه وأخباره بانى رسول الله مع مايعرف من أحواله مستلزم لصدقه الى غير ذلك من آيات الصدق وبراهينه بل خديجة قالت له كلا والله لايخزيك الله ابداً انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرئ الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق فكانت عارفة بأحواله التي تستلزم نفى كذبه وفجوره وتلعب الشيطان به • وابو بكر كان من أعقل الناس وأخبرهم وكان معظماً في قريش لعلمه واحسانه وعقله فلما تبين له حاله علم علماً ضرورياً انه نبي صادق وكان أكمل أهل الارض يقيناً علماً وحالاً وكذلك هرقل ملك النصارى لما أرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام سأل عن عشرة خصال كما فى الصحيحين عن ابن عباس قال حدثنى ابو سفيان بن حرب من فيه الى في قال انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم هدنة قال فبينا انا

اوفي عن عبد الله بن سلام وعن ابى رمثة البلوى قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله وروى مسلم في صحيحه وغيره عن ابن عباس ان ضمادا قدم مكة وكان من ازد شنوءة وكان يرقي من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون ان محمداً مجنون. فقال لو اني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدى. قال فلقيته فقال يامحمد اني ارقى من هذه الريح وان الله يشفي على يدى من شاء الله فهل لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله أما بعد فقال اعد علي كلماتك هؤلاء فاعادهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك على الاسلام فبايعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومى. الحديث. وقال جامع بن شداد كان فينا رجل يقال له طارق فاخبر انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه؟ قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لاندرى من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر ولا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله اليكم يأمركم ان تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا. وفي خبر الجاندى ملك غسان لما

عن اتباعه اضعفاؤهم ام اشرافهم فقلت بل ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال ؟فزعمت ان لا فقد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب ويكذب على الله • وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له فزعمت ان لا فكذلك الايمان اذا خالط بشاشة القلوب وسألتك هل يزيدون ام ينقصون ؟فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل قاتلتموه فزعمت انكم قاتلتموه فيكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة وسألتك هل يغدر فزعمت ان لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت ان لا فقلت لو قال هذا القول أحد قبله قلت رجل ائتم بقول قيل قبله ثم قال بم يأمركم؟قلت يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف قال ان يكن ما تقول فيه حقاً انه لنبي وقد كنت اعلم انه خارج ولم اكن اظنه منكم ولو اعلم اني اخلص اليه لاحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ماتحت قدمي ثم دعى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا فيه

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فانما عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله فان

بالشام اذ جيء بكتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل
قال وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه الى عظيم بصرى فدفعه عظيم
بصرى الى هرقل فقال هرقل هل هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي
يزعم انه نبي ؟قالوا نعم قال فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على
هرقل فاجلسنا بين يديه قال ايكم اقرب نسبا من هذا الرجل الذي
يزعم انه نبي • قال ابو سفيان فقلت انا؟ فاجلسوني بين يديه واجلسوا أصحابي
خلفي فدعا بترجمانه فقال قل لهم اني سائل هذا عن هذا الرجل الذي
يزعم انه نبي فان كذبني فكذبوه قال فقال أبو سفيان وايم الله لولا
مخافة ان يؤثر علي الكذب لكذبت عليه ثم قال لترجمانه سله كيف
حسبه فيكم قال قلت هو فينا ذو حسب قال فهل كان من آبائه من
ملك ؟قلت لا • قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال
قلت لا قال ومن اتبعه أشراف الناس ام ضعفاؤهم ؟ قلت بل ضعفاؤهم
قال ايزيدون ام ينقصون؟ قلت لا بل يزيدون • قال فهل يرتد أحد منهم
عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له؟ قال قلت لا قال فهل قاتلتموه؟ قلت نعم
قال فكيف كان قتالكم اياه؟ قال قلت يكون الحرب بيننا وبينه سجالا
يصيب منا ونصيب منه . قال فهل يغدر؟ قلت لا ونحن منه على مدة
ماندري ماهو صانع فيها. قال فوالله ما امكنني من كلمه ادخل فيها شيئاً
غير هذه • قال فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قال قلت لا قال لترجمانه
قل له اني سألتك عن حسبه فزعمت انه فيكم ذو حسب وكذا الرسل
تبعث في احساب قومها وسألتك هل كان من آبائه من ملك فزعمت
ان لا فقلت لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك ابيه • وسألتك

وهؤلاء يشبهون الذين قال الله فيهم (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احساناً وتوفيقاً اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغاً) وقد اخبر الله انه جعل للأنبياء من يعاديهم من الانس والجن فقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون افغير الله ابتغي حكما وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم) وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً) وهؤلاء الذين عندهم ماينافض بعض ما أخبرت به الرسل هم ثلاثة أصناف أهل التخييل من الملاحدة المتفلسفة والباطنية الذين يقولون إن الرسل أخبروا من أمر الايمان بالله واليوم الآخر بما يخالف الحق في نفس الامر فخيلوا الى الجمهور ماينتفعون به ويعدون هذا من فضائل الرسل وقد بسط الرد على هؤلاء في غير موضع • وأهل التحريف والتأويل الذين يأولون كلامهم على ما يخالف مرادهم ويزعمون انهم

تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) وفي رواية فماذا يأمركم به قال يأمرنا ان نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الامانة فقال هذه صفة نبي وما استدل به ملك النصارى هرقل من العلم بصفاته هو استدلال على عينه فان الناس في النبوة على درجات ٠٠ منهم من يحتاج الى ان يعلم جنس النبوة فيصدق بجنس الرسل من البشر لا يكذب بالجنس كما كذب بذلك من كذب به من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ولهذا يقول تعالى (كذب قوم نوح المرسلين كذبت عاد المرسلين كذبت ثمود المرسلين لان تكذيبهم لم يكن لشخص واحد بل كانوا مكذبين لجميع الرسل وهؤلاء يخاطبهم الله في السور المكية كقوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) فاحتج بانزال كتاب موسى لما تواتر في خبره من الآيات الباهرات الدالة على صدقه والانجيل تبع للتوراة ثم قال (وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه) لما قام من الآيات الدالة على نزوله ولهذا يذكر سبحانه في السور المكية من تثبيت أمر الرسل وآياتهم وبراهينهم ونصرهم وحسن عاقبتهم ومن ضلال مخالفيهم وجهلهم وغيهم وخذلانهم وسوء عاقبتهم ما فيه عبرة ٠ ومن الناس من يقر بالرسل في الجملة لكن لا يؤمن بما يجب من حقيقة ارسالهم كالملاحدة واهل البدع الذين يعظمون الانبياء مع اعتقادهم في الباطن ما يناقض بعض ما جاؤا به لشبهات انعقدت في قلوبهم ظنوها علوماً عقلية وهي مناقضة لما اخبرت به الرسل فيحتاجون الى ان يوفقوا بينهما

الامور التي لاتقبل النسخ كالاخبار عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فهذا مما لايمكن اختلاف الانبياء فيه اذ كان كل ما يخبر به النبي فهو صدق والاخبار الصادقة لاتتناقض ولا تقبل النسخ ولكن قد يكون بعض الانبياء اعلم ببعض ذلك من بعض وفي كلام بعضهم من الاخبار ببعض ذلك ماليس فى كلام بعض وما اخبر به محمد صلى الله عليه وسلم هو اكمل واكثر مما اخبر به موسى والمسيح صلوات الله وسلامه عليهم وقد يظن بعض الغالطين تناقض بعض اخبار الانبياء كما يظن بعض الغالطين معارضة العقل لما اخبروا به وهذا ممتنع بل لابد ان يكون المعارض العقلي خطأ ليس بمعقول صحيح أوالسمعي لم يثبت عنهم ولفظه أو دلالته وكذلك الاخبار لابد ان يكون أحد الخبرين كذباً أو غير دال على مناقضة الخبر الآخر . وأما الاصول الجامعة كالامر بعبادة الله وحده لاشريك له وبر الوالدين والصدق والعدل وتحريم الاجناس الاربعة وهي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق والاشراك بالله وان يقال عليه غير الحق وذلك مثل ما ذكر في سورة الانعام والاعراف وبني اسرائيل • وقد تنازع الناس في مثل هذا هل يمكن نسخه وتنوع الشرائع فيه ؟ على قولين فمن جوز ان يأمر الله بكل شيء وينهى عن كل شيء رد ذلك الى محض المشيئة لا الى صفات تقتضي الامر بهذا دون هذا فانهم جوزوا دخول النسخ فى هذا وتنوع الشرائع فيه كما يقوله جهم بن صفوان والاشعرى ومن وافقه من اصحاب مالك والشافعى واحمد وان كانوا قد يقولون انه لم يقع فيه نسخ • واما جمهور الناس من السلف والخلف فانهم

أرادوا ذلك المعنى مع أنه ليس في كلامهم ما يدل على ارادة ذلك المعنى بل كلامهم يدل على ارادة خلافه • وأهل التجهيل الذين يقولون ذلك الكلام ليس له معنى يعلمه الرسول ولا غيره وانما هو يعلمه الله وحده وهذان القولان يقول بكل منهما طوائف معظمين للرسل وقد تبين فسادهما في غير هذا الموضع . واما من قال ان الرسل وغيرهم يعلمون المعنى الذي بينه الله لهم بكلامه ولكن استأثر الله بعلم أمر آخر لا يعلمونه كما استأثر بعلم غيب الساعة فهذا قول السلف والأئمة وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا ان الكلام في النبوات تارة في جنسها وتارة في شخص النبي المعين وهرقل ملك الروم لم يكن محتاجاً الى الايمان بجنس النبوات فانه كان من اهل الكتاب واهل الكتاب يقرون بجنس النبوة فانهم يقرون بنبوة نوح والخليل وموسى وانبياء بني اسرائيل والنصارى تقر مع ذلك بالمسيح والانجيل • والذين يحتاجون الى معرفة النبي المعين نوعان نوع عرفوا انه يبعث نبي وقد يعرفون بعض نعوته فيحتاجون ان يعرفوا عينه وهرقل وامثاله من اهل الكتاب كانوا من هذا النوع فكانوا يعلمون ان نبياً سيبعث وانما كان حاجتهم الى ان يعرفوا هل هو هذا النبي المذكور ام غيره ؟ فيكون ما يحتاجون اليه من دلائل صدقه أيسر مما يحتاج اليه من لا يؤمن بالرسل أو لا يعرف ان نبياً سيبعث ومن كان يعلم جنس الرسل ولا يدرى هل يبعث نبي ام لا يحتاج ان يعلم ان هذا المعين هل هو من جنس الانبياء الصادقين أو من جنس المتنبئين الكاذبين وهذا يعرف بما يخصه من آيات صدقه وباعتبار ماجاء به الانبياء قبله فان اصول ذلك مما لا يمكن اختلاف الانبياء فيه وهي

﴿ يقول مصححاه وناشراه ﴾

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات • والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الرسل المبعوث رحمة لكافة المخلوقات • وبعد فقد تم طبع كتاب الجواب الصحيح • لمن بدل دين المسيح • تصنيف الامام الحجة الثقة المحدث المجتهد تقي الدين احمد بن تيمية الحراني الدمشقي • رفع الله في الدارين درجاته • واعاد علينا من جزيل بركاته • وقد أوشك هذا الكتاب ان يفقد من الوجود • لقلة نسخه بل لا يوجد في قطر من الاقطار نسخة تامة • وقد بذلنا غاية الجهد للحصول على ذلك املا بالنفع العام حتى وفقنا الله لنسخة السيد الشريف المحقق نقيب أشراف مدينة بغداد أطال الله بقاه • ونفع الناس بفضله وتقواه • ثم توفقنا للجزء الاول من الكتاب المذكور عند الفاضل المحترم الشيخ عبدالسلام الامير • وايضاً لثلاثة اجزاء عند صاحب الفضل والسعادة لطيف باشا سليم • وكل تلك الاصول صحيحة مقروء بعضها على المؤلف وبعضها عليه قرأة بعض الافاضل كالحافظ بن حجر واضرابه وبهذا جاءت نسختنا غاية في الصحة والاعتناء . راجين من الله حسن المعونة انه على كل شيء قدير

لا يجوزون دخول النسخ فى هذا ولا تنوع الشرائع فيه ولهـذا كان دين الانبياء واحدا كما قال تعالى(ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم وان هـذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون) وقال تعالى(شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذىأوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسي وعيسىان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) وقال تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبـديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون)وفي الصحيحين عن ابى هريرة عن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياءديننا واحدوهذا مبسوط في موضع آخر والحمـد لله رب العالمين تم الكتاب آخر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الادراك والفهم وبطء النسيان حتى قال غير واحد انه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه والف في أغلب العلوم التأليفات العديدة وصنف التصانيف المفيدة في التفسير والفقه والاصول والحديث والكلام والردود على الفرق الضالة والمبتدعة وله الفتاوي المفصلة وحل المسائل المعضلة ومن تصنيفاته التي تبلغ ثلاثمائة تصنيف تعارض العقل والنقل اربع مجلدات . الجواب الصحيح رداً على النصارى اربع مجلدات (وهو هذا) شرح عقيدة الاصفهاني مجلد . الرد على الفلاسفة اربع مجلدات . كتاب اثبات المعاد والرد على ابن سينا . كتاب ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً والمعجزات والكرامات . كتاب اثبات الصفات مجلد . كتاب العرش . كتاب رفع الملام عن الائمة الاعلام . كتاب الرد على الامامية رداً على ابن المطهر الحلى مجلدين كبيرين . كتاب الرد على القدرية . كتاب الرد على الاتحادية والحلولية . كتاب في فضائل أبي بكر وعمر . كتاب تفضيل الأئمة الاربعة . كتاب شرح العمدة في الفقه اربع مجلدات . كتاب الدرة المضيئة في فتاوي ابن تيميه . كتاب المناسك الكبرى والصغرى . الصارم المسلول على من سب الرسول . كتاب في الطلاق . كتاب في خلق الافعال . الرسالة البغدادية . كتاب التحفة العراقية . كتاب اصلاح الراعى والرعيه . كتاب في الرد على تأسيس التقديس للرازى في سبع مجلدات . كتاب في الرد على المنطق . كتاب الفرقان . كتاب منهاج السنة النبوية . كتاب الاستقامة في مجلدين (وغير ذلك مما ساجمعه في الرد الوافر) قال الحافظ الذهبي وما ابعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمسماية مجلد وترجمه في معجم شيوخه بترجمة

نبذة من ترجمة المؤلف اثبتناها هنا لضيق المقام وسأطبع كتاب الرد الوافر تأليف الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي فى جزء على حدته استقصي به ترجمة المؤلف ومنشأه وأحواله ومؤلفاته وقيامه بنصرة الدين وما كادته به حساده وما اعترفت له به من الفضل ائمة عصره وما امتحن به من منشأه لوقت وفاته وعلى هذا الكتاب تقاريظ كثيرة من الحفاظ بخطهم نسخته بيدي من المكتبة العمومية فى الاستانة العلية حرسها الله من كل آفة وبايه وسهل نشره آمين

هو شيخ الاسلام وحافظ الانام المجتهد فى الاحكام تقى الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحرانى الحنبلي ولد بحران (من اعمال العراق) يوم الاثنين عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستماية وقدم به والده وباخوية عند استيلاء التتر على البلاد الى دمشق سنة سبع وستين وستماية فاخذ الفقه والاصول عن والده وسمع عن خلق كثيرين منهم شمس الدين وزين الدين بن المنجا والمجد بن عساكر وقراء العربية على بن عبد القوي وفهم كتاب سيبويه وعنى بالحديث وسمع الكتب الستة والمسند مرات وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه واحكم اصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من سائر العلوم ونظر في الفلسفة وبرز فى ذلك على اهله ورد على رؤسائهم واكابرهم ومهر في هذه الفضائل وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة وتضلع فى علم الحديث وحفظه حتى قالوا ان كل حديث لم يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث وامده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة

﴿ فهرست الجزء الرابع من الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ﴾

طويلة منها . وهو اكبر من ان ينبه على سيرته مثلي فلو حلفت بين الركن والمقام اني ما رائت بعيني مثله وانه ما رأى مثل نفسه لما حنثت انتهى وكان طاب ثراه اسود الراس واللحية قليل الشيب شعره الى شحمتي اذنيه عيناه لسانان ناطقان ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين جهوري الصوت توفى سنة سبعماية وثمان وعشرين سحر ليلة الاثنين عاشر ذي القعده الحرام فى السجن (راجع ترجمته في كتاب جلاء العينين تقف على سر محنته) فاخرج الى جامع دمشق فصلوا عليه فكان يوماً مشهودا لم يعهد بدمشق مثله بكى الناس عليه بكاء شديداً وتبركوا بماء غسله واشتد الزحام على نعشه ودفن بمقابر الصوفية بعد ان صلوا عليه مراراً وحزر من حضر جنازته بمايتى الف ومن النساء بخمسة عشر الف وقرئت له ختمات كثيرة ورثى بقصائد بليغه

انتهى باختصار من من جلاء العينين

مصطفى القبانى الدمشقى

صحيفه

٦٩ فصل فى معجزات القرآن الخ يذكر فيه وجه حجية القرآن وقد ذكر لذلك وجوها مجملة ومفصلة وذكر فيه أيضاً المعجزات التي اتى بها القرآن مثل ندائه بين المكذبين له من عموم قبائل العرب وطبقاتهم بان يأتوا بمثله او بسورة او بآية وقد سرد فى ذلك كثيراً من الآيات . وندائه بكل وثوق بانهم لن يفعلوا ذلك أبداً ثم أفاض القول في تفصيل الوجوه التي كان القرآن بها معجزة واتى لكل وجه بما يدل عليه من آى القرآن مع تعدد الآيات الدالة على الاخبار بالامور المستقبلة التي لا يمكن لبشر الوصول اليها مهما بلغ من علو الاستعداد

٧٨ فصل وسيرة الرسول من آياته الخ يذكر فيه كثيراً من شمائله الدالة على نبوته ويذكر كثيراً من صفات أمته واخلاقه التي لم توجد بسواه وسيرته وعلومه الفائقة من غير معلم واندهاش كل من رآه منه

٨٦ فصل في صفاته الخ يتضمن ذكر كثير من صفاته الكمالية باوسع مما تقدم وهو مقام جليل ترتاح له النفوس فايراجع

٩٥ فصل فى المعاد الخ يتضمن فضيلة أمة محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الامم المستلزم ان يكون صاحبها وشارع دينها افضل الانبياء وبه تقسيم المعاد الى معاد روحانى وجسماني واختلاف العلماء فى المعاد الذي سيكون واثبات الصواب من تلك الاقوال وذلك بالادلة اليقينية وبه ذكر القيامة وتقسيمها الى صغرى وكبرى

صحيفه

بنبوة محمد عليه السلام

٣٩ فصل وقد ذكرنا انا قومه المعادين له أشد العداوة مازالوا معترفين بصدقه الخ ــ وهو يتضمن سؤال هرقل ملك الروم لوفد قريش عن نسب النبي وأخلاقه ومعاملاته ووقائعه مع المخالفين له وكانوا إذ ذاك لم يؤمنوا به واخبارهم هرقل عن ذلك كله بما يعرفونه من أحواله واجابة هرقل لهم بأن هذه صفة الرسول المكتوب عندنا وغير ذلك من المعجزات التي أوجبت ايمان أعدائه به واندهاشهم من آياته وذكر شيء من معجزاته الواردة في القرآن والتي تعلم بالعقل ، وفيه محادثة طويلة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبعض كبار الاحبار حيث سأله جملة اسئلة واجابه فيها الرسول بما يعرفه في الكتب القديمة وآل امرها الى اسلامه جيداً وعصابة اخرى من اليهود كذلك وقد اجابهم واسلموا وهو مبحث فيه من غرائب العقول وعجائب النقول مايأخذ بالالباب

٦٣ فصل ولما كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا الى جميع الثقلين الخ يتضمن ذكر انواع من المعجزات تناسب طبقات الناس على اختلافهم في الاستعدادات

٦٦ فصل في اظهار معجزاته الخ يذكر فيه ان اصل آيات الانبياء تسمى بالآيات لا بالمعجزات وانها بهذا الاسم ادل على المقصود من لفظ المعجزة وقد ذكر في جميع الكتب السماوية بهذا اللفظ وقد افاض القول في الاستدلال على ذلك بآيات من القرآن

صحيفه

صحيفه

حوادث واقعية في هـذا الموضوع .

١٩٥٠ فصل وأما تكثير الثمار الخ يتضمن تكثير الثمار وذكر جملة شواهد لذلك

١٩٨٠ فصل وأما النوع الخامس تأثيره في الاحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له الخ يتضمن خطاب النبي عليه السلام لجبل أحد حينما رجف به وبصاحبيه وسـلام الشجر والجبل عليه والقائه قبضة من تراب حينما انهزم اصحابه فملأت أعين أعدائه حتي انهزموا ورميه حصيات في وجه أعدائه يوم حنين وانتصاره بذلك وايضاً القائه حفنة من الحصباء في وجـه قريش وانهزامهم بذلك

٢٠٠ فصل النوع السادس من آياته تأييد الله له بملائكته الخ يتضمن ذكر الآيات الواردة في تأييد الله له مع تفصيل الوقائع ومجيء ابليس في صورة سراقة ونكصه عندما شاهد الملائكة وغير ذلك من الآيات العامة التي اخبر بها وحصلت وكانت خارجة عن العادة كنصر الله له مع كثرة اعدائه وشتمه لالهتهم الباطلة وتسفيه احلامهم وغير ذلك من المعجزات التي لايقوم بها بشر الا بتأييد الهي

٢٢٤ فصل في الطرق التي يبين بها ان هـذه الاخبار تفيد العلم الخ يذكر فيه عدة طرق في اثبات هـذه المعجزات مختلفة حسب اختلاف درجات افكار الطبقات فمنهم الطبقـة التي لا تكتفي إلا بالمتواتر والتي يكفيها الشهرة والتي يكفيها السماع عن الاحاد

صحيفه

يتضمن ذكر انواع الخبر من الصادق والكاذب وتفسير الخبر الصادق والكاذب والصدق والكذب والمذاهب في الصدق والكذب والمعتمد منها والتكلم على انواع ليست من الكذب كالتعريض والتجريد وغيرها

٣٠٣ فصل واذا كان من يخبر الخبر قد يكون كاذباً وقد يكون صادقاً الخ يتضمن تفصيل صحة الخبر وطرق الصدق والكذب سواء كان ذلك خبر واحد أو جماعة وأمثلة ذلك

١٢١ ج
ج٣

٢٩٤٤٨٧ ع ١٣٥

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح الجزء الثالث

Date	No.	Date	No.
	١٠٤١		